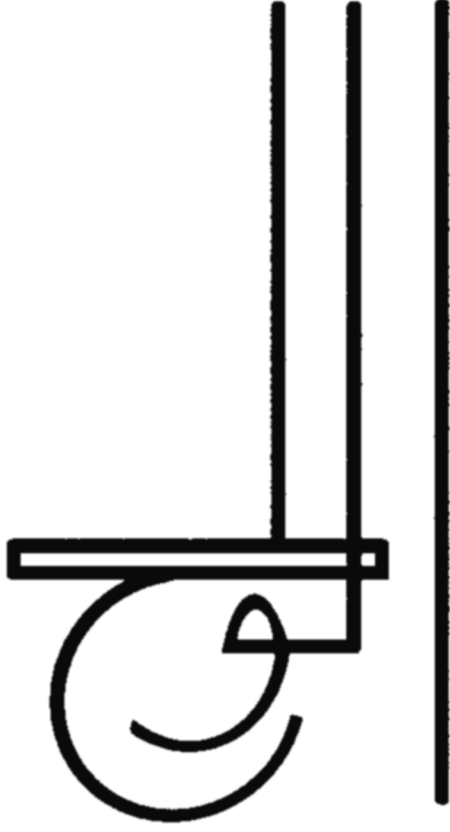




بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء العشرون
ألواح ما بين قبر ومنبر

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء العشرون

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	الحق.. عطاء الرحمة.. اصطفاء الحمد.. رضاء الشكر.. رجاء	مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ علي رافع محمد رافع	١٤ أغسطس ١٩٧٥ م	١
٢	وحدة الغيب والشهادة في وحدة الوجود والموجد في إنسان الحق للوجود المطلق	حديث الجمعة	٨ أبريل ١٩٦٦ م	٥
٣	الإنسان مسيح الوجود للوجود بحق الإنسان في الوجود بالإنسان وبالوجود لا شريك له منهما، ولا ظهور له إلا بهما، ولا يتعارف إلا لنفسه لهما	حديث الجمعة	١٥ أبريل ١٩٦٦ م	١٧
٤	الإسلام.. الإيمان.. المعرفة منارات الطريق إلى الحياة	حديث الجمعة	٢٢ أبريل ١٩٦٦ م	٣١
٥	العروة الوثقى بين قَبْلِهِ وبعده لقاءه هو وجود الله لسابق وجود الله وهو وجود الله للاحق وجود الله في مطلق الوجود الالهي لله	حديث الجمعة	٢٩ أبريل ١٩٦٦ م	٤٣
٦	الصلاة عماد الدين يوم تقوم إلى قبلتها صلة بين العبد وربه بتوحد المرسل إليه في الرسول بالمرسل من الله في الله	حديث الجمعة	٦ مايو ١٩٦٦ م	٥٧

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٧	رسالة الفطرة بدين الفطرة أُشهرت وتُشهر علمها للوجود (لا إله إلا الله) وبُعثت وتُبعث علمها للشهود (محمد رسول الله)	حديث الجمعة	١٣ مايو ١٩٦٦ م	٦٧
٨	إنسان الوعي المحيط الكامل والنظر الحديد الشامل في خدمة وهدى عباد الله وخلق الله وأمور الله	حديث الجمعة	٢٠ مايو ١٩٦٦ م	٨١
٩	خلائق في ابتلائها لحقائق في عمائها في الحى القيوم لا شريك له	حديث الجمعة	٢٧ مايو ١٩٦٦ م	٨٩
١٠	القلوب والقوالب على الحق تتحاب وعلى الدنيا تتحارب ولو صلح القلب لصلح القلب	حديث الجمعة	٣ يونيو ١٩٦٦ م	١٠٣
١١	الإنسان كان ويكون قبل وبعد ما هو كائن هو المطلق بتواجداته في المطلق لوجوده في قائمه لقبله وبعده	حديث الجمعة	١٠ يونيو ١٩٦٦ م	١١٥
١٢	خاتم النبيين لا ختامهم وأول بيت لليقين، لبيوت رجال لا آخر لهم ذكر لذكر في مذكور بأحد لا حد ولا حصر لهم	حديث الجمعة	٢٤ يونيو ١٩٦٦ م	١٣١
١٣	المسلمون يعلنون ما يشهدون بلا إله إلا الله ويعرفون ما يقومون بمحمد رسول الله أمة متجددة، بالحق رائدة، وإلى الله قائدة، لا زوال لها بين قديم الأمم بها تقوم، وقادم الأمم بها يقوم	حديث الجمعة	٨ يوليو ١٩٦٦ م	١٤٥
١٤	الإنسان بالله في الله فوق الظلام وفوق النور له حجاب من الظلام بكونه وله حجاب من النور بحقه	حديث الجمعة	١٥ يوليو ١٩٦٦ م	١٥٣

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٥	الإنسان بحقيقته هو الروح والعالم حل بالبلد ووالد وما ولد مزوية له الأرض	حديث الجمعة	٥ أغسطس ١٩٦٦ م	١٦٣
١٦	الإنسان يتواجد في تزواج الإنس بالإنس في الوجدان بقلب لقلب على المعروف يأتلفان	حديث الجمعة	١٢ أغسطس ١٩٦٦ م	١٧٣

(١)

الحق.. عطاء

الرحمة.. اصطفاء

الحمد.. رضا

الشكر.. رجاء

مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ علي رافع محمد رافع
٧ شعبان ١٣٩٥ هـ - ١٤ أغسطس ١٩٧٥ م

قل جاء الحق وزهق الباطل. إن الباطل كان زهوقا.

قل جاءت الرحمة اصطفاء، والنعمة رداء.

قل جاء الحمد رضا، والشكر رجاء.

{فلنولينك قبلة ترضاها}١.

أمر الله.. أن ولاك، وأرشدك خطاك، والحق أعلمك، وفي طريقك رعاك.

رحمة الله.. أن لما يولييك ترضاه، ولما يرشدك تهواه، ولما يعلمك تقبله حبا، ولرعايته تشعر بها فضلا.

يا أيها الإنسان.. إنك كادح الى ربك كدحا فلاقية، في كل حال وقيام، وفي كل فعل وكلام، لو فتشت في كل حال، ومزقت القشور وظواهر الأمور، فلن تجد إلا الله، ولن تعرف إلا الله، ولن تقصد إلا وجه الله.

لا إله إلا الله شهادتك وطلبك.. طريقك وقيامك، حصنك وبقاؤك.

محمد رسول الله شهادتك وأملك.. وسيلتك ورجاؤك، سفينة نجاتك.. يسري بك من المسجد الحرام قياما محجوبا عليك، الى المسجد الأقصى قياما مشهودا لك.. ويعرج بك ليطلحك على غيبه، رقا ومعراجا لك في الله ذي المعارج.

يا أيها الإنسان.. إنك باستعانتك بقوة رسول الله مجاهدا نفسك، ذاكرا بقلبك، متأملا بعقلك، ساميا بروحك.. ناظرا في الكينونة، فيما كانت.. فيما هي كائنة.. فيما ستكون عليه، هذا دينك.. هذه حياتك، هذا طريقك إذا أردت البقاء والخلد في لانهائي الحياة.

يا أيها الإنسان.. إنك بوجودك على هذه الأرض قائم في حجاب.. كل جوارحك لا تعمل إلا في حدود.. عينك، وأذنك، ويداك في قيام محدود، أما إذا انطلقت من هذا القيام المقيد راجيا لقاء ربك، غير مسوف لرجاء، وغير مبعد للقاء، فبصرك سيكون حديدا، وسمعك سيكون شديدا، وعملك سيكون وجودا، تقول للشيء كن فيكون، (عبدني أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون)^٢.

يا أيها الإنسان.. اعكس بصرك إلى داخلك لترى الداعي، والمدعو فيك، فتعين الداعي في دعوته والمدعو في استجابته.. ترى المقصود والقاصد فيك فتعين المقصود على ظهوره، والقاصد في سلوكه.. ترى المرجو والراجي فيك، فتعين المرجو في صبره وأمله، والراجي في استغفاره وسعيه، فتكون قائم الحقين، قائم الحضرتين، قياما متخلقا بأخلاق الله.

يا أيها الإنسان.. إنك بما حصلت في ماض لك تقوم الآن، فإن شعرت بعجز وضعف وافتقار لفهم وعون في سلوك لإرشاد مفرداتك ولتقويم أبعاضك، فسألت الله متوسلا بجاه رسوله لأرشدك الى ما يرضاه لك من طريق فيه سعادتك وخيرك.. أرشدك الى الإنسان الذي علمه البيان.. الإنسان الذي لا يحدد.. الإنسان الذي يومه بلا أمس ولا غد.. الإنسان الذي كونه بلا حد.

فيا من أردت أن تتابع في الله عبدا من عباد الله، لتكون عبدا لله، اسأل الله في داخلك، واطلب صادقا لا مجادلا ولا مستكفئا، بل بما وإلى ما يرشدك إليه الله راضيا، وله متقبلا، ولصدرك له فاتحا. لا جدال في حضرة الحق ففيها يظهر الحق جليا، أما وأنت لا زلت مجاهدا ففبك من الباطل شيئا، فإن جادل فلا تأبه له واستمر في طريقك مصدقا راجيا.

ويا من تنكر الحق منشغلا بذاتك فلك يوم تخرج فيه من غفلتك.. أما أنت اليوم، فقائم بدورك جاذبا الباطل إليك ممن طلب الحق، سيجي دورك ليؤخذ الباطل منك يوم تطلب حقا.

فيا من هو وراء الوجود بإحاطته.. يا من هو باطن الوجود بحقيقته..

يا من هو ظاهر الوجود بخلقته.. أجزل لنا العطاء، واجعلنا من الأصفياء، المسبحين بالحمد والرضاء والشكر والرجاء بجاه رسولك يد نجاتك، وكرمك، ورحمتك.. لا إله غيرك، ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

حديث قدسي يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة، جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".

(٢)

وحدة الغيب والشهادة في وحدة الوجود والموجد في إنسان الحق للوجود المطلق

حديث الجمعة

١٧ ذوالحجة ١٣٨٥ هـ - ٨ أبريل ١٩٦٦ م

لو كنا نعلم الغيب، ما لبثنا في العذاب المهين. فما كان الغيب عندهم إلا ما وراء ما ينظرون من الشهادة. وهذا هو لقاء العالم الأحمر ومعرفته بالله.

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب. فما كان الغيب عندهم إلا ما وراء موجودهم من الشهادة به يؤمنون. وهذا لقاء الإنسان ومعرفته بالله.

أرجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير. فما كان الغيب لإيمانهم إلا كشف باطنهم لظاهرهم. وهذا حال المجاهدين والمتقين.

كشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد.. قل جاء الحق وزهق الباطل، وهذا حال الواصلين والعارفين، والنبیین.

يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً. أرسلت للأبيض والأسود والأحمر. اعلّموا أن الله، قائم على كل نفس، بما كسبت، وأن إيمان الناس بالناس هو إيمانهم بالله، وهو إيمان الله بالله، وهو إيمان الله بمن يصطفي من الناس لظهوره بمعناه لمعناه. فالناس شهادة الله وهو أقرب إليهم من حبل الوريد. والناس بعوالمهم الروحية هم باطن الناس بعوالمهم الكوكبية، والناس بعوالمهم الكوكبية هم باطن الناس بعوالمهم الشبحية، أو الشئية، أو الشيطانية.

الله.. معكم أينما كنتم، فهل الله غيب؟ وهل له شهادة؟

فما يكون الغيب له عند الشهادة له؟ وعند من يذكر الغيب؟ وهل يعرف الغيب؟ ومن الذي يعرف الغيب؟

وإذا عُرِفَ الغيب، هل يبقى له عند عارفه وصف الغيب؟

وهل يفنى وينعدم الغيب عن من عُرِفَ بالغيب؟

ما كنت تدري ما الكتاب، ولا الإيمان، إلا بعد أن أوحينا إليك روحا من أمرنا، تَوَحَّدَ معك، فجعلنا به الكتاب نورا هو نفسك لك، نهدي به من نشاء، وتسري به فيمن تشاء ممن نشاء.

أوحى روحا، معه نور، فامتزج الروح وسرى النور، امتزج اللطيف بالكثيف للإنسان، وسرى النور في الظلام للإنسان، فصار الآدم، بأديمه كتابا لمعلمه وعليمه، وصار الإنسان الآدم بشرا وإنسانا سويا.. صار الإنسان العبد، علما وكتابا للإنسان الرب في الله هو لهما وهما له.

كل شيء أحصيناه في إمام مبین.. كل شيء أحصيناه في كتاب مبین.

عَلَّمَ القرآن.. خلق الإنسان، علمه كيف يكون الظهور والبيان. أعطى كل شيء خلقه، خلق الإنسان نفسا وما سواها، بمن قبلها له، وبمن بعده لها. ألهمها فجورها وتقواها.

تخلق الإنسان بخلق الرفيق الأعلى، علمه البيان والظهور، والتكنز والسفور، في أي صورة ما شاء ركه، وكل شيء عنده بمقدار.

الشمس والقمر بحسبان، هي مستقيمة في دين الفطرة. وإن من شيء إلا يسبح بحمده. النجم والشجر يسجدان، أمم أمثالكم.

فأين الله.. ولمن الله.. وكيف الله.. ومتى الله؟ كل ذلك عرفه الإنسان، خلقه الله لنفسه، وليصنع على عينه.

ما خلق الله الجن والإنس، إلا ليعبدوا أنفسهم للقاءه في أنفسهم. ويستعدوا لجزائه، يوم يقومون في ولائه ليوحده وجوها له موجود وجودهم بأمانته بالحياة عندهم. {أليس الله بكاف عبده}١. خلقهم ليكونوا لقدسه وجوها، وعليه لمعنى الأقدس لذاته أعلاما، وله في ظهوره أسماء، وفيه وجودا من أرض وسما، فيهم الأرض والسما، هم لها ولوجودها وما فيه، الحق والحياة نعم العطاء، ونعم الجزاء، لنعم الولا.

وَإِذْ قُلْنَا لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، اثْبُتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ فِيهِمَا بِالَّذِينَ. وَمَا كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضَانِ، إِلَّا الْإِنْسَانُ، لَرَبِّ الْعَالَمِينَ، عَبْدًا لِلْمَطْلَقِ بِأَعْلَاهُ، وَرَبًّا لِلْامْتِنَاهِي لِأَدْنَاهُ، وَأَمْرًا وَسَطًا وَرَسُولًا نَبِيًّا فِي مَعْنَاهُ، وَعُرْوَةً وَثْقَى فِي مَبْنَاهُ. أَبٌ وَأَبَاؤُهُ، وَأَبَاءٌ لِمَعْنَى أُنْبَاءِهِ.

قَامَ مُؤَسِّسُ الدِّينِ، فَطْرَةً لِلْوُجُودِ، وَأَمْرًا عَيَانًا بَيَانًا لِلشُّهُودِ، كُلُّ قَدَمٍ خُطْوَةٌ إِلَى الْمَعْرِفَةِ، بِمَا عَرَفَ، وَقَدَّمَ طَرِيقًا لِلْكَسْبِ، بِمَا كَسَبَ، وَقَدَّمَ نَامُوسًا لِلخُلُقِ، بِمَا بِهِ خُلُقٌ، فَخُلُقُ الْأَعْلَى تَخْلُقُ، وَبِوَلَائِهِ لَهُ خُلُقٌ، فَكَانَ عُرْوَةً وَثْقَى بَيْنَ خَالِقٍ وَمَا خُلِقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عُلُقٍ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الْكُوْثَرَ، وَجَعَلَ شَانَهُ الْأُبْتَرِ، وَجَعَلَهُ فِيهِ الْمَذْكُورَ الَّذِي يَذْكُرُ، وَجَعَلَ مَخَاصِمَهُ الْمَعْدُومَ الَّذِي يَفْنَى وَيَنْكَرُ وَلَا يَذْكُرُ، وَالْمَقْبُورَ الَّذِي يُقْبَرُ وَيَقْبَرُ.

هَلَكَ مَنْ فَعَلَهُ مِنْ عَادَاهُ، وَأَحْيَا اللَّهُ وَقَوْمَ مِنَ الْإِلَهِ، أَلَيْسَ هُوَ صَبْغَةُ اللَّهِ؟ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً! أَلَيْسَ هُوَ فَطْرَةُ اللَّهِ؟ وَمَنْ أَكَلَّ مِنَ اللَّهِ فَطْرَةً! إِنَّهُ الْإِنْسَانُ الرَّسُولُ، مِنْ رَبِّهِ، الْإِنْسَانُ الْمُرْسَلُ، رَسُولًا إِلَى عَبْدِهِ، الْإِنْسَانُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ.

إِنَّهُ الْإِنْسَانُ الْوَاحِدُ.. إِنَّهُ الْإِنْسَانُ الْمُتَوَحَّدُ.. إِنَّهُ الْإِنْسَانُ الْمُنْفَرِدُ، فَيَمْنُ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ وَلَيْسَ كَمَثَلِهِ أَحَدٌ. حِلٌّ بِالْبَلَدِ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ، نُورًا سَرَى وَرُوحًا تَجَسَّدَ، وَكُوْثَرًا بِمَعْنَاهُ، فِي عِلْمِيَّتِهِ عَلَى الْأَعْلَى لِمَعْنَى مَوْلَاهُ، رَفِيقًا أَعْلَى عَرَفِهِ وَلَا قَاهُ.

إِنْ رِسَالَاتِ الرُّوحِ، لِلْأَرْوَاحِ، فِي أَشْبَاحِهَا، وَلِلْعَوَالِمِ فِي عُنْوَانِهَا، لَخَلْقِ الْكُونِ، مِنْ كَوْنِهَا، وَإِيجَادِ الْوُجُودِ مِنْهَا لِمَوْجُودِهَا بِإِيجَادِهَا، إِنَّمَا هِيَ خُطَوَاتُ الْإِنْسَانِ، سِيرًا إِلَى أَعْمَاقِهِ.

إِنْ رِسَالَةُ الرُّوحِ، مَا جَاءَتْ فِي قَدِيمٍ، وَلَنْ تَأْتِيَ فِي قَادِمٍ، وَلَا تَعْمَلُ فِي قَائِمٍ، إِلَّا لِتَعْرِيفِ الْإِنْسَانِ شَبَحًا، بِمَا فِيهِ، رُوحًا، وَمَعْنَى، وَحَقًّا.

إِنَّ اللَّهَ، لِلْإِنْسَانِ، يُطَلَبُ مِنْهُ لَهُ فِيهِ، لَا فَيَمْنُ يُوَالِيهِ مِنْ رَسُولٍ أَوْ إِمَامٍ، وَلَا فَيَمْنُ يِعَانِيهِ مِنْ مُخَالَفٍ أَوْ سُلْطَانٍ. فَمَا كَانَ مِنْ يُوَالِيهِ، إِلَّا مُعْلَمٌ، نَفْسًا لِنَفْسِهِ يَرْضِيهِ، وَمَا كَانَ مِنْ يِعَانِيهِ، إِلَّا مُؤَدَّبٌ، سَوَطًا فِي يَدٍ مِنْ يِعْنِيهِ، لِيَتَّقِيَهُ، فَيَتَّجِهَ إِلَيْهِ فِيهِ، فَيَدْرِكُ مَعْنَى مِنْ يِعَانِيهِ، أَوْ جَمَاعَ مَعَانٍ فَيَمْنُ يُوَالِيهِ، وَمَنْ يُعْبِدُ نَفْسَهُ لَهُ، بِالْغَيْبِ عَنْهُ عَلَيْهِ فِيهِ.

وَيَوْمَ يَكْشِفُ غَطَاؤَهُ عَنْهُ لَهُ، فَيَشْهَدُهُ حَقِيَّةَ الْعَبْدِ، لِحَقِيَّةِ الرَّبِّ، مَعَهُ فِيهِ، لِيَعْرِفَ كَيْفَ أَنَّهُ تَوَاجَدَ أَزْوَاجًا، وَتَخَلَقَ أَزْوَاجًا، وَتَحَقَّقَ أَزْوَاجًا، فَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ لَهُ، قِيَامًا عَلَيْهِ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ لَهُ، قِيَامًا بِهِ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ لَهُ، قِيَامًا مِنْهُ.

فعرفه في قائمه، عين قديمه وقادمه، في لا إله إلا الله. وعرفه في تعاليه، في معراجيه منه إليه فيه، الله أكبر، الله أكبر، فتواضع ولم يتكبر، كلما كبر، وكلما اتسع وانتشر، وكلما لله ذكر، وكلما بالله عرف فذكر، وكلما استقام فعلم، فتعلم، فقوم وقام، وقال وعلم، فبه له، عند من كانه، عن الأعلى علم وأعلم، والله كبر وأكبر، وبالله ذكر فذكر، عبداً لله، قام وانتسب، وحقا من الله، نشر ووهب.

ذلك من عرفناه محمداً، عبداً لله، وحقا من الله، ورسولا لله، من الله إلى الله، علم الناس وأعلمهم أن الله من ورائهم بإحاطته، وعرفهم وبشرهم أن الله قائم على كل نفس بما كسبت، مغلبا رحمة الله على عدله، ظاهرا من رحمته، ولم يظهر عليهم بعدله، عدل بينهم بطلبهم ما حگموه، وعاملهم بما وهبهم من مغفرته، ما آمنوا بالله ورسوله، وما قدروه. جاءه المستغفرون فاستغفر لهم، فوجدوا الله غفورا رحيمًا.

قام ربا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وقام عبدا ربه أولى به من نفسه، ربه وربيه ورب له، ورب به ورب منه.. أيده وأيد به.. ونصره ونصر به.. وجنده وجند له وجند به.. وأعلاه وأعلى به.. وحققه وحقق به.. ودانى به ودانى منه.. فتخلقه ظاهر خلق ربه وفعله.. تواضع لا وضيعا، وكبر لا متكبرا.. ووالى للأعلى مفتقرا لا فقيرا.. غنيا لا مستغنيا، وللأدنى معطيا، لحاجته مجيبا، ولافتقاره ملييا، ولفقره مغنيا، فأخذ لا ذليلا ولا فقيرا، وأعطى لا مدلا، ولا مذلا، ولا مانا...

متخلقا بأخلاق الأعلى، على ما خالطه وخالله، وعلى ما عامله وقد توحده، فطلب إلى الناس، من المؤمنين معه، بما جاء به هاديا (تخلقوا بأخلاق الله)^٢، وقام بينهم، متخلقا بأخلاق الله، حليما لا مفرطا، شجاعا لا طاغيا، ممهلا لا متراخيا، حكيما لا قاسيا، ولا متخاذلا.. عليما لا معجما ولا مغرما.. قريبا لا موهما، ولا مختالا، بعيدا لا مستهترا ولا ميئسا.

أظهره الأعلى على الدين كله، فظهر للناس الدين كله، وقام كل الناس باسمه اللهم.. وقامه الناس في اسمه اللهم، فكان هم، وكانوا هو، ما آمنوا بالله ورسوله.

حرموا الله كان لهم، يوم هم لهم حرموه، فحرموا أنفسهم من الله، قاموه، أمانته بها خانوه، وبأمانته عصوه، وعن أمانته بها غفلوه، فما كسبوها وما عبدوه. لو أنهم عبدوهم لمن عرفوه لكسبوها ولم يفقدوه.

ما أعطيت لهم، إلا ليوالوه، لا يعانوه، فيكسبوه، يوم أنهم في عزلتهم عن الحق غيبوه، بإيمان خشوه، وفي وصلتهم برسوله لاقوه، هم بهمتهم رجوه، فأعطيتهم عنهم رفعت فكشفوه، وأوزارهم عنهم وضعت فلاقوه، وفي أنفسهم فشهدوه، وأسماء له قاموه، ووجوها له بعثوه، فظهروه، فوجوها له شهدوه ويشهدوه.

وجوه ناضرة، لربها، ليس غيرها، هي له ناظرة، وجوه لوجه، الله من ورائهم بإحاطته، الله فطرتهم.. الله قيامهم وقيامتهم.. الله بدايتهم وغايتهم.. الله نهايتهم ولا نهايتهم.. الله لهم قبل بدايتهم.. والله لهم بعد نهايتهم.

سيرا إلى الله، يعرفون له نهاية، يوم تتحقق لهم من الله غاية.. وسيرا لله، يعرفون له بداية، منها يتعالون تعالى الله، متعاليا عما يصف الواصفون، وعما يجحد الجاحدون، وعما تلوك ألسنة الجاهلين بشعار لا إله إلا الله، يقومونه، وحصن لا إله إلا الله، يدخلونه، ومعراج لا إله إلا الله يكبرونه ويتسعون، فيقومونه ويعلمونه، ويعلمونه الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لقائمهم في شهودهم لهم عبداً لله، محمداً رسول الله. هذه هي رسالة الفطرة.. وهذه هي رسالة الإسلام، توجت ما قبلها من الرسالات، وأعلنت عما بعدها من حقائق، بدايات، في معراج إلى لا نهايات بكسب لغايات، في الله ذي المعارج.

فإذا كانت كل رسالة قد سارت خطوة إلى الغيب، وهي في سيرها إلى الغيب، إنما سارت إلى غيب الإنسان له، في معناه به، فجاءت رسالة الفطرة، لتعلم وتشر، وتشهد أن الوجود فطرة الله، وأن حياته صبغة الله، وأن فطرة الله وصبغته، هي الكمال، وهي التي تظهر في الإنسان بالمثل، فيعرف الله، المثل الأعلى في السماوات والأرض.

به يُعرف، عند من يقتدي ليعرف، رسالة الفطرة، رسالة الصبغة، الوجود كله لله، غيبه وشهادته، الكون كله لله، ظاهره وباطنه، والإنسان لله، بقلبه وقلبه يمثل الكون بفطرته وصبغته، يمثل بمبانيه وبمعانيه، بغيبه وشهادته، بما يعلم وبما لا يعلم من أمره، ومن أمر الكون.

الإنسان.. يحل في الإنسان.. والإنسان يُحل فيه حالاً في عاليه، في ذي المعارج بحقائقه وأقانيه، بأوامره لإنسانية رشاده. يحل الأصغر في الأكبر، والأكبر فيمن هو أكبر، والكبير فيمن هو لا يتناهى، في اللانهاي، في المطلق، في معراج لا يجذ فيه العطاء، ولا يتوقف فيه الجزاء، ولا ينتهي فيه الرجاء، ولا يتعطل فيه الاختبار والابتلاء.

والعكس لا يكون، إن الأعلى لا يحل في الأدنى، وإن ظهر به وجهها له، وقَدما له، ويَدا له. ولكن الأدنى هو الذي يحل في الأعلى، وهو دوماً فيه حال، يعرف ذلك يوم يكشف له غطاؤه عنه فيه.

إن الأدنى في تقييده، ينطلق في الأعلى يوم تعبده، فيعتق من تقييده، في مطلق لمعاني مقيده، فإذا استوفى المسح في المؤاخاة، باستيفاء الموالاتة، فامتدت يد من خلق فسوى، لبعثه بالحق من العليّ الأعلى.. سوى بين الأدنى وعاليه، وبين الأعلى ودانيه، بامتزاج الأدنى في الأعلى، والأعلى في الأدنى، لأحديتهما حتى لهو، ولا فرق لأحدهما بينهما.

بذلك لأحديهما يحل العظيم في الأعظم، في ظل ناموس دائب {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم}³، ولكن ما كفر الذين قالوا، إن المسيح بن مريم هو اسم الله، (عيسى كلمة الله وروح منه)⁴، عيسى وجه الله.. عيسى عبد الله.. عيسى حق الله.. عيسى حق يرتجى لكل راجٍ لله، طالب لله. (إذا جئت في القيامة دعوتكم بيا أخوتي)⁵، أما الآن فلست كأحدكم، ولست على صورتكم، ولست على هيئتكم، أما الآن، فلا دينونة على من دخل في قلب يسوع، فما عرفني غير ربي. (أنا هو الطريق والحق والحياة)⁶، (أنا هو القيامة)⁷، (أنا في الآب والآب في)⁸، أنا في أبي، وأبي في، أنا في الله الآدم، والابن للآدم، والقبل والبعد للآدم.

إن الآب لنا جميعا يوم نرى في عيسى من نحتديه، ولما أنفسنا نرتضيه، أخوا نقتديه، ونحبه ونواليه، وروح القدس لنا جميعا، ما فرغت نفوسنا من ظلامها، وحت لأنوار الأعلى لها لمقامها. ضُرب ابن مريم مثلا، لمن يُحب في الله من أهل البيت، يذكر فيه اسم الله عند من يطوفه ويستقبله، مثلا صالحا لمن يُرجى في الله، ولمن يستقبل في الله في الصلاة، لمعنى البيت وأهله، والوجه والقلب وحقه، كعبة حجيج، وقبلة مصلى لمن يطاف حوله.. لمن يتخذ نصبا في الله.. فرغ مما سوى الله، لم يمسه في فطرته الشيطان، لا هو ولا أمه. ولكن الناس ارتضوا لمعناه لهم بينهم طغاتهم، وتركوا بالله ولاتهم.

وقد مس الشيطان كل إنسان بعدهما، وقبلهما، وقد جُعل وأمه مثلا للروح الخالص.. للحق الخالص.. للنور الخالص.. للمقام الملائكي الخالص، {وجعلنا ابن مريم وأمه آية}⁹، آيتي نهار، ولم نجعل منهما آيتي ليل، وجعل رسالته في أن يقوم مبشرا بنبي من بعده اسمه أحمد به ينصر، وفيه يتوفى ويحمد.

(كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير)¹⁰، {النور الذي أنزل معه}¹¹، {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين}¹². بذلك جعل الله من الرسول جماع الآيات، كينونة ووجودا، فجعله حقا قائما من نوره، وجعله خلقا من حجاب ظلامه، ومزج له الليل والنهار حجابين له، لقاء حقه، علما على الأعلى للمطلق الانهائي، فكان يوم الجمعة.. كان يوم الجمع، وحققة الجمع، وقبلة لكل قبلة، للصلاة وللطواف، وللحجيج والاعتكاف.

(ما أعطيته فلا متي)¹³.. {فاتبعوني يحببكم الله}¹⁴.. {إنا أعطيناك الكوثر}¹⁵، كافة للناس جعلناك، وكافة الناس بك لنا ارتضيناك، بذلك أظهرناك، وللناس ظهرناك، وبالناس ظهرنا لك لنكون في الصلاة عليك، وفي الاستقبال لك، بالناس لنا، حقائق لنا وملائكة لك عليك صلينا قديما، وعليك نصلي قادما، وها نحن على ما تعلم، عليك نصلي قياما وقائما، وبك على العالمين نصلي دائما.

بك لنا، في الناس نعرف، وبالناس لك، لنا نعرف وتعارف، فأنت شرف جنسك، وقريب ربك، وعليُّ إلهك، ووجه معبودك بعدك، فأنت قديم أمرك.. وأنت رسول شرك وجهرك.. إن أنت إلا وحي يوحى، يوم تُوحى بسرّك، بلطفك، بإرادتك، بنورك، تمثي به في الناس نورا لنا جعلناه لك، وأضفناه إليك، فنراك، حين تقوم وتقبلك في الساجدين.

فإنا لا نرى إلا إيانا، ولا نتوجه بنظر إلا إلى معاننا، وأنت كنتنا، وكنت لنا نورنا، أظهرناك عبدنا، وأقنناك علينا في الناس ربوبيتنا لنا، فكنت مثالنا فينا، عبدنا وربنا، وكنت ظاهرنا وباطننا، وكنت خلقنا، والخالق منا فينا لنا.. كنت تجلينا وقدس معانينا، علما على الأقدس لنا فينا. بك قُدرنا حق قدرنا عند من عرفنا له، فقدّرنا بنا عليه لنا. وبك تنزهنا عن المثال بما كنت به منا كل الأمثال، وجماع الأسماء والصفات والأحوال، موصوف عبدنا، وقائم أمرنا.

رسول الله.. عبد الله.. حق الله.. وجه الله.. تجلي الله.. نور الله.. روح الله.. سر الله.. كون الله.. موجود الله.. وجود الله.. {إذا جئنا من كل أمة بشييد}.. في قديم، وفي قائم، وفي قادم، وفي دائم، {وجئنا بك على هؤلاء شييدا}، حتى يكون للناس غنية فيما جئتهم به، تطمئن بك قلوبهم، وتسكن بك نفوسهم، وتشرق بك عقولهم، وتقوم بك حكمتهم، وتستقيم بك طريقهم، وتبقى بك لهم حياتهم لحيواتهم.

{والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}، {والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، أضل أعمالهم}، إن الصلاة صلة بين العبد وربّه، فكونوا من المصلين، ولا تجعلوا من الصلاة حركة للأبدان، ولكن اجعلوا من الصلاة صلة بالرحمن، {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراؤون. ويمنعون الماعون}.

فهم على صلواتهم بصلتهم بأئمتهم - مرآة إيمانهم وأحواض ورودهم - لا يحافظون. ويأكل الذئب من الغنم القاصية، (الزم الجماعة) فلا يلزمون، وللصلاة الوسطى لا يذكرون، وصلة بها لا يقيمون، وما كانت صلواتهم إلا صلّتهم بأئمتهم في أيامهم من الحياة بينهم لو يعلمون.

هو الرحمن كان عليهم أن يسألوا به خبيرا لو يتقون، وما كانت الصلاة الوسطى إلا رسول الله شهيدا على الشهداء، لو أنهم قيّمة بالدين يقومون ويقيمون، كثر وجوده.. ويد رحمته وجوده.

{حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى}.. {وابتغوا إليه الوسيلة}.. (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، وما كانت الوسيلة إلا الصلوات والصلاة الوسطى، بإقامتها إلى قبلتها في إقامة الصلة بعباده.

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِرَ اللَّهُ.. إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا عُرِفُوا عُرِفَ اللَّهُ.. إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا وُصِلُوا وَصِلَ اللَّهُ.. إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا أَسْفَرُوا أَسْفَرَ اللَّهُ.. إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا عَشِقُوا بِالْحُبَّةِ، قَامَتِ مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا مَعَنَاهُمْ وَجَمَاعَهُمْ وَأَوَّلَهُمْ وَأَوْسَطَهُمْ وَآخِرَهُمْ.

{قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا} ٢٥، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل) ٢٦، (عَصَى وَلَوْ عَلَى جَذَعِ شَجَرَةٍ) ٢٧.. الزم الإمام.. الزم الجماعة.. لو اعتقد أحدكم في جبر لنفعه اعتقاده فهو مخرجه من عبادة نفسه في ظلامها وخصومتها لعقله وروحه، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ٢٨، ثلثة من الأولين، وثلثة من الآخرين، في حاضر وفي دوام يتلاقون، هم عمدة الحياة للأرض وأهلها.

توسم الخير في الناس.. انظر الله في الناس.. لا تذكر الله في نفسك، قبل أن تذكر الله في غيرك.. إن ذكرت الله في نفسك، فاذكره متواضعا، لا مترفعا، واذكره حليما، لا غضوبا، واذكره كريما لا شحيحا ولا بخيلا، اذكره بما يسعد الناس به، ولا تذكره بما يُشقي الناس بك.

اذكر لا إله إلا الله، طيبة بها نفسك، راضيا بها عقلك.. اذكر الله حتى يقولوا مجنون، ذكّر بالله حتى يقولوا هذا هو المفتون بالله، هذا مجنون الله، الله ليلاه، وعزته، ولبناه.

قل الله، الله، ازرع في نفسك كلمة الله بعباد الله.. أجل صدأ قلبك باسم الله.. أحْيِ قلبك أرضا لله.. أنر مصباح عقلك، بالتفكر في الله، قَوْمٌ، وأقم، ميت بنيانك بالسعي في الله، بالخطو في الله، بالعمل بالله، بالنظر بعين الله، بالاستماع بأذن الله، بالنطق بالله بلسان الله، تعريفًا عن الله، يوم أنك لك ترضاه، وبنعمته تجزاه.

لا تُهرِفْ بما لا تعرف من أمر الله، وأمسك عن الحديث بالظن في الله، ولا تتحدث إلا باليقين بالله، إن الظن لا يغني عن الحق شيئا، لا تعبد الله بالظن، ولكن حاول أن تعبد الله باليقين. إن الإيمان بالله، لا يفتقر إلى علم، ولا إلى فقه، ولا إلى سلوك، ولا إلى مجاهدة. إن الإيمان بالله، يقتضيه لك وجودك، أليس هو موجودك؟ ألسنت أنت موجودا؟ هل غاب موجودك عما أوجد بموجودك، عن وجودك؟ لو غاب عنك طرفة عين لفقدت الحياة، لفقدت الوجود.

إن الذي يطلب لك لتعلمه، ليس هو الله في ذاته وكنهه، ولكن إنما هو أنت في ذاتك وكنهك، من أنت في الله، ما كنت في الله.. ما أنت كائن في الله، ما ستكون في الله، ما سوف تكون في الله.. متى يكشف عنك غطاؤك.. متى يكشف عنك بلاؤك فيتقدس به رداؤك، متى يقوم لك فيك رجاءك؟ متى يزف إليك جزاؤك؟ متى يستقبل منك عطاؤك.. متى يتحقق لك باليقين ولاؤك.. (لا تفكروا في

ذات الله، ولكن تفكروا في آلاء الله) ٢٩. إن الله كان لك من قبل، وسيكون لك من بعد، ما كسبت قائمه على نفسك، {أليس الله بكاف عبده} ٣٠. {تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} ٣١.

على أساس من هذا قام الدين، وقامت الطريق، وخدم العلم، وأعان الإنسان الإنسان، أخا له، ووالى الرحيم المرحوم رفيقا له، ورحم الرحمن الملموم ربا له. (وا عجي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل) ٣٢، (أمة مذنبه ورب غفور) ٣٣

فاليقظة بعد البلاء، هذا من فعل الرحمن، أما اليقظة في الرخاء، أما الملبى لمن ناداه بالرضاء، دون انتظار للجزاء، فذاك من فعل الرحيم للرحيم. أما المفني لمن عاناه والمبقي لمن يرضاه فذاك من فعل العزيز العليم. وما فعل الرحمن هو فعل الله، وما حاسب الديان هو فعل الله، وما عفا الغفور أو رحم الرحيم، أو شكر الشكور هو فعل الله، وما أفنى أو أبقي العزيز الحكيم هو فعل الله.

إن الله هو كل الأمور، وكل الأشياء، والإنسان فيه، يقوم به، فيما يرضيه لنفسه منه، فهو الغني عن العالمين. لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون. ولا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب الغرف من الفقراء إليه، إنما الفقراء إليه هم الراجحون، هم الأغنياء حقيقة.. هم حقائق الله.. هم وجوه الله.. هم جنان الله، لمن طلب جنان الله، فزف إليه نور الله، فرضاه وقد أرضاه. {يا أيها النفس المطمئنة... ادخلي في عبادي وادخلي جنتي} ٣٤. {يا أيها النفس المستعصية، على أمرها، إن لك يوم جزاء، {ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون} ٣٥.

ذاك إنما هو مالك يوم الدين، وليس مالك يوم الدنيا، فمالك يوم الدنيا ليس في حال من عطاء، ولكنه في حال وأمر من ابتلاء، ولكن مالك يوم الدين في حال من عطاء، على مراد له أرادته بجزاء، {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى} ٣٦، فهذه جنة النفوس لأهل النفوس الكلية، ونار النفوس لقطيعتها عن أصولها النفسية. وهو نهاية النفوس في جزائها وعطائها.

ما ظهر الله، ظهورا مباشرا إلا لعارفيه، وما ظهر لعارف إلا له فيه، ويوم نصدقه معيتنا، ونعرف إرادته إرادتنا، ومشيتته مشيئتنا، ففناء عنا إليه نرتضيه، يومئذ نجزاه، ووجوها له وأسماء له نرتثيه، يوم تؤمن بالله ورسوله، ولا يدخلنا في إيماننا ريبة، حتى نصبح كلمة لله، من كلمات {إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه} ٣٧، كلمات طيبة في الله، كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء، فهذه جنة القلوب للقلوب.

وما كانت كلمات الله، إلا بيوتا ترفع، وبيوتا توضع، يذكر فيها اسمه، بنيانها رجالٌ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. بهذا جاء كتاب الله، وبهذا قام رسول الله.

فما أدركنا كتاب الله، بل كنا لمواضع المعرفة محرفين، وإن كنا لألفاظه مرددين وبها مترنمين، لا نحن بها عاملين ولا لها مدركين.

رسول الله بيننا قام، وكم قام قبل أن يقوم، وكم قام بعد أن قام.. رسول الله بيننا في دوام قائم، قامت به الحياة، من بداياتها في كل بداية، وانتهت إليه الحياة في نهاياتها إلى كل نهاية، حق الله، ورسول الله، به عُرِفَ الله.. وبه قام الحق من الله، لمن كان حقا في الله، في حقيقة رسول الله، أمرا فطريا ومعنى في الوجود، وحقا في دوام للشهود.

بهذا كله، جاءنا كتاب الله، وجاءنا به دين الله، ودين رسول الله، ودين الفطرة في الله، ودين الصبغة لله، يوم صلى الله وملائكته قديما بإنسانيته على رسول الله، وأبان وبين بالصلاة هو وملائكته على رسول الله، قبلته في قائم الله.. في دائم الله، لاسم الله ولأسماء الله، بلا إله إلا الله، محمد رسول الله، والله أكبر والله أكبر.

اللهم يا من جعلت من محمد بمحمد، حق شهودنا، وحق شهادتنا، وحق قائمنا لقيومنا، وحق قيومنا لقائمنا.. اللهم به فارحمنا، وبه فحققنا، وفيه فتواجدنا بلا إله إلا الله، بها آمننا، وعلى أنفسنا أقمنا، نظرق أبوابها ما دمنا، ونسجد لها ما علمنا، وما استيقظنا.. اللهم به بها فوجدنا وتوحدنا، وجددنا وتواجدنا، اللهم به وبها فألف بين قلوبنا، وزكي نفوسنا، وأنر عقولنا، وقوم جوارحنا، وأحي قلوبنا، وطور هياكلنا. اللهم وقد أوجدتنا نواة لوجود، فتواجدنا وجودا، واجعلنا بك لنا للوجود شهودا.. اللهم لا تعبنا لدنيانا، وربنا على دنيانا، وعبد لنا دنيانا.. اللهم اجمعنا عليه مولانا.. اللهم وحده معنا معنانا.. اللهم توحدنا فيه مبنانا ومعنانا.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

اللهم فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

لا إله إلا أنت سبحانك، إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ٢ استلهاما من عدة أحاديث: "إن الله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أئاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضا الحديث الشريف: "إن الله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخریج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني
- ٣ سورة المائدة - ١٧
- ٤ استلهاما من {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}. سورة النساء- ١٧١
- ٥ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية: "اذهي إلى إخواني وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧: ٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة إخواني. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".
- ٦ (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي.) (يو ١٤: ٦)
- ٧ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥)
- ٨ من إنجيل يوحنا: "أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ؟ الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلِمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الْآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ." (يو ١٤: ١٠).
- ٩ سورة المؤمنون - ٥٠
- ١٠ حديث شريف: "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.
- ١١ سورة الأعراف - ١٥٧.
- ١٢ سورة الزخرف - ٨١
- ١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٤ سورة آل عمران - ٣١
- ١٥ سورة الكوثر - ١
- ١٦ سورة النساء - ٤١
- ١٧ سورة النساء - ٤١
- ١٨ سورة محمد - ٢
- ١٩ سورة محمد - ١
- ٢٠ سورة الماعون ٧: ٤
- ٢١ من حديث شريف: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.
- ٢٢ سورة البقرة - ٢٣٨
- ٢٣ سورة المائدة - ٣٥

- ٢٤ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماماً مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} (سورة النساء: ٦٤)
- ٢٥ سورة سبأ - ٤٦
- ٢٦ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحكم من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٢٧ من الحديث الشريف: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنم، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ من جلدتنا، يتكلمونَ بألسنتنا، فالزم جماعةَ المسلمين وإمامهم، فإن لم تكن جماعةً ولا إماماً فاعتزل تلكَ الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت كذلك" المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة.
- ٢٨ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلتك كان لك نوراً، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك".
- ٢٩ حديث شريف: "تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله". أخرجه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) والطبراني في ((المعجم الأوسط))، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))
- ٣٠ سورة الزمر - ٣٦
- ٣١ سورة العصر - ٣
- ٣٢ حديث شريف: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل". صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبت لأقوام يُقادون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون". أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.
- ٣٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوباً ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءِ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَحِمْنَا، وَمَا خَلَفْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّلَاثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في (تاريخه) عن أنس ابن مالك. المحدث الألباني. المصدر: ضعيف الجامع.
- ٣٤ سورة الفجر - ٢٧، ٣٠
- ٣٥ سورة الزخرف - ٧٧
- ٣٦ سورة الكهف - ٨٦: ٨٨
- ٣٧ سورة فاطر - ١٠

(٣)

الإنسان مسيح الوجود للوجود بحق الإنسان في الموجد بالإنسان وبالوجود لا شريك له منهما، ولا ظهور له إلا بهما، ولا يتعارف إلا لنفسه لهما

حديث الجمعة

٢٤ ذو الحجة ١٣٨٥ هـ - ١٥ أبريل ١٩٦٦ م

بسم الله، الآب والأب، والابن.. والذات المقدس والروح الأقدس.
بسم الله الظاهر.. باسم الله الباطن.. بسم الله الظاهر والباطن.
بسم الله الظاهر بالآب والابن، الباطن بالآب وبالروح القدس لهما.
بسم الله المعروف، وباسم الله العارف، وباسم الله المتعارف، وباسم الله المعرفة.
بسم الله الوجود، وباسم الله الموجد، وباسم الله المتواجد، وباسم الله ناموس التواجد.
بسم الله الحي القائم، باسم الله المحيي الدائم، باسم الله الحية، باسم الله الحي القيوم.
بسم الله الإنسان، باسم الله العنوان.. بسم الله الآدم، باسم الله الإنسان الآدم.. باسم الله الآدم
الإنسان.. باسم الله الإنسان الحق.. باسم الله الحق الإنسان.
باسم الله المرسل.. بسم الله الرسول.. باسم الله المرسل إليه.
باسم الله الهادي.. باسم الله المهدي.. باسم الله الهدي.
باسم الله الإنسان وكلماته.. باسم الله، آدم وبنيه وبناته.

باسم الله الحق وآياته.

بسم الله الرحمن الرحيم..

باسم الله، نقوم وجهها لرب الناس.. ونستعين برب الفلق، من شرور أنفسنا، ومن شرور اختبارنا وفتنتنا، ومن شر ما خلق.

من اسمه اللهم، به نقوم.. إلى اسمه اللهم إليه نعود.. باسمه اللهم، إليه نلجأ، ومنه نستمد، وبه نستعين، بلا إله إلا الله، نردها، ونشهدا، ونقومها، علماً عليها، ونعلمها معلوما لها، لمعلوم لها بها.

إن الإنسان في أمره الوسط، في خير أموره أمرا وسطا لله.. إن الإنسان في داره الوسط، في خير دوره دارا وسطا لله.. إن الإنسان في طوره الوسط في خير أطواره طورا وسطا لله.

هو ذلك كله، يوم هو عروة وثقى يقوم رسولا يُعرّف من يليه، عمن قبله.. يُعرّف من دونه، عمن فوقه.. يُعرّف من يسفله، عمن يعلوه.. يُعرّف من يخلقه، عمن خلقه.. يُعرّف من يوجده عمن أوجده.. يُعرّف من يخلقه عمن خلقه.. يُعرّف الله موجودا لمن كان الإله، له مقصودا.

يُعرّف مُحدث الناس عن قديم الناس.. يُعرّف أبدي الإنسان عن أزلي الإنسان.. يُعرّف الحق المخلوق عن الحق الخالق، في قائمه بالحق جمعا وفردا وإنسانا وحقا هو الأمر الوسط لقائم أمرٍ لآمر عند مأمور.

الإنسان بقاءه بازدواج إنسانه لأحده إنسان إنسان لا يعرف الكبرياء، ولا يعرف الضعة، ولا يعرف الاختيال على الناس من الإنس لعنوانه، بنعمة الله، لإنسانه لقيامهم لإنسه في قائم جمعه لاسمه اللهم، ولا يعرف الصغار في أمر الله به لأمره علم الأعلى بملئه لذاته وصفاته، جادا في أمره، جادا مع جديده، مبعوثا من خلاله لعين قديمه، باقيا مع جديده والأحدث، بقاءه لقديمه والأقدم...

حقا ناميا، عاليا متعاليا، ووجودا متواجدا، وإنسانا متعددًا، وآدما متوالدا بكوثره متجددا.. روحا متسعا، ونورا منتشرًا، وحقا صاعدا، يوم يقوم أمرا وسطا بين عاليه ودانيه، فهو في تعاليه يقوم مدانيا لطالبه ترددا بين البداية والنهاية، فهو يوم يعود إلى بدئه بعد انتهائه في دورة الوجود بالحياة قاصدا قيامه برسائله لنشر رحمته من تمامه عالم بدئه للتعريف لطالبي مآله، بقاءه بحاله، فهو بحاله علم الأعلى في أحواله لعين مرجو مآله لجديد عينه، لا يعرف البدء أو الانتهاء لمقصوده في معبوده لوجه ربه في تجليه لشهوده في موجوده، ولكنه يعرف البدء والانتهاء لنفسه في أطواره، لموصوف عبده، لقائمه لربه، قيوم وجوده لقائم موجوده، لا بداية لربه في معناه بقاءه، ولا نهاية لعبده فيمن به والاه لوصف مولاه.

عَرَفَ ربه، له قبل بدئه، وعرفه له بعد انتهائه، يوم عرفه به، قياما له، لا يجز له بعمله عنده منه عطاؤه، ولا يقف في مراقبه فيه، إلى مرتقى له، فكلمها ارتقى، ازداد طلبا للترقي. وكلها داني، ازداد رغبة في التداني، وكلها أعطى ازداد رغبة في الإعطاء، وكلها أخذ ازداد رغبة في الأخذ.

طلب اللانهائي، بطلب عطائه، وعرفه، في قيام ولائه، وحده وأثنى عليه، في مواصلة كسبه، واستقبال رفته، وتلقي نعمائه، شاكرًا أنعمه، حيا بذكره، فاعلا مذكرا بأمره، مذكورا بفضله، فاعلا بقدرته، مصونا بعزته، فياضا برحمته، إنسان الوجود، لكل من يطلب أن يكون في الله إنسانا.. اسم الله ووجهه {فذلكم الله ربكم الحق}¹، {فإذا بعد الحق إلا الضلال}².. {وقل جاء الحق وزهق الباطل}³، من رأى إنسان الوجود فقد رأى الحق الموجود. {إن الباطل كان زهوقا}⁴ كلها بوجه تواجده وعند ولهم وجد.

ذلكم إنسان الله، علما على مرسله.. ذلكم رسول الله، إن آمنتم بهديه، ودائم رسالته، وقائم أمره، جديدا لا يتجدد، وقديما لا يتقدم، وموجودا لا يتواجد، ومتواجدا لا يوجد، لا يحاط به، ولا تنكر إحاطته، لا يعلم، ولا يُجهل، لا يغيب عن الحس، ولا يدرك أو يحاط بحس إلا لمن قامه وبه ومنه تواجده.

إنه للحياة مصدر الحياة، يُعرف لمن يحيا، يوم يحيا، ويحيا يوم يعرف عن الحياة فيطلب الحياة، وإن لم يطلب الحياة، فلن يحيا، وإن لم يؤمن بالحياة فلن يطلب الحياة.

فما آمنت بالله، إن لم تلمس فيك الحياة.. وما لقيت ربا في الحياة، إلا كادحا إليه معروفا لك برسول له رسول رسوله فيك تلقاه، هما أنت فيه ولا تراه. ولن تلمس الحياة، إلا يوم تلقى معلما للحياة في الحياة، ولن تلقى معلما في الحياة، إلا يوم تلقى رسول الحياة، ولا تلقى رسول الحياة، إلا يوم تلقى عبدا حيا بالله، ولن تلقى عبدا حيا لله، إلا يوم تؤمن أنك لله، ومن الله، وإلى الله.

إنك لست عبدا إلا لمن تُعبد نفسك له في الله، بمن تنشئ مثاليته لك بالله، بمن تريد أن تكون لعين إرادته بفناء إرادتك، به تحيا وبه تقوم في محبة الله، يوم تقوم معه في الله مثني وفرادي، هو وجه ربك وأنت وجهه. كنت به معه في ربك خليلا لخليل هو لك إليك بالله معك منه الدليل، تفنى لبقائه وتبعث به لبقائك، ظل وجوده وظاهر موجوده، تعطر بذكر الله أنفاسك، ويرق ويخشع لذكره إحساسك. {الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}⁵. (إن الرب يبحث عن عبده، كما يبحث العبد عن ربه)⁶ هو موجود الرب لك بك عندك، (إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله)⁷.

إن لفظ (الله) كلمة تتردد على اللسان، ولا يقوم بها الوجدان، ليس ذكرا لله.. إن الله ليس لفظا.. إن الله، إنما هو الوجدان بمعناه، إنما هو الواقع بالإنسان.. إنما هو الوجود بالإنسان، إنما هو موجودك بمعناك من الحق.. إنما هو وجودك يوم تكسب الحياة، بكسب وجودك. فهل قام بك التأمل

لموجودك، في محيط وجودك، لعينك وشهودك؟ فهل ذكرته في نفسك كما أرشدك وهداك ووجهك؟ هل انعكس بصرك في بصيرتك، لترى ببصيرتك ما أنكرته وإن ذكرته؟ هل انعكست بصيرتك في بصرك، ليقوم بصرك ببصيرتك، فترى بقلبك، وترق بعقلك وقد لاقيته وبايعته وتخاللته، وتبادلته، فتعارفته فعرفته، فكنته؟ (من رأيي فقد رأيي حقاً) ^٨.

يتبادل، نور إدراكك لعقلك، مع نور قلبك لإحساسك في هيكلك لوجودك، أنت وجودهما، لعينهما، وأحدهما للآخر عين وجوده، فتتواجد بقلبك في رأسك.. وتتواجد برأسك في قلبك، فيتخالل فيمتزج موجود رأسك لمعنى عقلك لوعيك، مع موجود قلبك لمعنى شعورك بإحساسك وحسك، فتحس بعقلك وتعقل بقلبك.

فيتوحد في كتاب وجودك لعالمك بهيكلك العبد وربّه، يتوحد الأمر وأمره، يتوحد المستوي على عرش سماواتك، مع القائم بعوالمك لذاتك.. يتوحد القيوم مع القائم.. يتوحد المعبود مع العابد في العبد الموجود والعبد المتواجد، فلا شهادة ولا غيب ولا ملأ أعلى ولا أدنى، فتشهدك لا عابد ولا معبود، ولكنه الحق والموجد والوجود.. ولكنه الله، ولكنه اسم الله.. ولكنه الإنسان.. ولكنه إنسان الله.. ولكنه عبد الله.. ولكنه الحق من الله.. ولكنه الوجود، وما يتواجد فيه، وما يتواجد منه، وما هو منه تتواجد، وفيه وجد، إنه اسم الله الرحمن الرحيم لكل من بالله في الله وجد من ذكر أو أنثى.. الآب والأب والابن والبنت والروح القدس والذات الأقدس.

هذه هي لا إله إلا الله، يوم نشهد أنه لا إله إلا الله، ويوم نقوم لا إله إلا الله، ويوم نستقيم ونعمل بلا إله إلا الله، في مجال لا إله إلا الله، لا شريك له، من وجودنا به في موجوده بنا.

إن السماوات والأرض وما فوقهما من مثلهما.. إن السماوات والأرض وما دونهما من مثلهما.. إن السماوات والأرض وما قبلهما من مثلهما، وإن السماوات والأرض، وما بعدهما من مثلهما إنما تقوم في وحداتها، وبجماعها بلا إله إلا الله.

فهل شهدنا أنه لا إله إلا الله، مع من علمناها؟ هل دخلنا لا إله إلا الله مع من دخلها من أنفسنا إمامنا وهو معنا، ليكون لنا قدوة بذاته وروحه وصفاته وأفعاله وكوثره بالروح والذات؟ هل قننا لا إله إلا الله بمن قامها لنا؟ هل جددنا أنفسنا بلا إله إلا الله، مع من جدد نفسه بها لنا منا بيننا، في كل وقت وحين؟

هل آمنا، برسول الله، إيماناً بظاهر الحق من الله، فكنا، فرضاً عليه من الله {أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ^٩، لا تعدو عيناه عنا كما أمر لأمرنا {ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا} ^{١٠} من الناس عباداً لها؟

هل تحيرنا، في رسول الله فخرنا فيه بإيماننا، إكباراً لرسول الله في دوام بيننا فتجعد بنا نافلةً له، ضالين ليهدينا؟ هل عرفنانا يتامى ليأويننا، وفقراء ليغنينا؟ {أرأيت الذي يكذب بالدين} ^{١١}، فذلك الذي يدعك أيها اليتيم المؤاوى.

فمن كان على ما كنت يتيماً، فأوه إليك، تخلّقاً بخُلُقنا معك خُلُقاً لك ولا تقهر ^{١٢}. ومن كان طالباً السقي من ينابيع فاروه من مائنا لك، ولا تغرقه في مائك، ولكن اجعل ماء الحياة معك نعمة له، ولا تجعل منه إفناءً له، وغضبة عليه بإحاطتك، {وأما السائل فلا تنهر} ^{١٣}، وتخلق بأخلاق ربك وقد عرفت أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وعلى كل نفس حفيظ.

بشر، ولا تنفر، يسر ولا تعسر، لا تثقل على الناس، وخفف كرب الناس في محنتهم واختبارهم، وبنعمة ربك فحدث، بنعمة ربك لهم، على ما عرفتها لك، علمهم وأعلمهم، بشرهم وعدهم، ثم أنذرهم وأوعدهم وحذرهم، وبرحمة الله معك لهم حصنهم، ساعدتهم وآلمهم، ولا تنظر لغيرهم، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه، ولا تعد عينك عنهم} ^{١٤} تريد من جعلناهم للدنيا رزقاً لها عباداً يقومون لها بزينتها فتحرمها منهم وهم من حقها وزينة لها.

أيها الحي، الناظر بأعيننا، منظورا منا، جعلنا لك الحياة بشراً بكوثرك جعلناه منك روحاً ومنا حقاً، وجعلنا لك نورا، جعلناه نورك تمشي به في الناس، جعلناهم لك أثراً وعليك وعنك دليلاً وخبيراً وخبراً، نراك حيث سرت وحيث سررت، لنا منظورا فيمن نظرت، فلن ننظر إلا عبداً لنا، وما كنت إلا عبدنا، قدوة لعبادنا، ولا ينظرنا في ناموسنا إلا من آمن بنا، وأنت المؤمن بنا لكل مؤمن بنا. بك استغنينا عن غيرك لمعرفتنا، وبنا استغنيت عن كل ما سوانا لمعرفتك.

إلا تنصروه، فالله ناصره.. أنتم به يوم تؤمنون بالله ورسوله، وهو ليس بكم، إنه بالغني عن العالمين غني عن العالمين، من رضيه له ربا رضيه الله له عبداً. ومن رفضه عليه ربا، رفضه الله أن يكون له عبداً. {إن الذين يبايعونك، إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم} ^{١٥}.

الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم ارتابوا، فارتدوا عن إيمانهم، وتزعزعت عقائدهم في نفوسهم، وقد جاءهم أمر الله برسوله، فأمنوا غير واثقين، ثم ارتابوا غير متابعين، أولئك يلبسون في موجودهم فانيين،

بظلام أنفسهم، أبلسة ينقطع بها عقبهم يجتثون من فوق الأرض، {إن شئتُك هو الأبتَر}١٦، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}١٧، ونعم الاسم، الإيمان بعد الفسوق، فلا يأس من رحمة الله.

{يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله}١٨، {إن الله يغفر الذنوب جميعا}١٩. {إن الله لا يغفر أن يشرك به}٢٠. إن الله لا يحب المتكبرين.. إن الله لا يحب كل مختال فخور.. إن الله يكره الحبر السمين.. إن الله يحب كل أواب حلیم.. {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}٢١.. (المؤمن مرآة المؤمن)٢٢، (المؤمن مرآة أخيه)٢٣، العبد مرآة الرب والرفيق الأعلى.

من بدأ الرجوع إلى الله، بمعرفة نفسه، على ما هي من ظلام، (الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)٢٤ فجاهدها، في مجال الجهاد الأكبر إيابا إلى حقه بأصله، في أحسن تقويم، فقد بدأ مجاهدته في الله، فإن صدق، هداه الله السبيل، وجمعه على الخير والدليل، فطرق الباب، وسلك السبيل، وعرف السلم والمعراج والدليل.

إن الله سبحانه وتعالى، ليس غيبا، وهو في الوقت نفسه ليس شهادة.. إن الله ليس غيرك.. وإن الله ليس عينك، فلا أنت غير الله، ولا أنت عين الله.. إن الذي تنشد في الله، إنما هو ربك.. إنما هو أصلك.. إنما هو رحمته بك.. إنما هو روحه لك.. إنما هو نوره.. إنما هو كرمه على إنسانية إنسك وجنسك، إنما هو تفضيله لجنسك.. إنما هو اصطفاؤه لنفسك لنفسه.. إنما هو ارتضاؤه لعينك، رضاء منه عنه، وعما أبدع، وفيما لنفسه بعده أوجد وطور وغير وأخلى وشغل.. إنه يرضى عنك يوم ترضى عنه.. إنه يطلب رضائك كما أنك تطلب رضاه، رضاء برضاء ومشية بمشيئة. (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)٢٥، إن خيرا نخير وإن شرا فشر، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}٢٦، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها}٢٧، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}٢٨، {يُبْعَثُ المرء على ما مات عليه}٢٩، {وجاءت سكرة الموت بالحق}٣٠.

فَلِمَ لا تتلاقيان؟ إن النكوص إنما هو منك! لقد أعلن رضاه، وبلغه لك يوم قال، ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوا أنفسهم لي.. لقد أعلن رضاه عنك وأعلن إرادته لك، ولكنك تصم أذنيك! فَلِمَ لا تجيب من جانبك، برضاء منك، وإرادة تصدر عنك؟ لِمَ لا تقول في عني نعم.. وها أنا عبدك، نعم.. وها أنا قائم أمرك، نعم.. وها أنا لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا، ولا حياة ولا نشورا، نعم.. وهذا شرفي وفي هذا فخري لا إله إلا أنت، منك التواجد والوجود وإليك المصير ولك السجود؟

على أساس من هذا قامت رسالة الفطرة، وقامت رسالة الإسلام، عُرِفَ الله، يوم عُرِفَ فُعِرِفَ للناس بينهم من هو عبد الله ليكونوا في متابعتة، إلى ما صار هو إليه، ليصير لهم بحقه ووصفه. بعث

الإنسان بالله، يوم بعث الآدم بالحق، وقد نفخ الله فيه من روحه ظهوراً للحق، وجهها لله، ونواة وجود، لعالم يتواجد، بموجود وُجد، هو عبد الله.. هو كلمة الله.. هو روح الله.. هو نور العالم.. هو السلام.. هو السلم.. هو الحاضر والسلم.. هو الكتاب والكلم.. هو الناس والعلم.. هو اللوح والقلم.. هو المعلوم وما علم، ومن علم، ومن علم.. هو الابن والأب والجد.. هو الذات والروح.. هو العبد والرب.. هو الإنسان وابن الإنسان.

هو الأب ومن قبله، وهو الابن ومن بعده.. وهو الأب ومن فوقه، وهو الروح القدس ومن تحته.. هو اسم الله الرحمن الرحيم.. هو الاسم الأعظم.. هو الأسماء كلها.. هو الأسماء الحسنى.. هو عبد الله وكفى.. هو العبد المصطفى، والحق الأوفى.

جددوا إيمانكم بالله في اليوم سبعين مرة، متابعة لمن جدد إيمانه بالله في أيامه بينكم في اليوم سبعين مرة.. تواجدوا في الله، بمن تواجد في الله، في كل وقت وحين.. فلتكونوا أوقاتاً وأحياناً، متواجدين به، قائم لا إله إلا الله وحصنها، لمن دخلها وقامها، فدلكم الله ربكم الحق فإذا بعد الحق إلا الضلال} ٣١.

أسلموا لرسول الله بمبايكم موجود وجودكم لمعانيكم، وإحاطة وجودكم لوحدايتكم عبداً لله، بعبوديته لرفيق أعلى فيه، خالده، وظاهره، فظهره ملاً في وحدانيته فكان عليه العلم، وكان منه جماع الكلم، وكان به روح قدس الله، لعباد الله، ولأوادم الله، ولإنسانية الله، ولحقائق الله ظاهراً لباطن.

جددوا في دوام إيمانكم بالله ورسوله، بمواصلة استغفاركم منكم ومن فعلكم، مغيرين ما بأنفسكم إلى معلوم ترتضونه بمؤمن بالله ورسوله تشهدونه وتعرفونه، متبرئين من وجودكم، بما صدر عن آبائكم فكانكم. تأملوا واقعكم فأنتم لا إلى أحسن تقويم عدتم فالأرض سُدتم على ما وعدتم، ولا بقاءم لحياة في كرامة واصلتم على ما كنتم، بمن عرفتم.

لم أنتم في ركب الحياة ركدم، وقد سارت الأمم وتخلفتم!! أستم أمة رسول الله؟! أستم أمة عبد الله؟! أستم أمة الحق من الله؟! فلم يكون هذا حالكم، تتخطفكم الأمم، وتنداعى عليكم، كما يتداعى الأكلة على القصاع، في شره ونهم، قوم جياع يأكلونكم ويفنونكم، لا يحيونكم ولا يبقونكم، وأنتم كثرة ولكنكم كرجاء السيل لا خير فيكم!!

أليس بينكم من رجل رشيد يهديكم، وعما أنتم فيه يثنيكم، ومن حوض الحياة يرويكم، وينظر ثاقب يخترق أسوار ظلامكم فيحييكم، وبوجه مشرق في ساحة جماله يأسركم لحضرته، وجه ربه، وحضرة ربكم، وساحة الله، ودار رحمته تأويكم، وتعزكم وتعليكم يوم ترضاكم فترضكم!!

ترحبون بالقلق من أجهزة الإعلام عندهم.. وتطمثون للجزع مع الطغاة عليكم.. وتنشدون السياط تعودتموها مع الظالمين لكم، ولا تنشدون الصراط المستقيم مع الرحماء بينكم.. تطلبون لأنفسكم العزة واهموها، أنتم فاقدوها، والعزة لله جميعا فكيف تكسبوها، وأنتم له لا تذكرون، وبه لا تقومون، وله معيتكم تجحدون وتكفرون، وعلى الأعزة بينكم بعثوا بها لرحمتكم تكفرون وتخاضعون، وبهم تهزأون لأنهم على الأرض هونا يمضون!!

تعالى الله عما تصفون.. وبريء رسول الله عما تحاكون، وتنزه كتابه عما تدارسون. إنكم لَكُمْ عن مواضعه من الأعمال تُحرفون، وكلاما لا نور فيه، ولا حياة فيه، من ظلام أنفسكم يصدر، إلى الله تنسبون، وبيانا لما بين أيديكم من الحق تزعمون، وأنتم بالبيان يقدم لكم في كل وقت وحين تعبثون، ولحق تعمهون، وأنفسكم تظلمون، وعقولكم تضلون، وتحملون أوزارا مع أوزاركم، ممن إليهم تتحدثون، ومعهم بالباطل باسم الحق تتواصون، وجنودا للطاغوت في دوام تقومون وتقيمون، ولجنود الرحمن بينكم تخاضعون. فكيف يكون لكم من الله إيمان به تنصرون وتنتصرون، وأنتم في مواجهته به تكفرون وله تقاومون!!

ها أنتم.. لكع وابن لكع تبعثون وتقومون.. وإنكم على جماعة تزعمون وتدعون، وأنتم بقلوبكم متفرقون، وبنفوسكم متصارعون، وبعقولكم متنافرون، ولما فيها من نور الله تجافون وتطفئون، وحربا متصلة لإزهاق الأرواح تشعلون، وباسم السلام تمشدقون. إلى متى أنفسكم تراؤون؟!!! ألا تعقلون؟!!!

سعوديون، وأنتم غير مسعودين.. مسلمون، وأنتم غير مسلمين. مؤمنون، وأنتم بمعية الله تكفرون.. وسوريون، وفي أسوار أنفسكم تقيمون منها لا تتحرون.. ثم أنتم مصريون في بيداء نفوسكم لا تتمصرون ولا مصرا تعرفون.. وهؤلاء يمينون وعن اليمن معزولون.. والآخرون أردنيون، وهم لله لا يريدون.. وحجازيون وهم للحق في أنفسهم لا يحجزون وإليه فيهم لا يحجون.

أين هم المسلمون في جمع لله ورسوله يلتئمون، لهم بالله إمام يذكرون، وبهم به بالله يقومون!! وبنصرتهم به بالله ينتصرون!! وبكلمة الله بينهم دائمة قائمة ينتصرون ولذكراها يعلون، وإن احتجبت عنهم في الناس، عنها يجثون، حتى يلاقون!! فيلاقوا وجه ربهم برسول يشهدون!!!

إن الإسلام.. دين أشعلت جذوته في الإنسان، في فطرة الإنسان، فلن يطفئها إنسان فاقد للعنوان، أو قائم بالبهتان.. إن الله مُم نوره رغم المظلمين، ومقيم أمره رغم الجاحدين.. وناشر دينه رغم الكافرين.

إذا كان الله يُهزم أمام جاحديه، يهزم الإسلام أمام قاليه.. إن الذي رضي الإسلام ديناً للناس، لن يهزمه أناس بين الناس.. إن الإسلام يعلو في الفرد، كما يعلو في الجمع، كما يعلو في البشرية، يوم تستيقظ العقول في الفرد أو في الجماعة أو في البشرية...

يوم يتواصى الناس بالحق، ويتواصى الناس بالصبر، وإنهم في فطرة الله لتواصين، وإن من تواصوا فأثر تواصيتهم، فهم إلى قومهم يوماً راجعون، وللغافلين منهم مذكرون، وللنائمين موقظون، ولقلوب المظلمين منيرون، وهو أمر قائم بأيام الله في الناس للناس في دوام، رسالة هديه. إنه أمر يظهر في سفور يوم يظهر من آياته، بخلق السماوات والأرض، يجمعهم إنسانه في هذا العالم المغلوب على أمره بطغاته، أمر تعلق به كلمته بإنسانه، وإنه على ذلك لتقدير، وإنه لجامعهم، في دين الفرد للفرد، وفي دين الجمع للجمع، وفي دين البشرية للبشرية، يوم يقوم ويبعث الحق لأهل الحق في أنفسهم متواصين به في أنفسهم ومعانيهم.

قام ذلك على نطاق الفرد للفرد فقامت النبوات، وقامت الحكمة، وتعدد الفرد فقامت البيوت لله ترفع وترفع، ثم توضع وتوضع. وقام ذلك على مستوى الجمع، فقامت الأمم، وقامت الطريق، وبعث الناس، ورفع الناس، وسار الناس، إلى روح القدس، آباء وأبناء، وجددتهم روح القدس بين الناس آباء وأبناء، فكانت روح القدس هي ما بين قديم الآباء والأبناء، وقادم الآباء والأبناء، قائم الآباء والأبناء، يوم يصلح كائن الإنسان على الأرض أن يكون أباً أو ابناً، يوم يصلح أن يكون إنساناً.. يوم يصلح أن يكون آدمياً أو ابناً لآدم.

فيعلمه من روح القدس، بقديمه تواجد، وبعلمه إلى روح القدس، في قادم يوجد، فتطمئن نفسه، ويترنم قلبه، ويستنير عقله. ذلكم هو (المستنير).. ذلكم هو الرجل الرشيد.

ذلكم هو الإنسان، الإنسان الذي ينتشر في الجمع، والذي يتوحد به الجمع، فهو فرد جمعه، وهو جمع انفراده، يوم تتلاقى القلوب في الله، ألف بين القلوب، واستأثر لسلطانه، بتأليف القلوب. وهو ما كمل لرسول الله، ونسبه الناس من قبله ومن بعده، لناقص فيه غير مؤهل له.

إن القلوب المتآلفة هي التي تدخل في حصنه لا إله إلا الله، وتقوم بحصنه لا إله إلا الله، كلمات ترفع، لبنات لبيوت تتجمع، فكلمات توضع، ولبنات لبيوت تقوم وبالحق تبعث، فيذكر فيها اسم الله قلوباً وغرفاً في الصلاة تستقبل، وفي الحج تطاف، وفي المعرفة بها يعكف، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، كان أول بيت وضع للناس ذلك الذي ببكة مباركاً بعثاً لآدم، بعثاً لإنسان الحق بقيام الحق رسولاً...

وأمرنا لكل الناس موعودا مأمولا، كافة للناس بهم لهم فيهم، منه فيه قدوة وأسوة، رسولا من أنفسهم بالحق أنزل، وبالحق نزل، وبالحق ينزل، وبالحق ينزل...

بيت وضع ولم يرفع، ولن يرفع.. إلا إذا وضع جديد بيت للناس منه يتجدد، وبه يتعدد، أول عابدين لا آخر لهم، حتى لا تنقطع عن الناس رحمة الله، وحتى لا يهدم بينهم لعيانهم بيت الله يذكر فيه اسمه.

إنه أول بيت وضع للناس جديدا لقديم، به تجدد القديم بلا حد، وتعدد الجديد بلا قيد، ذكرا محدثا لذكر قائم لم يتعدد معه بقاءم به، وإن تجدد به ظاهرا لباطن، وليس آخر بيت يوضع للناس. إنه وضع رحمة للعالمين، ولم يجعل نقمة عليهم وانقطاعا للهدى عنهم بينهم.

إن أول بيت يرفع، من الناس، ليس أول بيت رفع من الناس. إن الناس في رب الناس، لا بدء لهم، إذ هو لا بدء له، ولا انتهاء لهم، إذ هو لا انتهاء له، فكيف تتوقف بيوت ترفع من الناس، أو تنقطع بيوت توضع للناس، في رب الناس من رب الناس!

إن ملك الناس لا يرضيه غير ذلك للناس، وإن إله الناس لا يقطع ذلك عن الناس، وهو أمر ملك الناس أن يجددوه لأنفسهم، وأمره قديما ومجددا أنه قبل أن يغيب عليه أن يستخلف، وأن يعهد لمن يصلحه لمواصلة أمره، على ما علم عن ناموس الفطرة عنه وعن الناس فيها، وعن رب الناس لهم جميعا، وعن إله الناس بهم جميعا.

{رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين} ٣٢.. {إني خفت الموالي من ورائي.. فهب لي من لدنك وليا} ٣٣. هذا هو الناموس، يترك الأب، للناس الابن، مخلفا له، ويتعدد الأبناء ابن عن ابن، لعين الأب والآباء، أبا عن أب، متجمعين، على أبيهم وآبائهم متحدين متوحدين، أصلا واحدا، حتى يأذن الله أن يجعل منهم بيوتا توضع، بجديد لهم بموصوف الأب والآباء لمن والوا وعرفوا كمال وتمام أمرهم، فلا الآباء لهم بداية، ولا الأبناء لهم نهاية، فيمن لا بداية ولا نهاية له.

فكلما تواجدت الحقائق بموصوف الآباء، خلّقوا الأبناء حقائق لهم.. وكلما تصاعدت حقائق الأبناء إلى الآباء، بعثوا بالآباء آباء توفية لهم، وقد ظهروا برسالاتهم بين الأبناء أبناء، {إني متوفيك ورافعك إلي} ٣٤، {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم} ٣٥.

هذا هو الناموس، وهذه هي الفطرة، وهذا ما جاء به رسول الفطرة، وابن الفطرة.. وعين الفطرة.. وأصل الفطرة.. وسيد الفطرة.. هذا ما جاء به رسول الله، ابنا للفطرة، وقياما للفطرة، وألوان الطباع للفطرة، سيدا فوق الطبيعة وقائم الطباع، وإنسانا لله، وعبدا له، وابن إنسان لله، وابن عبد له، كافة للعالمين أبرز لاقتدائه.

{والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم} ٣٦.. {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ٣٧.. {فذلکم الله ربکم الحق فإذا بعد الحق إلا الضلال} ٣٨.. {صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة} ٣٩.. اسم الله وعلم الله ووجه الله وحق الله وناموس الله.

إن الله رضي لكم الإسلام ديناً، وإن الدين عند الله الإسلام، ومن أسلم لله ورسوله فقد سلم.. ومن آمن بالله ورسوله فقد استنار، ومن أنكر الحق على الله ورسوله فقد ظلم نفسه.

إن الإسلام للرسول، هو باب الإيمان بالله، وإن الإيمان بالرسول هو باب الإسلام لله. وهما أمران لا غنى عنهما ولا انفصال لهما، أحدهما ظاهر الآخر، وأحدهما باطن الآخر.. بهما وباتحادهما كانت استقامة الدنيا واستقامة أخرياتهما، سواء كانت دنيا الذوات لآخرتها من عوالم الروح، أو دنيا الروح لآخرتها بالحق لعوالمها من الذوات.

اللهم لا تجعلنا ممن ظلموا أنفسهم بظلامهم.. اللهم أنر الطريق أمامنا.. اللهم أنر قلوبنا.. اللهم أنر عقولنا.. اللهم أنر ظلامنا.. اللهم أنر ذواتنا.. اللهم أحينا كما أحييت آبائنا إلى أحسن تقويم.. اللهم أحينا وأحي من أبنائنا إلى أحسن تقويم، اللهم اجعل من أحسن تقويم غايتنا، واجعل بأحسن تقويم هدايتنا.

اللهم تول أمرنا برحمتك وعنايتك وحكمتك، وعزتك، وقدرتك، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، ضالين ومهتدين، مشرقين ومظلمين، وتولنا برحمتك جميعا يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة يونس - ٣٢
- ٢ سورة يونس - ٣٢
- ٣ سورة الإسراء - ٨١
- ٤ سورة الإسراء - ٨١
- ٥ سورة الأنفال ٢
- ٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٧ حديث شريف: "إن لله عبادة إذا رؤوا ذكر الله." الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.
- ٨ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُ. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي." صحيح ابن حبان.
- ٩ سورة الأحزاب - ٦

١٠	سورة الكهف - ٢٨
١١	سورة الماعون ١
١٢	تم حذف عبارة "مائتا معك" المكتوبة في النسخة المنشورة، وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.
١٣	سورة الضحى - ١٠
١٤	سورة الكهف - ٢٨
١٥	سورة الفتح - ١٠
١٦	سورة الكوثر- ٣
١٧	سورة الحجرات - ١١
١٨	سورة الزمر - ٥٣
١٩	سورة الزمر - ٥٣
٢٠	سورة النساء - ٤٨
٢١	سورة الفرقان - ٧٠
٢٢	حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطُه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبخاري والطبراني
٢٣	حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته ويحوطُه من ورائه". أخرجه أبو داود والبخاري.
٢٤	حديث شريف أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: " فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم " كذلك جاء بصيغ مختلفة عند مسلم والترمذي والنسائي والدرامي.
٢٥	عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
٢٦	سورة الكهف - ٢٩
٢٧	سورة الإسراء - ١٥
٢٨	سورة الإسراء - ١٤
٢٩	حديث شريف: "يُبْعَثُ كل عبد على ما مات عليه". أخرجه مسلم
٣٠	سورة ق - ١٩
٣١	سورة يونس - ٣٢
٣٢	سورة الأنبياء - ٨٩
٣٣	سورة مريم - ٥
٣٤	سورة آل عمران - ٥٥
٣٥	سورة آل عمران - ٥٩
٣٦	سورة محمد - ٢

سورة الإسراء - ٨١	٣٧
سورة يونس - ٣٢	٣٨
سورة البقرة - ١٣٨	٣٩

(٤)

الإسلام.. الإيمان.. المعرفة منارات الطريق إلى الحياة

حديث الجمعة

١ محرم ١٣٨٦ هـ - ٢٢ أبريل ١٩٦٦ م

{قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}¹.

بذلك فرق الكتاب، بين الإسلام، والإيمان، وجعل الإسلام، من واجب الإنسان، تكليفاً، وقبولا، وانتظاما، واستقامة، وجعل الإيمان من فضل الله، على المسلم، ومن أمر الله، يصطفي له من العباد من يشاء ويختار.

وبذلك قام مجتمع المسلمين، في متابعة الرسول، وقبول كتابه دستورا لهم، مجتمعاً من المسلمين، ومن المؤمنين. وما انتظم جمعهم، على إدراك ذلك، والانتظام فيه، والعمل به، توحدت كلمتهم، وتوفرت لهم عزتهم، وأعزهم الله بجمعهم، في جمعهم، واستل من صدورهم السخيمة، إخوانا متفقين، في الله متواصين، وبذكره قائمين، وعلى أمره ساهرين، ولتوجيهه متقبلين، وبعضهم على بعض مؤثرين، لا متفاضلين، ولا متنازعين، ولا همازين، ولا بنميعة مشائين.

انتشر الإيمان من قلوب المؤمنين، إلى قلوب المسلمين، فأصبحوا في جمع متحدين، المؤمن للمؤمن، كالبنيان، يشد بعضه بعضا، والمسلم للمسلم، دمه وعرضه وماله، عليه حرام.

المسلم، من سلم الناس من يده، ولسانه.. المسلم من سأل الله، فيما أمر، وفيما نهى، وفيما وجهه. والمؤمن، من شهد أنه لا إله إلا الله، وشهد محمد رسول الله، امتداد نوره، وقائم حكمته، ولسان علمه، ويد قدرته، وقدم سعيه، ووجه إشرافه، وحوض مائه، وكتاب شريعته، وكعبة ملته، وباب حضرته، ويد نجاته، وقدوة استقامته، وعنوان خلقه، وطريق تخلقه، وسبيل بصيرته، وساحة حضرته.

فكان بذلك طريق الإيمان واضحاً لطالبه من المسلمين، هي في الإيمان بالمؤمن لريادتهم، وطريق الإسلام واضحاً لغير المسلمين، هي في متابعة المسلمين في ريادتهم بالمؤمنين، فكان مظهر الإسلام معلوماً مشهراً هو في إسلام المسلمين للمؤمنين بجمعهم منتظمين. بالحق متواصين، وبالخير مؤثرين.

بذلك قام الإسلام إلى حين، ولو بقي هذا لبقيت رسالة رسول الله للعرب أبد الآبدين، وأزل الآزلين، يتلو كتابه على مكث، ويبين كتابه، يشرق نوره في دوام ويقين، ببصيرة متصلة، وشرعية متواصلة، وحديث من الله لا ينقطع، ونعمة من الله لا تجز، ورحمة من الله لا تتوقف، وعزة بالله لا تتخذل، حق يدوم. وهل يموت الحق؟! قل جاء الحق، فكيف يموت الحق إذا جاء الحق؟ وكيف يرجع الباطل، يوم يزهق الباطل! {قل جاء الحق وزهق الباطل} ٢.

ولما كانت رسالة محمد، قائم الفطرة، ودائم الفطرة، وصبغة الله للفطرة، فكيف يكون بعد صبغة الله صبغة! قامت ولا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، قامت نورا يسري في العقول، ونارا تُشعل في النفوس. ولكن وقد خذل العرب أنفسهم فيها تلقفها عنهم الأعاجم، وحكموهم بها. وردوا لهم أعمالهم باسمها فأذلوهم باسم العلم واستعمروهم باسم الريادة لهم، جزاء ما أساءوا بخطئهم وظلمهم لأنفسهم بتحريفهم للكلم عن مواضعه، وتوسيدهم للأمور إلى غير أهلها. وسموهم بحق بالمتخلفين عن ركب الحضارة، وقد كانوا بالإسلام بناتها وروادها.

{فذلکم الله ربکم الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال} ٣. {إن الدين عند الله الإسلام} ٤. {وله المثل الأعلى، في السماوات والأرض} ٥، وهل عرفنا الله مثلاً أعلى، أعلى من رسول الله؟! طلب إلينا بهدي الإسلام، إن قبلنا أن نكون من المسلمين، أن لا نفرق بين الله ورسوله، وأن لا نفرق بين رسله، فما كان رسله، إلا مظاهر رسالته، وما كان من وصف برسوله، مجرداً عن الأسماء، إلا جماع رسله، وقائم كتابه، وما كان الكتاب، نشهده ونقرأه، إلا الوجود، فيه تواجدنا، وفيه نتواجد، وبوجوده نُوجد، ولجديد وجوده نقوم، فيه نحيا، ولنا نُحيي، فنعرف الله، يوم نعرف الحياة، ونعرف الحياة يوم نحيا بإجابة رسول الله إلى ما يحيينا.

إذا قرأناه، فاتبع قرآنه، ثم إنا علينا بيانه. فهل انقطعت رسالة الله برسول الله، بحياة رسول الله؟ وهل كان لرسول الله حياة تنقطع، أو حياة تتواجد؟ إن رسول الله بمعنى رسول الله، ما كان عدماً، قبل أن يتواجد بيننا بآدمه، لاسمه محمد، لاسمه علي، لاسمه عظيم، لاسمه رحمة، لاسمه رحيم، لاسمه رحمن، وما أرسلناك من عالم وجودك لعالم شهودك، إلا رحمة للعالمين.

بالحق أنزلناه، وبالحق نزل.. أنزلناه من حيث هو، موجود كائن، إلى حيث أنتم، رسولا من أنفسكم، بشرا مثلكم، بحبيته بشرا، شرف البشر، وبحبيته حقا، تحقق الناس من الخلق، وبحبيته حياة، به حي الموتى، من عالم الأموات، وضوعفت الحياة للأحياء من عوالم الحياة.

إن الموتى، من كانت لهم عارية الحياة لا يملكونها، وما كان هو بين الموتى إلا ميتا، ومن أنفسهم.. وما كان بين الأحياء إلا حيا، ومن مثلهم. إنك ميت وإنهم ميتون، أيها الميت، الذي أظهرناك بين الموتى، بالحق أحييناك، وباسم الله بعثناك، ووجهها لله تجلينك، وكتاب علمه أبرزناك، ونور وجوده أشرقناك، وفي لبس عليهم أبقيناك، ورحمة منا مهداة لهم جعلناك، فيك مختبرين، وبك مهتدين.

أنت الحق للخلق، مبعوثا بالحق للخلق، وغيرك الباطل، موجودا بالباطل ودواما وتجديدا له، لمشروع الحياة الأبدية وقد كشفنا بك، عن موجود الحياة الأزلية.. عروة وثقى جعلناك.. ميتا بين الموتى، وحيا بين الأحياء.. ورحمة وربا للعالمين بالحق بعثناك.

يا أيها الناس، لم لا تجيبون الرسول، إلى ما يحييكم؟ وقد جعلنا له نورا من نورنا، يسري فيكم، فيمحو ظلام النفوس لكم، ويمكن لنور العقول فيكم، ويفيض الحياة، على أرض القلوب بكم، فتحرر الأرواح، وتتطور الأشباح، وتشرق العقول، ويمتد إلى الهيكل النور، فتنبشون من ظلام، وتقدمون من إجمام، وتسالمون من خصام، وتسبحون في ملكوت الله، باسم ملكوت الله لكم، بملكوت الله فيكم، في ملكوت الله من حولكم، فتنتقلون إلى الله، وجود وجوده لوجودكم وجوه شهوده، وعباد مشهوده، لا تطغيكم سيادة، ولا تحدكم قيادة.

تطلبون رشاده، وتفارقون عناده، خلف قائد ركبكم من عترته وظلاله معروفا لكم...

مشاهدين للحق فيكم بلا إله إلا الله، قائمين في رسولكم، آمنين بمعناكم، عبادا لمولاكم، في شهودكم لكم، محمدا رسول الله، فلا تزل بكم قدم، ولا يلحقكم على فعل ندم، إن أخطأتم، فغفرته، في خدمتكم، لسكينتكم، وإن أحسنتم، له ذكركم، وله شكرتم على ما وفقتم، ونعمته رجوتكم بما قاربتم ففناؤه عليكم في انتظاركم، اشكروا لي أشكركم، واذكروا لي أذكركم.

فماذا كان من أمر المسلمين؟ وماذا كان من أمر الإسلام؟ انقطعوا عن الرسول بانقطاعهم عن المؤمنين بينهم، باحتجاب آدمه، أنكروه متجددا بأوادمه، حقا عرفوه وآدما شهدوه، ولم يعرفوه أو يؤمنوه، روحا لا تغيب، وشمسا لا تحتجب، ونورا لا يطفئه ظلام، وحكمة لا يهدمها كلام، وسلاما لا يثيره خصام، وصرحا يعلو على الأيام، فكيف تفعل به الأحداث، وهو فوق الأحداث؟ وكيف يقضي عليه الزمان، وهو فوق الزمان؟

وكيف يحبسه ويسجنه المكان، وهو المحتوي للمكان؟ (أنا حي في قبري)^٦، وهو الحياة، (زويت له الأرض)^٧، فكيف تحجزه الأرض؟ (أدبني ربي فأحسن تأديبي)^٨، نخاطب الناس على قدر عقولهم، فكيف يثيره الكافرون! وكيف يحرك حفيظته المجرمون! ما جاء إلا رحمة لهؤلاء، فكيف يجعل لهم الجزاء، ويقطع من ربه لهم الرجاء! (عسى أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله)^٩، فيصلحهم الله بمن صلح من آبائهم، فيصلحون له.

صابرا نفسه، كلما تجددت نفسه، كوثر النفوس وخضم العيوس، يتلو كتابه على مكث، مكث له روحا ونورا، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}^{١٠}، ومكث لكتابته وذاته، إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

وما كان هو وكتابته، كائنين منفصلين، وما كان بذاته وكتابته مفترقين، وما كان وكتابته إلا إنسانا لإنسان في إنسان، ورحمانا لرحمن في رحمن. (تركت فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي)^{١١}، لا أفارقهما. (ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا فإنهما لا يفترقان أبدا)^{١٢}، وما افترقت عنهما أزلا وأبدا.

فما كانت عترتي إلا كتابي، وما كان كتابي إلا عترتي، فن أنا ومن القرآن؟ فما كان القرآن غيري، (كان خلقه القرآن)^{١٣}، وما كنت غير القرآن {ليظهره على الدين كله}^{١٤}، أُوحيَ إليَّ روحا ونورا، فكنت بحقي لحقيتي به موحيه. {إن هو إلا وحي يوحى}^{١٥}، {أوحينا إليك روحا من أمرنا}^{١٦}، وما كنت إلا روحا من أمره، جاءتها روح من أمره، وما عرفت لمعاني من بينكم إلا روحا من أمره، (أنا روح القدس)^{١٧} {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}^{١٨}.

فما أوحى الله كلاما، ولكن أوحى الله روحا، وما جعل الكتاب حروفا، ولكن جعله نورا. ما كنت تدري، ما الكتاب، ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء، يوم أوحينا إليك روحا، لتكون معك، ولتكون لك، ولتكونها وتكونك، هدية الله إليك، هو أقرب إليك من حبل الوريد، لتكون بحقتها لحقك في جلباب خلقك، قاب قوسين أو أدنى، قيام نفسك لنفسك، وبعث حقك لحقك، وقديم أمرك، لمحدث ذكرك، في الموجود المطلق المنزه اللانهائي.

فمن كان الحق يُنشد للمؤمنين؟ ومن كان وجه الحق يُقصد للمسلمين؟^{١٩} إنه هو.. إنه الحق الرسول للحق المرسل، للحق المرسل إليه، أليس هو الصلاة الوسطى؟ أليس هو القبلة؟ أليست غرفته الوجود له للوجود المطلق عند كل من تواجد بوجود له؟

إنه في الحق بالحق، العابد والمعبود، والساجد وقبلة السجود، والمتواجد والوجود، وهو بما هو له، هو لكم، يوم تكونون له، فيكون لكم، فتعرفونكم له، يوم تعرفونكم لمن كان هو له.

عرفه رفيقا أعلى، لموصوف الرب له، لقائم العبد به، يقول له (لا فرق بيني وبينك)^{٢٠}، إن عيني عينك والأعلى لألوهيتي.. وإن عينك عين عيني والأدنى لربوبيتي.. ما ظهر الأعلى، مثل ظهوره لك، بي إنسانا، وما ظهرت مثل ظهوري بك، إنسانا، وما ظهرنا إلا لمن ظهر بنا إنسانا. إن لله في مطلقه شأن آخر، وأمر آخر، ووجود آخر، يُجِبُّ وجودي ووجودك.

إني بمعرفتي وحكمتي وحقي أشهده فيك، على عين ما تشهده فيّ، فنحن خيلان فيه.. نحن حبيبان به.. نحن حق الله وحقيقته في الله لنا، وعلى ما نحن على ما ترى، كل موجود في الوجود فيه، هو على عين وجوده لوجودنا فينا، فيوم يبدأ فإنه على ما بدأنا، يوم بدأنا، ويوم ينتهي ينتهي إلى ما إليه انتهينا، يوم انتهينا.

إني وإياك به، لا انتهاء لنا فيه، ويوم تحقق لنا ولأنفسنا عدم الانتهاء، قام لنا بنا عدم الابتداء، فعرفنا عنا وعرفنا عنه، عرفنا أنه لا بدء له، وإنما البدء من صفاتنا.. ولا انتهاء له، إنما الانتهاء من أوقاتنا، في أطوارنا ومعلمنا.

تنزه معروفنا بنا عن البدء، كما تنزه عن الانتهاء، وتنزه عن الشهود، كما تنزه عن الغيب، فهو المشهود، على ما نشهد، وهو الموجود على ما تتواجد، وهو الغيب على ما تتكفر فغيب، يوم نستخلف لنعرف عند من تخلف، أزواجا تتواجد وتتجدد، وآحادا تتعدد، فتتحد فتتحقق ونخلد.

أما هو في مطلقه فما عُرِف، وكيف يعرف، ولا شريك له، من وجودي أو وجودك، أو وجود هذا الوجود، لوجودي ووجودك! ولكن كيف يجهل، عند من له يوجد وبه يتواجد! إنه يعرف لنفسه يوم يعرف العارف نفسه.

إنه بالأعلى والأدنى معنا يتحد، ففي المطلق تتوحد، وله معنا في مراقينا لنا عبادا نُعَبِّد، وأربابا نُجَدِّد، وفيه وجوها نعبد ونُعَبِّد، فنحن الساجدون وقبلة السجود، والمشاهدون وطلعة الشهود، وروح الحياة لكل ما بنا من موجود.. لسنا فيه غيره، ولسنا لمطلق الوجود عينه، وكذلك كل ما تتواجد بنا من الوجود فينا، فهو ليس غيرنا ولسنا بموجودنا عينه، وكذلك الوجود نحن فيه، تتواجدنا به لنا، وليس هو بموجوده عيننا، ولسنا فيه غيره.

(أظهره على الدين كله)^{٢١}، فعرف الدين كله، فتأدب الأدب كله. (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^{٢٢} (أدبني ربي فأحسن تأديبي)^{٢٣} (ما جئت لأنقض بل جئت لأتمم)^{٢٤}.

جاء رسول الله بالإسلام، وجاء رسول الله بالإيمان.. وجاء رسول الله بالوصلة والاتصال.. وجاء رسول الله بالحكمة والعلم، والمعرفة والسير.. وقام رسول الله بنا لنا له أمة.. وأقام من أقام من بيننا

نفسه، رسول الله، رسولاً لله، فعرّفناه، حياة الطريق، فكانت أُمته شعار الكتاب، ومصدر الحكمة، وطريق المعرفة، ودائم النبوة، وتجديد البشرية، والإنذار وناقوس التحذير والإبكار.

عرّفنا رسول الله، أن الإسلام، دين الفطرة، ليس في حاجة لكتب من السماء، وليس في حاجة لأنبياء يبعثون من الأرض، أو لحقائق تظهر فتنزّل مبعوثاً من الغيب، (كل مولود يولد على الفطرة)^{٢٥} طاهراً مطهراً، وبيئته ومجتمعه يفسدونه، يوم أنهم في فطرته لا يتركونه. إن الإنسان وليد هذه الأرض، هو الإنسان في أحسن تقويم.. إن الإنسان على هذه الأرض، بكل فرد، يدب عليها، هو آدم وجوده في مرحلة من مراحل آدم وفي طور من أطوار وجوده، الله قائم على نفسه، في قائم فطرته، بما كسب في قديمه، مواصلة إلى ما يعمل ليكسب في قادمه، بقاءه.

كل إنسان في فطرته وصبغته، اسم الله.. ووجه الله.. وصفاء الله.. ونقاء الله.. وكرم الله.. ونور الله.. وروح الله.. ووجه الله.. إن لم يفرط في أمره، نما في أمره، وسعد بأمره، وأحكم بأمره، (إنما خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار)^{٢٦}.

(بشر ولا تنفر، يسر ولا تعسر)^{٢٧}.. {واصبر نفسك، مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه}^{٢٨}، يريدون معنك، يقصدون مولاك في قصدك.. يمثلون لأمر ربك، يوم يمثلون لأمرك، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}^{٢٩}...

فيما شجر بينهم.. في أي أمر، من أمور الدين أو من أمور الدنيا، في إنشاء الدور، في تعمیر الخرائب، وإقامة القصور، في إحياء القلوب والتخلص من القبور، {والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}^{٣٠}...

فيما شجر بينهم من أمر المعرفة، من أمر الحكمة.. من أمر الإيمان.. من أمر الإسلام.. من أمر الحياة.. من أمر الدارين.. من أمر الآخريتين.. من أمر الحضرتين.. من أمر النفسين.. من أمر العقلين.. من أمر الذاتين.. من أمر الروحين.. من أمر الشبحين.. من أمر الكونين.. {وخلقناكم أزواجاً}^{٣١}، ظاهر وجود لباطن وجود، وباطن وجود لظاهر وجود.

فمن أي البدأين يكون الشهود، ولأي الأمرين يكون السجود؟ (وما كانت صلاتي إلا ليا)^{٣٢}، (نكحت نفسي بنفسي.. وكنت بعلي وعرسي)^{٣٣}، يوم اجتمع شقا وجودي لعين موجودي، في قائم شهودي.

فإن كان ظاهري، وجد لباطني، فباطني يملكني.. وإن كان باطني قد وجد لظاهري، فظاهري مالك باطني، فقال الذين عرفوا، وباسم الله شرفوا، وبالحق بعثوا (سلك فلك)^{٣٤}.. سلك بظاهره، إلى قائم

باطنه، فملك ظاهره باطنه برضاه، (وملك فسلك) ^{٣٥}، قام باطنه مدانيا ظاهره، فأسلكه، فعرفه مالكا قبل أن يسلك، كما عرفه سالكا قبل أن يملك.

فما كان جبريل، الروح الأمين، مع رسول الله، لذاته الآدم، لمعلومنا بمحمد، إلا هذان الأمران معا. دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فعرف الأدنى أنه عين الأعلى، بسلوكه لتقديم وجوده، وعرف الأعلى أنه عين الأدنى لبروز شهوده، بحق موجوده، فما كان الروح الأمين، لمحمد، غير محمد.. وما كان محمد، للروح الأمين، غير الروح الأمين.

{أوحينا إليك روحا من أمرنا} ^{٣٦}، لنظهرك على ما كنت أمرا لنا، فدرى الإيمان، ودرى الكتاب، وعرفه، فوق النور، وفوق الظلام، وأن النور والظلام ما كانا لسره ومعناه، ولحقه لمولاه، إلا حجاب وجوده، لقائه بموجوده، أمرا لله، وربا لنفسه، فكان بحجابه من الظلام، سر السكينة، والليل إذا يسر، إن في ذلك لقسم وقسم لذي حجر.. {لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد} ^{٣٧}.. {والنور الذي أنزل معه} ^{٣٨}.. {وجعلنا له نورا يمشي به في الناس} ^{٣٩}.. جعلنا له نورا، يملكه وهو سيد هذا النور، إنه الحق من الله، إنه الأمر لله.

فماذا كان من أمر المسلمين؟ منا أمير ومنكم أمير! لا بل نحن الأمراء وأنتم الوزراء. هل هذا هو لون التواصي بالحق؟ هل هذا هو الكلام في دين الله! هل هذا هو الكلام في كتاب الله! هل هذا هو الكلام عن رسول الله! نحن نصرناه! وآوينا! ونحن أعزنا، وهاجرنا معه! {قل لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان} ^{٤٠}، ولكنه الجاه.. ولكنه الملك.. ولكنه السلطان.. ولكنها الدنيا.. ما زالت شاغلهم وهواهم!

حصروها، في لفظ الإمامة، وهم لا يعرفون الإمام ولا الإمامة، حتى يومنا هذا، فلا يعرفون لها معنى، ولا يعرفونها في الله أمرا، هو من فعل الله القائم بقائم الخلق الدائم. هي يوم تسفر فني صحبتها السلامة وفي جفوتها الندامة. (إن رحمتي سبقت غضبي) ^{٤١}.

{فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف} ^{٤٢}، فماذا كان جزاؤه منهم لأهل بيته؟ كان الجوع والخوف، {لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى} ^{٤٣}، فماذا قدمت أمته من المودة؟ كانت المودة دفعهم إلى المقابر قبل الأوان، وبكاؤهم على المنابر في كل زمان، وأصبحت القربى، مقاربة المقابر، وذراية ^{٤٤} اللسان على المنابر {يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم} ^{٤٥}، والله ماقتهم، {كبر مقتا عند الله، أن تقولوا ما لا تفعلون} ^{٤٦}، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، وما زلت المتفضل عليكم يوم توادون، {ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا} ^{٤٧}.

فتنكر الناس لبيت رسول الله. فإذا كان أثر ذلك على أمرهم؟ ارتدوا على أعقابهم في عزة وشقاق، وقد تفرق جمعهم، واختلت موازينهم، وبلبلت أفكارهم، وتمعلت طوائفهم، وتمشدت منابرهم، وسودت الصحف البيض محابرهم، وجرت بالضلال أقلامهم، وأمهم بالجهل جهلاؤهم، وسامهم بالظلم طغاتهم، فاختلف أمرهم، وجمدت جذوتهم، وذابت عنهم ريحهم، وانقضى وعري عنهم لباس عزهم.

كيف لا.. وقد فرطوا في أمرهم أمراً لله! ولم يستجيبوا، ولم يقبلوا من الصادقين بينهم، يحددون لهم أمرهم، من أمر الشيطان إلى أمر الرحمن، ليغيروا ما بأنفسهم فيغير الله ما بهم، عباداً للرحمن يبعثون بالحق فيهم بينهم، رسلاً من أنفسهم حقائق الله، يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

أخذوا من الكتاب ما تشابه منه، وقد أتوا به متشابهاً ليقى وليدوم، ولتلمسه قلوب الصادقين الصافين، ويتباعد عن تناول المظلمين المنحرفين الطاغين الضالين المضلين يعملون لغايتهم به لفظاً، حفظاً له بظاهرة لبقاء ظهوره، عند مجسدي معانيه، بعيدة عن حقائق مغانيه.

فيه آيات محكمات، هن أم الكتاب، فارقوها، وما تابعوها، وما أعملوها، وما فقوها أو ذكروها، وهي للآمي مفقوهة. {الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا، تنزل عليهم الملائكة} ^{٨٩}، ماذا في هذا يحتاج إلى تأويل أو إلى بيان أو تفصيل؟ {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ^{٩٠}، على بصيرة هي عين بصيرته، عين ما كان لأناه عين وجوده ومعناه.. ماذا في هذا يحتاج إلى تأويل؟ هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ^{٩٠}.. هل أنا في حاجة إلى مطولات التفسير لأدرك هذا التوجيه؟!

ومن هذا في الكتاب الكثير، وفيه طبعاً، الجميل، لكشف الحكمة، ولسر الإيمان، ولنهاية المؤمن، ولحقيقة العارف بالله، الخبير به، ملئ القرآن، بتقييم الناس، وبوضع الناس في مواضعهم، وإنزالهم في منازلهم، لمسه الكثيرون، وأبانه غير القليلين، ولكن الناس عن ذلك وعمن يتناوله من أهله يحجمون، بضلالة الضالين المضلين، من فقهاء الدين، من المسلمين وغير المسلمين، في خدمة الطغاة الحاكمين.. يرددون في دوام مترنمين بقذيفة الشيطان (أوحى بعد رسول الله) ^{٩١}؟ هو ختام النبیین!

إن الذي نحن فيه من فساد الأمور، ومن فقدان الأمان والسلام في الدور، إنما هو أثر من آثار الآباء، بالالتفاف حول الجهلاء في متابعة الغافلين، ومجانبة اليقظين، توارثنا الغفلة، وغنينا بميراث الغافلين، فما تجمعنا إلا حول غافلين، وما استمعنا إلا لجاهلين. وما ذكرنا بيننا من سلف، إلا مثالنا، ومثال ما نجمع

عليهم من الضالين، مجانبين من بيننا من كان من المشرقين ومن المتحققين، مخاصمين أسلافهم وأسلافنا من الصادقين.. ندور حول بيوت الظلام ظالمين ومظلومين.

هذا هو حالنا، في جماع واجتماع، في جمعنا، إلا من رحم، وقليل ما هم، {وقليل من عبادي الشكور} ٥٢.

{من يهد الله، فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا} ٥٣. ماذا في هذا يحتاج إلى تفسير أو تأويل؟ (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ٥٤ و (المؤمن مرآة أخيه) ٥٥، (المؤمن مرآة المؤمن) ٥٦، وما كان الأعلى، في أحسن تقويم، إلا رفيقا للأدنى في أسفل سافلين، يد نجدة الله وحوض رحمته. فالمعلم حتمية وضرورية في الدين، وهو يوم يخالط الحاكم يخرج من خدمة الرحمن، ودخل في حزب الشيطان. (إذا خالط الفقهاء الأمراء فاحذروهم فإنهم قد تذأبوا) ٥٧.

إن البشرية، في ظاهرها، والبشرية في باطنها، والبشرية في وحدتها بظاهرها وباطنها، لسبق لها وللحاق منها، هي البشرية، وقد شرف الله البشرية، وبشر أهلها ومعانيها، فما كان البشر إلا البشري، بشر ولا تُنفّر، يسر ولا تُعسر. ولكننا بمباعدتنا لما بين أيدينا، ولما أقام الله لنا برسوله، زلت بنا القدم، وانفرط منا العقد، وفرطنا في أمر الله لنا، فعبدنا بعضنا بعضا من دون الله، وألھنا بعضنا بعضا من دون الله، ولو أَلْهَنَّا بِاللَّهِ لِأَمْرِنَا عَلَيْنَا، مَا كَانَ فِي ذَلِكَ غِبَارٌ وَلَا عَيْبٌ، وَلَوْ عِبَدْنَا لَنَا فِي اللَّهِ مَعْنَا مَا كَانَ عَلَيْنَا مِنَ اللَّهِ لَوْمٌ وَلَا عَتَبٌ، بَلْ هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَّا لِإِدْرَاكِهِ لَنَا وَالْعَمَلُ لَهُ.

إن الله بقاءه على كل نفس بما كسبت، وبمعيته لكل نفس وأقرب إليها من جبل الوريد، هو بموجودها لها ما كانت إلا وجودا له، هو من ورائها بإحاطته، {فأيتما تولوا فثم وجه الله} ٥٨. فلو أننا تكلمنا عن الله مشهودا، وعن الله موجودا، وعن الله عابدا ومعبودا، ما كان في حديثنا وكلامنا غبار، أو أمر يلام، بما جاءنا من تعاليم الكتاب، أو بما جاءنا به هدي الرسول، وحديثه إلينا متصلا قائما بيننا، فلن يصلح لنا أمر، ما لم نستيقظ فنضع أنفسنا في ميزان التقدير، وننقدها بيقين وبعين البصير، ولا نخجل من كشف أمرها بالتعبير، فنحن وجوه ناضرة، للرحمن، أو وجوه عليها غبرة ترهقها قفرة للشيطان.

(إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) ٥٩، ضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش ٦٠. {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} ٦١. فأسأل الله لي ولكم المغفرة، وأسأل الله لي ولكم أن يوفقنا لتغيير ما بأنفسنا، وأسأل الله أن يمن علينا بتغيير ما في أنفسنا، وأسأل الله أن يجعل لنا من رسول رحمته نصيبا، وفرجا قريبا.

لا إله غيره ولا معبود سواه، ولا قيام إلا بالله، ولا معرفة به إلا لرسوله به نعرف، وبه نعرف. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الحجرات - ١٤
- ٢ سورة الإسراء - ٨١
- ٣ سورة يونس - ٣٢
- ٤ سورة آل عمران - ١٩
- ٥ سورة الروم - ٢٤
- ٦ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٧ من حديث شريف: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها فإن أمتي سيلبغ ملكتها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض... أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٨ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسرقسطي في كتابه "الدلائل"، والسيوطي في كتابه "الجامع الصغير"، وابن السمعاني في "أدب الإملاء"، وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان. يوصف بأنه ضعيف السند، صحيح المعنى.
- ٩ من حديث شريف طويل روته عائشة أم المؤمنين منه .. "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة... فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. صحيح البخاري.
- ١٠ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ١١ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله عز وجل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ١٢ نفس الحديثين الشريفين في الملاحظة السابقة.
- ١٣ حديث شريف: "سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خلقه القرآن". أخرجه أحمد واللفظ له، وأبو يعلى، والطحاوي مطولا.
- ١٤ سورة التوبة - ٣٣
- ١٥ سورة النجم - ٤
- ١٦ سورة الشورى - ٥٢

- ١٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٨ سورة النحل - ١
- ١٩ تم التشكيل في هذه العبارة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.
- ٢٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢١ استلهاما من {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} سورة - ٩
- ٢٢ حديث شريف: أخرجه أحمد والبخاري، والبخاري باختلاف يسير.
- ٢٣ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسرقي في كتابه "الدلائل"، والسيوطي في كتابه "الجامع الصغير"، وابن السمعاني في "أدب الإملاء"، وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان. يوصف بأنه ضعيف السند، صحيح المعنى.
- ٢٤ استلهاما من الآية في الإنجيل: "لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأَكْمِلَ." مت ٥: ١٧.
- ٢٥ الحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يَمَجْسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَيْمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ." كما جاء في صحيح البخاري،
- ٢٦ مقولة للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز. أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- ٢٧ استلهاما من الحديث الشريف: (بشروا ولا تنفروا يسروا ولا تعسروا). صحيح أبي داود
- ٢٨ سورة الكهف - ٢٨
- ٢٩ سورة النساء - ٦٥
- ٣٠ سورة العصر ٣: ١
- ٣١ سورة النبأ - ٨
- ٣٢ مقولة صوفية لم نستدل على قائلها، ولكن يمكن فهم المعنى من السياق.
- ٣٣ من قصيدة للشيخ محيي الدين بن عربي.
- ٣٤ من الوظيفة الشاذلية للسيد أبي الحسن الشاذلي.
- ٣٥ نفس الملاحظة السابقة.
- ٣٦ سورة الشورى - ٥٢
- ٣٧ سورة البلد - ٣: ١
- ٣٨ سورة الأعراف - ١٥٧.
- ٣٩ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٤٠ سورة الحجرات - ١٧

- ٤١ حديث شريف ذات صلة: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي". صحيح البخاري
- ٤٢ سورة قريش - ٣-٤
- ٤٣ سورة الشورى - ٢٣
- ٤٤ سلاطة اللسان والفحش في الكلام.
- ٤٥ سورة آل عمران - ١٦٧
- ٤٦ سورة الصف - ٣
- ٤٧ سورة الشورى - ٢٣
- ٤٨ سورة فصلت - ٣٠
- ٤٩ سورة يوسف - ١٠٨
- ٥٠ سورة الفرقان - ٥٩
- ٥١ عبارة جاءت في الأثر في أكثر من قصة على لسان بعض الصحابة والمتابعين يعبرون بها عن اعتقادهم بأن وحي السماء توقف بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.
- ٥٢ سورة سبأ - ١٣
- ٥٣ سورة الكهف - ١٧
- ٥٤ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٥٥ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يُكفُّ عليه ضيَعَتَهُ ويحوطُ من ورائِهِ". أخرجه أبو داود والبخاري.
- ٥٦ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يُكفُّ عليه ضيَعَتَهُ، ويحوطُ من ورائِهِ". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٥٧ يتوافق في معناه مع حديث أخرجه الديلمي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة". أيضا، أخرج الديلمي الحديث الشريف: "عن الحسن قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما لم يماري قراؤها أمراءها".
- ٥٨ سورة البقرة - ١١٥
- ٥٩ حديث شريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم". أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم". أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.
- ٦٠ وفقا لحديث شريف ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن الرسول قال لعائشة: ضيقي مسالك الشيطان بالجوع.
- ٦١ سورة الرعد - ١١

(٥)

العروة الوثقى بين قبله وبعده لقائه هو وجود الله لسابق وجود الله وهو وجود الله للاحق وجود الله في مطلق الوجود اللانهائي لله

حديث الجمعة

٨ محرم ١٣٨٦ هـ - ٢٩ أبريل ١٩٦٦ م

بسم محمد الله.. بسم محمد محمد.. بسم محمد الناس.. بسم اسم الله.. بسم الحق من الله.. بسمه اللهم.. بسم الله.. بسم الله الرحمن الرحيم.. باسمه نبداً، وبه نستعين، وبحقه بنا نعوذ لنبين.

عليه نتوكل، وبه نقوم، ولأنفسنا، ونلخير أنفسنا نعمل، نشقى ونسعد، في لا إله إلا الله.

{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ}¹ هذا محمد الناس، الناس جميعاً في قابلياته يصلحون لصلاحيته، كافة للناس أبرز، قدوة لهم ليكونوه.

{وإنك على خلق عظيم}².. هذا محمد محمد، محمد نفسه، عرف نفسه فيما قدمت وأخرت، وفيما به من الحق بعثت، ولم يتجاوز في الله وضعه ولا في الناس أمره.

{وقل جاء الحق وزهق الباطل}³.. هذا محمد الله، فرغ من كل ما سوى الله، فقام نُصبا وقبلة للناس، وبيتاً يذكر فيه اسم الله.

أبرز الله، آدماء مجدداً وجديداً لإنسان الله، بمن عرفناه محمداً رسول الله وعبدته، علّمه الأسماء كلها، وأظهره على الدين كله، فتواجد على ما وجد، وقد كشف له عنه غطاؤه فوجده ضالاً على ما هو، ووجده فقيراً على ما هو، ووجده يتيماً على ما هو، فعرف نفسه على ما هي، فقيراً عَفَ عن طلب

الغنى، غنيا بقناعته، قانعا بحاله، مستغنيا عما يفتقر إليه الناس، بما سخر له الله. (كن غنيا عن شئت، تكون أميره، وكن فقيرا لما شئت تكون أسيره)٤، فكان غنيا بفقره في فقره، برضائه بأمره.

سار في طريق الحياة المستقيمة بفطرته، ضالاً عن غايته، مدركاً لأمر حيرته، راداً نفسه إلى قديم، طلباً لحي أبوته، قدرها في قائمه، وقدره بها في قادمه، فأمن بوجوب وجودها لقائم وجوده بها، ولكن ماذا من قبل؟ وماذا من بعد؟ من الذي أوجد من منه تواجد؟ ومن الذي يبقى بعد الذي أوجد؟ حار في أمره وأمر موجدّه، فكان بذلك عالماً حكيماً، فلم يسلك مسالك قومه الذين وجدوهم على أمة واهمين، بما وجدوا عليه آباءهم فكانوا بأنفسهم ضالين، في متابعة الغافلين، يوم اقتفوا آثار آبائهم فانين، على ما كانوا فيه من دين.. للأصنام ركعا سجداً عابدين.. وللأوهام عبداً خاشعين، لا يعرفون حقاً قديماً أو قائماً يبقين منه تواجدوا، وإليه يعودون، ولا يطلبون حقاً جديداً في قادم يرجون، وله يعملون.. ولا يروهم عن أوهامهم راجعين، شعورا بافتقار إلى الحق أو إلى الوعي أو إلى الحكمة لصالح أمرهم ينشدون ويعملون، فلا أمر آبائهم يتدبرون، ولا في أمر أنفسهم يحارون، ولا لأمر أبنائهم يجتهدون، فيطمعون، فيبيتون ويعدون لمستقبلهم قلقين، ففارقهم الرسول في أمرهم بمجانبته لهم فكان بذلك مجاهداً مستقيماً وطارقاً للباب، وأمام الباب مقيماً، فلما أثر عمله، وآمن بوعيه، وعبد للروح معه قائم نفسه، عرف الإسلام لمعلومه دين الفطرة، فدعا إلى ما عرف، بعد ما كلف.

افتقده لنفسه في حيرته، من يكون؟ ولمن يكون؟ ومن له يكون؟

فأرجع النظر والتأمل إلى آباءه، فوجدتهم في معانهم لمعناه، على عينه، وعين معناه، فليس يهيم لإدراكه عنده، ما يرجو لأمر نفسه.

وتأمل في قادمه علّه يأمل تحقيق مراد بعرفان، فيما قد يكون فيه أبنائه يوم يكونون على ما يكونون، بما تصور أنه لهم ربما يكون، ولكنه عاد فأدرك أنه كائن، من أبناء كانوا، لآباء وجدوا، وأنه في أبنائه سيكون على ما هو كائن، فإلى أي أمر هو يؤول ليكون؟ هذا ما يجب أن ينقب عنه فيه بهمته في حاضره وقائمه.

ارتد إليه البصر، كلها تجول، وكلها فكر، وكلها لأمره تدبر، وتأمل في كل ما عقل، فعرف بما عقل أن ما لم يعقل ما كان إلا على عين ما عقل، فإلى أين المصير؟ ومن أين هذه الكينونة؟ إنه بقائمه بها زائل، وإنه مهما تجدد بها بأبنائه يزول، إنه بها في الآباء زال، وفي الموجود يفنى، وفي العقب يزول، ولا يبقى، وهو بحاضره لا يدرك لشيء من أمر قديمه، لفرض تواصله باتصاله على ما قدر، فما يكون الحال؟ وما يكون المآل؟ وما كان من أمر ما زال؟

فهل هذه هي الحياة؟! فما يكون الأمر؟ بذلك صلح أن يثير عطف أصوله من الآباء الأحياء، وعطف فروعه من قادم الأبناء الأحياء، فنظر إليه من القديم بحقائقه شديد القوى، من أصول وجوده، وهو بالأفق الأعلى نظرة الآباء بقائهم إلى أزل، بنظرهم إلى قائم الأبناء لهم من خلاله نظرة الحياة المحيية إلى أبد.

ثم دنا فتدلى أقربهم إليه وألصقهم به فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه ما أوحى، فبعث الولد بأبيه، بقائم الحق فيه، وأمحي محدثه إلى باقيه، بناموس الحياة بالحق للإنسان بالأب وبنيه، ونطق بالصدق، وحقق لنفسه ولمن حوله، السكينة والأمن، والسلام والعلم، فكان كتاب الإخلاص، وسفينة الخلاص، وركب الحياة، وموكب النور، عروة وثقى، بين قديم الإنسان إلى أزل، وقادم الإنسان إلى أبد، لقائم الإنسان في قيام سرمد، فقام آدم خلق وأول عابدين، وبعث إنسان حق وأول بيت وضع رحمة للعالمين.

{وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}° ولك جعلناه، ولبسنا عليك ما لبست بينهم رسولا من أنفسهم، فكنت لنا لباسا به تدرنا، وناسا بأحد جمعها تعارفنا وتلاقينا، فكنا لك بمن لأنفسنا كان ليكون قائم ظلال نفسك كوثر اصطفيائك، وبصبغة الحق للإنسان في سرمد صبغناك.

كنت قلبا لا تأخذه سنة ولا نوم، به كنتنا، وكنت قالبا، أسلم لقلبه، فاستقام بجوارحه لنا، واستجاب للناموس عندنا.. فكنت وجودا من وجودنا، وعيدا من عبادنا رضيناه لنفسنا، وجعلناه قدوة لخلقنا.

لم ينفصل القلب عن القلب، ولا القلب عن القلب فيك، بذلك كنت الناموس لوجودك، يوم كنت على خلقك، هذا الخلق العظيم، فطرة الوجود، موجودا لعين الأكبر من الوجود مشهودا، فأبرزناك في العوالم هيكلًا للشهود، وقبلة للسجود، ونصبا للطواف حول المذكور في بيت المعبود {فإذا فرغت فانصب}، ومزيذا من الله فاطلب، وإلى ربك فارغب، لك منه عطاء غير مجذوذ لمراقبك لذاتك وظلالك ومعانيك، ولسوف يعطيك ربك فترضى.. قل جاء الحق وزهق الباطل.

إن يوم الفصل كان ميقاتا، وإنه لهم لقريب، فاصفح الصفح الجميل، يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، وها أنت بعلمها بقائهم، مشفق منها وباخع نفسك على آثارهم ليتجنبوها وليكونوا بجوارك لساعتهم يوم يلاقوها، فعسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عندهم، فيتبعون الداعي لا عوج له، وتخضع الأصوات للرحمن، فلا تسمع إلا همسا، كأنهم إلى نصب يوفضون، أنت من هذا قاب قوسين أو أدنى لقادم أمر لك، يصدر عنك، ما داموا لا يستقبلون الرحمة، إلا مع حامل لها بقهر، وبظاهر من جهر.

فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب، كلما قمت وتقلبت في الساجدين، إنا أعطيناك الكوثر، فلن يغيب لك باسم الحق بين الخلق مظهر.. تقوم وتقلب في الساجدين بما جعلنا لك من نور تمشي به في الناس. ومن الليل فتجد به نافلة لك. بك تبعث النفوس من ظلامها بنورها مشرقة، وبنارها محرقة.

باسم الله نتكاثر، وبنور الله تنتشر، وبالله تذكر، ووجه الله تذكر، ورحمة الله تشكر، وقدرة الله تصبر، إذا ظهرتنا، فتناسك، وإذا تواجدتنا، فلا تذكرك إلا مولاك {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} ٧.

دع الناس على ما هم الناس {فذكر إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى، ويتجنبها الأشقى} ٨. {واذكر ربك في نفسك، تضرعا وخيفة، ودون الجهر من القول بالغدو والآصال، ولا تكن من الغافلين} ٩.

ادعهم إلى معنك، ليقوموا عينك فيك وفي مولاك لك، يوم يقومونك، فقلوبهم وقولهم يشهدونك، يوم يعرفونهم ليسوا غيرك، فيعرفون الله لهم بك ليس غيرهم، ويوم يعرفونك ليسوا عينك، يعرفون الله لهم ليس عينهم، كافة للناس ارتضيناك، لقائمك، بقائمك، لقيامهم، وبقيومك، لقائمهم في قيوهم حجابا لنا وحجابا لهم، إكبارا لنا، ورحمة بهم، لا حجابا عنا ولا احتجابا منا...

إذا تراصوا مع لبنة وجودك، لوجه ظهورك بعترتك أنت لها أول وهي بك كوثر، لبنات لعين لبنتك، وسجدوا عين سجودك، آباء وأمهات، صاروا إلى عين موجودك، قلوبا اتحدت فكانت قلبا، وذوات توحدت، فكانت ذاتا، ولبنات بيت تراصت، فكانت بيتا يذكر فيه اسم الله، موضوعا أو مرفوعا، بوجود هو بيت الله، صغر إلى غرفة، أو كبر إلى عالم، أو إلى ساحة رب العالمين في معروف هو الله، حياة الأحياء ومصدر الحياة.

جعلناك شعارا لا إله إلا الله، موجود وجودك، وموجود وجوده، في وجودهم بدوام وجودك، بكرمك وجودك، كرما وجودا، ممن بعثك رحمة مهداة، وقبله مرتضاة، وهيكل لوجه معناه، روحا من الله، وروحا أعظم، وكلمة لله، وجماع كلمات.

أنت كلمة الله بذاتك ومعنك، وكلمة الله بروحك ومبناك، لم تفرق كلمة الله لروحك، عن كلمة الله لذاتك، فكانت قلبا وقلبا كلمة الله، وجماع كلمات لله.. كنت قلبا وقلبا اسم الله، وجماع أسماء لله.. كنت قلبا وقلبا هيكل الله وجماع هياكل لله.. مدينة العلم وباب الإطلاق وسفين الانطلاق، لركب الله لسفن الله ومدن الله.

يُجْزَى الغرفة، لقلبه كعبة وبيتا حراما، وللناس بعثا وقياما، من والاك، ومن فتح قلبه لنور معنك، ويُجْزَى عوالم الوجود لقلبه وأبعاضه وكوثره من تابعك بمبناه لمبناك، فقامت وتقلبت فيه بقلبه لمولاك بالسجود، ولموجودك في قلبه بالوجود، وفي موجوده للحياة بالحياة للشهود.

أنت الحي القيوم، يوم هم بك يحيون، وبك يبعثون، وبك يقومون، قياما لله، له في أنفسهم يسجدون، وله في إدراكهم بعقولهم يدركون، فخصن لا إله إلا الله يدخلون، وشعار لا إله إلا الله يرفعون، علم رؤوسهم وجنان عقولهم، وسر قلوبهم، وحركة قلوبهم، وانطلاق أرواحهم.

إنسانا لله وإنسانية له كنت.. وإنسانية لله وإنسانا له أنت كائن.. وإنسانية لله وإنسانا له تكون.. أنت محمد الله، قديما وأزلا، وأنت محمد الله، قادمًا وأبدًا.. وأنت محمد الله، في قيامك لحمدك، قدوة للكافة كنت، وللکافة تكون، وللکافة أنت كائن، قديما ارتضيناك، وبقديمك قدوة قائمة أبرزناك، وقدوة متجددة واليناك...

عبدا لمعنانا، وربا بمعناك، عبدا فيمن عرفت، وفيمن وصفت، وفيمن قدرت فأكبرت فلاقيت، فيمن ذكرت ففنيته، وربا به فيمن علمت، فكتبنا أبرزت، فيمن إليه سقت، وحكماء تواجدت فيمن أشهدت، فعلماء خلقت وتجلت.

أنت الحياة للناس نائمين ويقظين، فأنت كل الناس بحق الحياة قائمين، وأنت لهم الروح الأمين، وأنت لهم كل الروح بما يكون.. وأنت لهم الحق يبعث ويقوم.. وأنت فيهم كل الحق يبقى ويدوم، فيمن لا شريك له، ولا وصف له، ولا كفاء له، ولا مثل له، ولا غير له، {قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون}، {هل تعلم له سميا}.

هل كان له اسم به ظهر إلا ما سماه به لنفسه (الإنسان)؟ وهل تسمى فيه بالأسماء إلا (الإنسان)؟ وهل ظهر بالأشياء إلا (الإنسان)؟ وهل عرف ما يليق أن يعرف من الحق غير (الإنسان)؟ وهل شرف بما يشرف الحق به إلا (الإنسان)؟

فقال رسول الإنسان، إنسانا، لمن يقبل أن يكون إنسانا، ولمن يطلب أن يكون إنسانا، ولمن يقنع لو صار إنسانا، قال لمن يتوهم من كائنات البشر والجن والملك أنه إنسان، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان) ^{١٢}، وما ظهر الله لشيء مثل ظهوره للإنسان، وما ظهر الله إلا بالإنسان، وما ظهر الله إلا للإنسان، وفي نفسه وحسه، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا} ^{١٣}.

اتبعوني يحببكم من تطلبون، وله تعرفون، ووجهه بكل موجود تشهدون.. اطمثنوا وأبشروا، فما أنا بينكم مبعوثا بالحق، إلا بشر مثلكم يوحى إليه، وكلكم بشر يوحى إليه، {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} ^{١٤}، إنه لا يئأس من روح الله، تدانيه وتوحى إليه، ويوحى بها نورا وكتابا وعلمًا وحكمة، إلا القوم الكافرون.. وإنه لا يئأس من رحمة الله يوم يجاهد لتغيير ما به، إلا القوم الخاسرون.

إن الله يعلم الإنسان عن نفسه في نفسه بنفسه، ويغنيه من عوزة، ويأويه من قطيعته ويته، وفي ذلك علما وعملا يكون الدين، {وأما السائل فلا تنهر} ١٥٠. {فأما اليتيم فلا تقهر} ١٦٠. {وأما بنعمة ربك فحدث} ١٧٠. {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} ١٨٠. {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} ١٩٠.

هو رب نفسه، يوم يصدق في طلب ربه، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه} ٢٠٠، وهو فتنة نفسه، يوم يصدق في فتنة نفسه، {ومن ضل فإنما يضل عليها} ٢١٠.

خلق لكم أنفسكم في معانيكم للأنا لنفسه، فسرت أوهامكم في أنفسكم من أنفسكم لهماكل عوالمكم، بقوالبكم من الطين، من كونكم لنفسه، بوهمكم، لمادتكم إنها هي أنفسكم، وإنها نفسه، إنها غلالة من طين جعلت فيها فتنتكم، لأنكم بها تحسون بالأنا الكاذب، {إن كيد الشيطان كان ضعيفا} ٢٢٠، وبالحياة في أنها بكم لا تطلبون، وعن الحياة في معناها لكم تغفلون، هي لأناكم في معنائكم، له تعمهون، وفي أنفسكم لا تبصرون، وإلى ما فيها لا تتجهون، وقبلتكم فيكم، لا تقصدون، وحوها لا تطوفون، والله في بيته لا تسجدون، ونصب قلوبكم لعالم قوالبكم، لا تقيمون، {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس} ٢٣٠، وأنتم لا تدركون.

ولو اجتمع جنسكم إنسا وعقلا وعقولا، وجنكم نفسا ونفوسا على أتقى قلب رجل منكم به تؤمنون، وبه تعرفون، وأعطيت كلا منكم مسألته ما نقص من ملكي شيء، فمن ملكي لا تخرجون، وعنه لا تنزلون.

فما كان خلقكم ولا بعثكم، ولا يكون، إلا كنفس واحدة. فما كان ولن يكون ذلك علي بعسير، بل هو عندي أمر يسير، {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم} ٢٤٠، {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} ٢٥٠، {كما بدأنا أو خلق نعيده، وعدا علينا، إنا كنا فاعلين} ٢٦٠، هذا لكم يكون على ما تحقق لمن تحقق له من قبلكم على ما كان.

وما خلق السماوات والأرض، إلا أكبر من خلق الناس، لو كان الناس يعلمون خلق أنفسهم، ويعلمون خلق السماوات والأرض، وإني لمشهدهم يوما، في كرة رابحة من كرات الحياة لهم، خلق أنفسهم، وخلق السماوات والأرض، ومتخذهم عضدا، يوم يؤمنون بالله ورسوله لقائمهم بالحق، فلك يعرفون، وبك يقومون، فلي يشهدون، وفي أنفسهم يتحققون.

ذَكَرَ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، سِيذَكِرْ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّقُونَ، وَهَؤُلَاءِ لِلْحَقِّ يَرْبِحُونَ، وَيَتَجَنَّبُهَا مِنْهُمْ الْأَشْقَى، مَنْ لِلْحَقِّ فِيهِمْ يَعْمَهُونَ، فَلِلْحَقِّ يَخْسِرُونَ، فَرِيقٌ لِلْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ لِلسَّعِيرِ.. فَرِيقٌ بِقُلُوبِهِمْ يَحْيَوْنَ، وَبِقَوْلِهِمْ يَتَطَوَّرُونَ، وَفَرِيقٌ يَهْلِكُونَ لِقُلُوبِهِمْ لَا يَحْيَوْنَ، وَمَعَانِيهِمْ يَفْقَدُونَ، فَوْقُودًا لِلنَّارِ مَعَ الْأَجْجَارِ بِقَوْلِهِمْ يَكُونُونَ.

إِنَّ الْحَيَاةَ فِي الْإِنْسَانِ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ فِي الْحَيَوَانِ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ فِي النَّبَاتِ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ فِي الْجَمَادِ، إِنَّمَا هِيَ الْحَيَاةُ فِي وَحْدَتِهَا لِمَجْمَعِهَا فِي الْأَحْيَاءِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ، يَكْسِبُونَ مَقَامَهَا. إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْقِرُونَ، وَنِيَامَا عَلَيْهَا تَمْشُونَ تَرَوْنَهَا وَهِيَ تَمْدُكُمْ بِالْوُجُودِ، وَتَمْدُكُمْ بِالْحَيَاةِ، يَوْمَ أَنْكُمْ تَسْتَيْقِظُونَ. إِنَّ السَّمَاءَ الَّتِي تَظْلِكُمْ عَلَى مَا تَشْهَدُونَ، كَأَنَّ حَيًّا، تَرَوْنَهُ وَهُوَ يَمْدُكُمْ بِالْحَيَاةِ، يَوْمَ أَنْكُمْ تَشْهَدُونَ مَا لِلْحَيَاةِ مِنْهُ تَسْتَقْبِلُونَ.

فَبَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ أَنْتُمْ تَتَرَدَّدُونَ، دَارًا لَكُمْ فِيهَا تَقِيمُونَ وَبِخَيْرَاتِهَا تَتَعَمَّقُونَ، وَبِهَا تُتَوَاجَدُونَ، وَلَهَا تَشْهَدُونَ، جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَعْدَتِ، عَلَى مَسْتَوَى الْمُتَّقِينَ، لَا عَلَى مَسْتَوَى الْعَارِفِينَ، وَلَا عَلَى مَسْتَوَى الْمُتَحَقِّقِينَ الَّذِينَ مِنْهَا يَخْرُجُونَ، إِلَى الْمَطْلُوقِ يَقْصِدُونَ.

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ.. يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الَّتِي اتَّقَتْ اللَّهَ وَاطْمَأْنَنَتْ بِهِ، ادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي، فَإِنَّهُ لَمْ تَسْعَنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، الَّذِي اتَّسَعَ لَهَا فَوْسَعَهَا وَطَوَّاهَا، وَبِالْحَيَاةِ مَلَأَهَا وَأَغْنَاهَا، وَبِالْمُتَّقِينَ شَخَّهَا، وَبِهِمْ أَبْقَاهَا، وَإِلَيْهِمْ بِخَيْرَاتِهَا زَفَّهَا، وَإِلَيْهَا بِهِمُ وَالَاهَا.

مَا قَدَّرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} ٢٧، {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ٢٨، عَبْدًا أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا {وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} ٢٩، {وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} ٣٠، {ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا} ٣١.. {فَصْرَهْنَ} ٣٢، إِنَّا لَنَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ، إِنَّا نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ مِنْ إِمَامِهِمْ، إِنَّا لَا نَلَاقِي أَنَاسًا إِلَّا فِي إِمَامِهِمْ، إِنَّا لَا نَنْظُرُ إِلَّا إِلَى عَبْدٍ لَنَا، هُوَ الَّذِي عَرَفَ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَنَا، فَمَا نَظَرْنَا إِلَيْهِ، إِلَّا نَظَرْنَا لَنَا، نَظَرًا مِنْ إِيْلَانَا.

هُوَ {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ} ٣٣، فَمَا كَانَ عَبْدًا لَنَا إِلَّا مَنْ كَانَ فَرْدًا بِنَا وَكُوْثَرًا بِنَفْسِهِ وَجُوهَا لَنَا، (الْمُؤْمِنُونَ كَأَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ) ٣٤.. (الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ) ٣٥.. (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) ٣٦.. بَيُوتٌ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ، بِهِ جَاءَ الْحَقُّ بَيْتًا وَضَعُ لِلنَّاسِ بِنَصَبٍ قَامَ بَيْنَهُمْ، لِلْعِلْمِ بِهِ وَالْعَلَمِيَّةِ عَلَيْهِ.

إِنْ مَنْ قَامَ فِي رَسُولِ اللَّهِ، بَيْتًا يَذْكُرُ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ، دَخَلَهُ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لِقَائِهِ وَدَائِمَ عِثْرَتِهِ لِكِتَابِهِ بَيْنَ النَّاسِ لِلنَّاسِ دَخُولًا فِي عَهْدِهِمْ وَمِيثَاقِهِمْ، سِيرًا فِي طَرِيقِ اللَّهِ وَعَهْدِهِ وَمِيثَاقِهِ بِمَتَابِعَتِهِمْ عَلَى عَهْدِهِ وَوَعْدِهِ، كَانَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَلَا الرَّسُولَ لِدَائِمِ رِسَالَتِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَخْتَالٍ نَخُورٍ، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ، حَتَّى يَحْكُمَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} ^{٣٧}، (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه) ^{٣٨}، (لا يؤمن أحدكم، حتى يكون هواه، وفقا لما جئت به) ^{٣٩}، {وما كان لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} ^{٤٠}، فهل يغيب الرسول عن الشهود، فتتعطل كل هذه القوانين والنواميس؟ وهل يقضي الله ورسوله، إلا ما فيه خير الناس، إلا ما فيه سعادة الناس.. إلا ما فيه نجاة الناس.. إلا ما فيه نعمة الناس.. إلا ما فيه إحياء الناس؟ إن الناس بعيدا عما يقضي به الله ورسوله لهم، إنما يقضون في أمرهم بما يهلكهم. والله مجدد لهم بينهم من أنفسهم من يجدد لهم أمور دينهم بعثة الرسول، في تكاثرهم تكاثرا بهم لهم لدوام رسالته إليهم بينهم ليبين لهم الرشد من الغي.

{أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} ^{٤١}.. {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} ^{٤٢}.. {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} ^{٤٣}، إذا كشفنا عنه الغطاء، فرآه مؤمنا لمؤمن حمد الله، أو رآه نفسا لنفس، عليه أن يغير ما بنفسه من نفس ليغيرها وما بها، ويبدلها بالإيمان بالله ورسوله، بتغيير ما بها من الظلام، إلى ما يجب أن يسري فيها من نور الله برسالته، من مصابيح الله.. من هداة الله.. من عباد الله.. من سبل الله.. من أحواض رحمة الله.

إن النفس إذا عرفت نفسها، بما هي، ورجعت إلى الله، بما جعل الله لها من إدراك وعقل على ما هو، فطلبت الإنظار، لأنظرها الله، حتى يعطيها الفرصة لمحاولة التغيير لما بها، ولو فعلت في قائمها بعاجلتها لربحت.. ولو طلبت التكرار بعد فشل، ما خزاها الله حتى تنفيق إلى أمر الله.

إن الله بالغ أمره، مهما طال الزمن، ومهما تعددت الكرات الخاسرة، (إنما خلقتكم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار) ^{٤٤}.. (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح لكم الدنيا، فتنافسوها، كما تنافسها الذين من قبلكم، فتأكلكم كما أكلتهم) ^{٤٥}.. إن خلقه الله للإنسان، لا تبدأ إلا بعد خلقه الإنسان لنفسه باسم الله لاعتقاده وإيمانه. أما حاضره من المادة فهو ما زال مادة.

إن الصلاح والإصلاح، إذا لم يبدأ من إصلاح القلوب، ما فُرِجت كروب، وما أزيلت عيوب، وما نظرت للعيون الغيوب، وما أدركت عقول، وما استقامت جوارح. (إن ذرة من عمل القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح) ^{٤٦}.. إن قلب محمد لقلبه، غير الدنيا والآخرة إلى جانبه، خفضت له نواميس الوجود، وسجدت معه له فيها، مبعوثة بالحق، إيمانا بمن بعث به بالوجود للشهود، وقام بين يديه الكل لربه بالسجود.

ما عَرَفَ الناس محمداً إلا قالبا.. وما لاقوا في الله به إلا قلبا، فهل عُرِفَ محمد للناس؟! قلبا لقلوبهم؟! وقالبا لقلوبهم؟! منه بدأت على أرضكم وفي سماواتها الحياة.. وبه عرفت النجاة.. وبه استقامت الدنيا.. وبه أسعدت الآخرة.. وبه اجتمعت الدنيا والآخرة في دين لأهل اليقين.. نعمة الله.. وهدى الله.. ونور الله.

قام بمعناه، لقدوته وبشراه، فردا وبيتا وجمعا وأمة، وإنسانية، وطبقات إنسانية، ترفع طبقا عن طبق، وطبقا فوق طبق، وتبعث طبقا بعد طبق، وترد طبقا بعد طبق، لمن لزم لهم البعث إلى أرض الصدع، به تواصل النفوس صعودها، لمن صلح لدوام الصعود أو هبوطها برسالة إصلاح أو تحقيق لصلاح، أو سجودا لله، أو مواصلة للسجود، أو تخلصا من نقص واستكالا لوجود.

فما ظهرت أمة إلا بالسجود لله لعاليها، أو بدعوة للسجود لدانيها ومواليها من أهل الحق فيها مهما أقامها الله بقلوبها، وأظهرها بهياكلها، قبله لكل عابد، وحقا لكل ساجد، معنى لله للشهود بكل مشاهد، سواء من قبل محمد، الذي عرفت البشرية ذاتا، أو من بعد محمد الذي لم تعرف، والذي أنكرته البشرية حقا وروحا وصفاتا، فما كان رسول الله إلا قضية في الله، وأمرا في الله، وصفة لله، وحقا من الله، إنه الطريق والحق والحياة.

لقد كان الحق بمحمد الله قبل النبوة قبلة الأنبياء، وروح قدس الله لهم، ثم قام آدما بناموس دورته، ختما وخاتما لما قبله، وختما وبادئا لما بعده، قام بكوثره أنبياء بعثا لأنبياء، وحكام بعثا لحكام، وأولياء بعثا لأولياء، وعبادا للرحمن بعثا لعباد للرحمن.

فكان بين قبله وبعده، العروة الوثقى، لا انفصام لها، عن الخلق الأبدي، وعن الحق السرمدى بالإنسان الأزلي، للإنسان الأبدي، للمعبود السرمدى.. شرف الإنسان، لعينه عند الإنسان لقائم الوجه والعلم والعنوان.

به عُرِفَ الله حق معرفته.. وبه قام الحق، حق قيامه بالناس، لقائم الإنسان، (خلفت الله عليكم)^٧.. {قائم على كل نفس}^٨، فبه قام الناس في واحدة عالم، لأحدية حق عالم، بين حكماء وأولياء، وأنبياء، وعباد وأتقياء، ومؤمنين وشفعاء، وأئمة وأحواض، وشهودا وأشهاد، أربابا ومربوبيين، في المعبود الواحد والموجود الواحد، في لا إله إلا الله، والله أكبر.

هذا هو دين الإسلام، فجددوا في الإسلام إسلامكم، واطلبوا في الإسلام إيمانكم، وانتظروا في الإيمان معرفتكم في لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم ارحنا وجددنا بمن ذكرناه، وما عرفناه.. وبمن عرفناه وما ذكرناه.. اللهم كن لنا بمن والينا وما والينا، وبمن والينا وما قناه.

اللهم اغفر لنا بمن رددنا اسمه بيننا لفظاً، كما رددنا اسمك لفظاً لا قائم له، ولا قيوم به، ولا موجود لنا فيه، ولا وجود له فينا.

عنك وعنا، وعن السماوات والأرض أبعدناه، بوهم الإكبار! ومنا أخليناه باسم الإدكار! وفي وجوده، ما دخلنا فتواجدناه، باسم الإكبار!

صار الدين بيننا لفظاً.. والكتاب عندنا نغماً.. والرسول عندنا مادية وقبراً.. والتاريخ عندنا كتاباً وخبراً، لا اعتباراً ولا حساباً، ولا مذكراً ولا ذكراً، وأصبح القرآن قصصاً.. وأصبحت أحداث الاعتبار خبراً. ها أنت، تدير الزمان في عصرنا على ما دار في عصره، وترهص الأحداث، على ما أرهصت لمقدمه وذكره، والناس نيام يفتقدون السلام، والسلام بأيديهم، يوم تفتح منهم العيون، وتتحرك في رؤوسهم العقول، فتتهز في صدورهم القلوب، فيدركون، فيعلمون، فيبصرون، فيستيقظون، فيرعون، فيجدون لهم برسالة الروح بينهم طريقاً إلى السلام والأمان، وباباً إلى الإسلام، فيدخلون في السلم كافة، بمسألة بعضهم بعضاً، بالدنيا مؤثرين، وفيها زاهدين، وعبادتها كافرين، وبالله وقربه ووصلته قانعين {أليس الله بكاف عبده} ٤٩.

إنهم يطلبون الدنيا ويطلبون المال، وما خلقت الدنيا إلا لهم، وما خلق المال، إلا من أجلهم، أما إنهم في المال يعدلون، وفي الدنيا يقسطون، وعلى أرضها أحراراً يتحركون، فلذلك خلقهم، ومن الذي من هذا منعهم أو يمنهم؟

ولكن الذي خلق لهم الدنيا، خلقهم هم لنفسه، ولو عرفوا ذلك، فحرصوا على وجودهم، لنفسه، وطلبوا موجوده بينهم بنفسه.. لاستقام أمرهم دون تشريع، وإن شرعوا، فبالحكمة، وبالرحمة، وبالعدل، وبلاستقامة بما هداهم يشرعون ويحكمون. {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون} ٥٠.

ولكنهم بعيداً عن صلاحية القلوب وأهلها، لا يستقيم لهم أمر، ولا يسكن للناس بين جوانحهم قلب، ولا يهدأ في الرؤوس عقل، ولا تطعم في القوالب نفس، {أليس الله بكاف عبده} ٥١. {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون، ولكن لا يشعرون} ٥٢. (من كسب الله وخسر الدنيا ماذا خسر، ومن كسب الدنيا وخسر الله ماذا ربح) ٥٣.

إن الصلاح إن لم يبدأ من جوانية الخلق، لا تصلح لهم يرانية. إن القلب الصالح، بصلاحيته، يعادل الناس جميعا في قوته.. إن القلب الصالح لا يتعارض مع قلب صالح في البشرية، لن يتصارع قلب صالح مع قلب صالح، لا ولن تتصارع نفس صالحة مع نفس صالحة، لا ولن يتناذب عقل صالح مع عقل صالح، إن الله هو الناس، يوم يتحاب الناس، أما يوم يتباغض الناس، ويتنافر الناس، ويقسو الناس، بعضهم على بعض، فهم أبعد ما يكونون عن الله، والله أبعد ما يكون منهم.

يحبهم ويحبونه، يوم يتحابون، ويرتضيهم ويرتضونه يوم يتراضونه. إن القائم على كل نفس، هو نجوى كل نفس في كل مجتمع يتناجى به فيه عليه، ذاكرا له، في جماعه أو في نفسه، بذلك جاء الإسلام دينا للفطرة. هكذا كان الناس قبل فرد محمد وآله وأمته له، عرف.. وهكذا كانت أمة محمد سرمدية بقبله بها، صار لها من بعده لا انقطاع لها، لقائم رسالة الله.. وهكذا يكون الناس بعد فرد محمد أول قيمة على الناس.

إذا قصرنا أمة محمد، على ذات محمد بجمعه يوم شهد بين جمع من الناس باسم محمد، فقد ظلمنا أنفسنا، وما عرفنا رسول الله. فإن محمدا الذي جعل له نور من الله به يقوم ويتقلب في الساجدين، وبه يمشي في الناس، محمد الذي أعطي الكوثر لدوام قدوته، والذي جعل شائته الأبر ليقين نصرته.. محمد الذي هو الحق وبالحق أنزل، وبالحق نزل ودائما ينزل.. إنما هو أمر قديم في الله، يتعدد بالقيام في ظاهر الحياة على ما هو في باطن الحياة.

محمد رسول الله والذين معه، كلما قام، وكلما تجدد، وكلما تجددت معه أمته، أشداء على الكفار رحماء بينهم، أعزاء بالله تمنح العزة بالله من الله بهم، يعتزون بالله ولا يطغون به.. يحكمون بالله، ولا يأكلون به.. يعلمون بالله، ولا يستعمرون به.. يقومون بالله، ولا يفجرون به.. شعارهم لا إله إلا الله، ومحمد بينهم دائما رسول الله. يتجدد كلما تجدد الناس أمة له، وتتجدد أمته كلما تجدد بين الناس رسولا له، هكذا في دوام هو دورة آدم الخلق يظهر، وهو جيئة إنسان الحق بالروح ينتشر.. إنه قام في ظل ناموس، ويقوم في ظل ناموس، ولن يقوم بعيدا عن الناموس، وما قام فيما قام بعيدا عن الناموس. ها هو بالناموس، بالوسطاء والأرواح المرشدة يجدد رسالته وأمره، ويرفع الله به بين الناس ذكره.

فكان هو الناموس، وقيامه الناموس، (إن الإسلام دين الفطرة)^{٥٤}، (علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل)^{٥٥} (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)^{٥٦}، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)^{٥٧} (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا)^{٥٨}.

هل عرفنا محمداً كذلك؟ وهل عرفنا محمداً بذلك؟ إن الزمان يستدير على هيئته، كيوم خلقه الله، كلها استدار على هيئته، كيوم أبرز الله محمد الله، ومحمد الناس، ومحمد محمد.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١	سورة فصلت - ٦ ، سورة الكهف - ١١٠
٢	سورة القلم - ٤
٣	سورة الإسراء - ٨١
٤	في معنى مقولة الإمام عليّ كرم الله وجهه: "إِسْتَغْنِي عَمَّنْ شِئْتَ فَأَنْتَ نَظِيرُهُ وَاحْتِجَّ إِلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ وَأَحْسِنُ إِلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ".
٥	سورة الأنبياء - ٣٤
٦	سورة الشرح - ٧
٧	سورة الأنعام - ٩١
٨	سورة الأعلى - ١١:٩
٩	سورة الأعراف - ٢٠٥
١٠	سورة الأنعام - ٩١
١١	سورة مريم - ٦٥
١٢	مقولة صوفية تعبر عن مقام الإنسان خليفة الله.
١٣	سورة مريم - ٩٣
١٤	سورة الشمس - ٨:٧
١٥	سورة الضحى - ١٠
١٦	سورة الضحى - ٩
١٧	سورة الضحى - ١١
١٨	سورة الزلزلة - ٧-٨
١٩	سورة النجم - ٣٩
٢٠	سورة الإسراء - ١٥
٢١	سورة الإسراء - ١٥
٢٢	سورة النساء - ٧٦
٢٣	سورة المائدة - ٩٧
٢٤	سورة يس - ٨١
٢٥	سورة النحل - ٤٠

- ٢٦ سورة الأنبياء - ١٠٤
- ٢٧ سورة مريم - ٩٣
- ٢٨ سورة الروم - ٢٧
- ٢٩ سورة المزمل - ٤
- ٣٠ سورة الحج - ٢٧
- ٣١ سورة البقرة - ٢٦٠
- ٣٢ سورة البقرة - ٢٦٠
- ٣٣ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ٣٤ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". صحيح مسلم.
- ٣٥ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمن، والمؤمنُ أخو المؤمن يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطُله من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٣٦ حديث شريف: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا وشبك بين أصابعه". صحيح البخاري.
- ٣٧ سورة النساء - ٦٥
- ٣٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الآنَ يَا عُمَرُ**". صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". متفق عليه.
- ٣٩ حديث شريف: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به"، أخرجه ابن أبي عاصم، والخطيب، والبيهقي باختلاف يسير.
- ٤٠ سورة الأحزاب - ٣٦
- ٤١ سورة يونس - ٩٩
- ٤٢ سورة الكهف - ٢٩
- ٤٣ سورة الإنسان - ٣
- ٤٤ مقولة للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز. أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- ٤٥ حديث شريف: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم". صحيح البخاري.
- ٤٦ مقولة صوفية ينسبها البعض لحكم السيد أحمد بن عطاء الله السكندري، والبعض يقول إنها ترجع للإمام أبي حامد الغزالي.
- ٤٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

- ٤٨ سورة الرعد - ٣٣
- ٤٩ سورة الزمر - ٣٦
- ٥٠ سورة المائدة - ٤٧
- ٥١ سورة الزمر - ٣٦
- ٥٢ سورة البقرة - ١١:١٢
- ٥٣ استلهاما من قول المسيح عليه السلام: "لأنَّه مَآذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ، أَوْ مَآذَا يُعْطَى الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (مر ٨: ٣٦، ٣٧)
- ٥٤ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يَمَجْسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.
- ٥٥ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٥٦ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٥٧ من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا نخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا نخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا نخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا نخر." صحيح ابن ماجه.
- ٥٨ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالتميمة، المفرقون بين الأحبة." أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

(٦)

الصلاة عماد الدين يوم تقوم إلى قبلتها صلة بين العبد وربّه بتوحد المرسل إليه في الرسول بالمرسل من الله في الله

حديث الجمعة

١٥ محرم ١٣٨٦ هـ - ٦ مايو ١٩٦٦ م

(لا يؤمن أحدكم، حتى يكون هواه، وفقا لما جئت به) ^١.. {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} ^٢.

لا يؤمن أحدكم حتى يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، وينفق مما استخلف عليه من خير الدنيا ومن الحياة.
(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه) ^٣، فالرسول وجه ربه عند عبده، في قائم الله لهم جميعا.

فليس من الإنصاف في شيء إذا تحدث المسلم، أن يتفقه من أمر الصلاة وإقامتها. فلان يا رسول الله يقيم الصلاة، ولكن صلاته لم تنه، عن فحشاء أو منكر، قال الرسول: (دعوه يصلي فإن صلاته ستناه يوماً) ^٤.

{وأقم الصلاة لذكري} ^٥، أقم الصلاة مستقبلاً ذكري، أقم الصلاة وقبلتك بيتي يذكر فيه اسمي.. وقبلتك إمامك.. عمر قلبه بنور الله سر قلبك، ونور عقلك، وهدف سعيك، ووجه ربك، لوجه حَقِّك، لجماع أمرك.

إن الذي يقيم الصلاة، على مراد الله بها، مراداً له، وعلى توجيه الله بها، اتجاهها إليه، فإنه يقيمها حقاً. أما الذي يقيمها شكلاً ومنسكاً، ساهياً عن حكمتها، وعن سر إقامتها، متجهاً بها إلى ما تهوى نفسه، ويكيف له عقله، مغفلاً ما هُدي إليه، منكراً على قبلته، منكراً على بيت الله له، منكراً على رسول الله

لهذه المعاني جميعها، قياما فيها قدوة للناس، وقياما بها قبلة للناس، فأولئك هم المراءون الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يمنعون الماعون.

وحتى هؤلاء المراءون، إذا وجهوا إلى ما يصلح به أمرهم، فماذا يعملون، وبماذا يؤمرون؟ إنهم يوجهون ويهدون إلى إقامة الصلاة، بتدريكهم لما يعملون ولما فيه يقومون، وكيف أنهم يقيمون بالصلاة صلة مع رسول الله، بُعث بالحق ذكرا لله، وقبلة للناس، فقام بيتا يذكر فيه اسم الله، عنونه بيت الله المشروع، وحققه بيت الله الموضوع بالرسول وعترته. فكيف أصِلُّه وأنا لا أقيم الصلاة؟

إني لا أعرف لإقامة الصلة مع رسول الله، إلا إقامة الصلاة، (ما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل مما افترضته عليه، وما يزال يتقرب الي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته [كنته])^٦. فكيف أتحاب مع رسول الله؟ وكيف أتحاب مع ربه به؟ وكيف أقيم الصلة برسول الله إقامة لها مع ربه، وأنا لا أرى في إقامة الصلاة بمنسكها على ما هُديت، وعلى ما علّيت، أمرا جوهريا في الدين؟ (الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين)^٧.

نعم إن الصلاة في جوهرها، وفي غايتها، إنما هي إقامة الصلة بين العبد وربّه. وكيف تقوم الصلة بين العبد وربّه، والعبد يغفل ما هُدي إليه وما أمر به!

نعم إن الله جعل للناس ولكل أمة شريعة ومنهاجا، هذا حق.. ولكني وأنا في دين الفطرة، متابعا لرسول الفطرة، وأنا في دينه سَجَلَه كتابه، وأبانتته سنته، كيف أُتِفِه أمر الصلاة، وقد أقامها بيننا رسول الله، وطلب إلينا متابعتة فيما أقام، وفيما شرع، وفيما سن!

نعم إن الأداء منسكا دون إدراك جوهرها وحكمتها، مضيع لها ومبطل لأثرها، ومعطل لكسب ثمارها، ولا يحقق لمؤديها غايتها به، وغايتها بها، إن كان صادقا في طلب الله ورسوله، مؤمنا بالله ورسوله لنفسه، موحدا مع رسول الله، الموحد مع ربه، الموحد مع الأعلى قياما لله وظهورا له، بالعبد والرب وبالرسول والأعلى، واحدا لا شريك له، الكل فيه وجه له.

إن الصلاة إذا أديت بحقتها، وقامت عند مقيمها في مرسومها، ودائم هواه بها هوى الرسول عليها، تنتج آثارها عند مؤديها على ما أنتجت عند أول هذه الأمة، وعلى ما أنتجت عند رسول الله (قرة عيني في الصلاة)^٨ على ما أثمرت، فجنى ثمارها، وتصاعدت شجرتها، وأورقت، فروعها وغصونها عند تأسيس رسالتها، بقائم رسولها، على ما تناقلناه وعرفناه.

فأنتجت في قومه وصحبه آثارها {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}^٩.. (كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه)^{١٠}... (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه)^{١١}.

فمن يكون المسلم؟ المسلم من قامت فيه صفات الإسلام، وما يكون الإسلام؟ الإسلام فضيلة، وبُعد عن رذيلة، يمثله جمع من المسلمين، إذا رآهم غير المسلم، أعجبه أمرهم، واستراحت نفسه لفعلهم، وقَبِل حكمتهم، وأعجبه نظامهم، إن جمع المسلمين في تعاملهم متوادين، مؤثرين، عن السفاسف مترفعين، وبجوهر الأمر متمسكين، وفي طريق مستقيم سارين، لا يتوقفون، ولا يهملون، ولا يتراخون، أولئك جمع المسلمين يعنونون الإسلام لجماعات الناس، ولمفردات الناس ليكونوا مسلمين.

إن المتنازدين.. إن المتنافرين.. إن من كانوا على الدنيا متنافسين، وعن الآخرة غافلين، ولكسبها غير عاملين، وإليها غير ساعين، لا يمثلون الإسلام، وليسوا المسلمين. (إن المسلمين في توادهم وتراحهم كأعضاء الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو سهر له سائر الجسد بالحمى والسهر)^{١٢}. هذه رسالة جمعهم ومفرداتهم بحالهم وأحوالهم، صُحبتهم منهضة، وأحاديثهم بالله موقظة غير مغرضة. أما الكافرون بالله لأنفسهم ففي عزة وشقاق.

إن المسلمين، ذات واحدة... أمة واحدة.. رجل واحد.. قلب واحد.. حق ظاهر واحد.. {كنتم خير أمة أخرجت للناس}^{١٣}، بما جعلناكم أمة وسطا، تأمرون بالمعروف لكم، وهو الطريق وإمامها، وتنهون عن المنكر عندكم، وهو الانحرافات وطغاتها، وتؤمنون بالله وبالْحَقِيقَة وكلماتها، قيوم قائمكم في قيامكم، كلكم له وجه، وكلكم فيه كلمة لله، وكلكم فيه يقوم بروح قدس الله معروفا لكم ومعروفا بينكم، يرشدكم ويؤمكم، وعلى الله معكم فيكم يجمعكم.

كيف لا.. وأنتم أمة وسطا، من الرسول والذين معه كثر إنسانه، وظلال رحمانه، وأيدي إحسانه، وأقدام سعيه لخلقه من الناس.. أنتم حقائقه.. أنتم كتابه.. أنتم رحمته، للناس عنه حبه.. أنتم للناس من أنفسهم جلبابه، قلوبكم عامرة بنوره، وألسنتكم، لاهجة^{١٤} بذكره، وإرادتكم قائمة بأمره.

لكم عند الله ما تشاؤون، يوم تكونون حقا المسلمين، وعلمًا على الإسلام، وقيامًا له.. القرآن هو أنتم.. كلمات الله هي أنتم.. سور الكتاب هي أنتم.. حروف الكتاب هي أنتم.. غلاف الكتاب هو أنتم.. لباب الكتاب هو أنتم.

أنتم كتاب الله.. أنتم سر الله.. أنتم وجوه الله.. أنتم ظاهر الله لمن ظهر له الله.. وأنتم باطن الله لمن غاب عنه الله.. فهل قدرتم أنفسكم في انتسابكم لرسول الله، أو في قيامكم في محبة رسل الله، أو في علمكم عنكم في رسول الله في علمكم عن رسول الله علم أعلامكم.. ونور عقولكم.. وحياة قلوبكم.. واستقامة قلوبكم.. وانتظام جوارحكم، وعقدة اجتماعكم لوحدة جمعكم، قدوة وأسوة؟

فهل اقتديتموه ولم تكونوه؟ وهل تأسيتموه فلم يرحمكم راحموه، وهو جماع الرحماء.. وهو جماع الرحمة.. وهو داني الرحمة.. وهو ظاهر الرحمة.. وهو باطن الرحمة.. وهو أحواض الرحمة.. وهو أنهار الرحمة.. وهو بحار الرحمة.. وهو جنان الرحمة.. وهو سماوات الرحمة.. وهو أراضي الرحمة؟

هل استرحمكم الله في استرحامه برسول رحمته، ولم يرحمكم الله برحمته؟ هل سعيتم إلى جنان الله بجنانه بكوثره لكم، بحقائقه برسوله بينكم فلم يدخلكم الله جنان رضوانه، لرسوله وعنوانه، جنانا له لجنان أنفسكم به؟ هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ^{١٥}، {يا أيها النفس المطمئنة} ^{١٦} ادخلي في الساجدين، {فادخلي في عبادي} ^{١٧} تدخلي جنتي.

فما كانت جنان الله إلا عباد الله، وما كانت كراسي الله إلا أشهاد الله.. وما كانت عروش الله إلا روح قدسه لجماع الشهداء، قوائمها الأولياء، وأنوارها الأنبياء، وحديثها الحكماء، وسلطانها الأتقياء، وملائكتها أرواح العتقاء.

ما لكم كيف تحكمون! وما لكم كيف أنتم عن الله تتحدثون، فتهرفون بما لا تعرفون، وبجهلكم تجأرون، وعن الله في أنفسكم تغفلون، وله في قلوبكم تعمهون، ثم هو بعيدا عن موجود وجودكم تُعرفون، فالناس عنه تباعدون، والناس عنه تُجهلون!

وهو الأقرب لكم ولهم من حبل الوريد لو تؤمنون فتشهدون، كما قدم لكم وذكرتم، وهُدِيتُم بالدين، فلم تهتدوا ولا تهتدون، وبظلام أنفسكم تهتدون، ويتبعكم الغاؤون، ويستغلکم الطاغون، ويمتطيكم المتكبرون، فتحملوهم في طريق الكبر كما يريدون، وأنتم مع انحرافكم، لأنفسكم بالاستقامة تزعمون، وأنفسكم قدوة للناس تقدمون، فأوزارا مع أوزاركم تحملون.

بهائم الأنعام ودواب الأرض، ولكن لا بالنعمة، بل سائمة ^{١٨} ضالة تسيرون، لا طريقا مستقيما تسلكون، ولا عن طريق معوج تبتعدون، ولا إلى ساحة أمان تقصدون، بل إلى هاوية في دوام ترغيبون، فيها أنفسكم تردون، وغيركم ممن حولكم تدفنون، وأوزارا مع أوزاركم تحملون، وبالأوزار تكبرون وتنتشرون، وتعززون وتتكبرون وتطغون.

هذا هو حال فقهاءنا كما تعلمون.. وهذا هو حال أمتنا له تشهدون، وبه تضيقون، ومن صلاحه تياسون، وعن إصلاحه تعجزون.

عليكم أنفسكم أيها المسلمون، لا يضركم من ضل إذ أنتم تهتدون، فبأنفسكم تبدأون، ثم بمن تعولون، ثم إن هدى الله بكم رجلا واحدا فأنتم الموفقون، على ما فعل الرسول الأمين، الذي تذكرون، وعلى ما تابعه عليه متابعون، وتابعهم صادقون، وقام عليه من بعدهم صديقون.

الخير فيه وفي أمته إلى القيامة بالحق يقومها في كل وقت وحين، كما بلغتم وفي دوام تَبْلَغُون، بتجديد أمر الدين أمر عليه تتكرون كفعل آبائكم الأولين، متجاهلين لآبائكم الآخرين، وإن الأولين لقبل الرسول الأمين، والآخرين لبعده حتى يومكم الذي تشهدون، في رسالة الروح اليوم لمبعوثون، وكم بعثوا بها فيها وما تشهدون، وهذا هو اليوم المعلوم عنه عرفتم وعنه ستعرفون.

يتجمع المؤمنون، والشهداء، والصديقون، والصادقون، والمتقون، حول شهيدهم، يؤمنون، طبقا بعد طبق رفعوا ويرفعون، وفي حضرة الروح يحشرون، يوم هم من سكرة الموت يستيقظون، فيها أرواحا حية طليقة يجتمعون ويسعدون، حتى إذا ما انتظم جمعهم وتواصل في الحياة عملهم، تذكروا ما تركوا من أبنائهم، فإذا هم لأبنائهم يفتقدون وينتظرون، ولكن أبناءهم إليهم من الأرض لا يصعدون، وإلى الأرض يتناقلون، ومن أفلت من قبضتها، إذا هم ثمار فجة يخرجون، هم لها لا يقبلون، وعليها لا يقبلون فإلى الأرض يردون. فإذا كان من أمرهم في الروح العظيم؟

لجأوا بينهم، لأمرهم فيهم متشاورين متذاكرين، فقرروا أن يقدموا نجدة للعالمين، فيرسلوا من جمعهم الرسول الأمين إلى أبنائهم متناذرين، منحرفين، متقاتلين، متجادلين، عن الحق في أنفسهم متغافلين، فقامت رسالة الروح الأمين، مرة أخرى إلى العالمين.

حملها إلى الأرض الروح المرشد الأمين، الذي عرفته من قبل الأرض وهو ليس على الخير للقوم بضنين، عرفته كوثرًا بالدين بالأنبياء والمرسلين، والحكماء والمعلمين، في كل أمة، وفي كل لغة، وفي كل جنس، وفي كل مكان ظهر ويظهر بالحكمة في كل وقت وحين، ليبين لهم، ليذكر، ليدير، لينهي ويأمر، ليحدث ليعلم، ليمنن، ليقدّر، يقوم ويتقلب في الساجدين.

مثله وقامه الرسول الذي تذكرون، (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)^{١٩}.. (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)^{٢٠}.. وما أمر الساعة، إلا على ما تشهدون من أمري، بعثت وإياها صنوان^{٢١}، رجلا، كلمتان، حقان.. إنسانان، للدينونة وللبيان، راشدان، خليلان، حبيبان، وما سبقتها، إلا كما سبقت أصبعي الوسطى، أصبعي السبابة، أنتم على قيد خطوات منها.

إنها الزمان وبدايته.. إنها القديم ونهايته.. إنها الحق وجلوته.. إنها السلطان وبسطته.. إنها أمر الله وعزته... (لو لم يبق من عمر الزمان إلا يوم لمد الله في عمر ذلك اليوم حتى يُخرج رجلا من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)^{٢٢}.. (المهدي ولدي، [يقتني أثري])^{٢٣}.. {ومن يهد الله فهو المهتد}^{٢٤}.

و(لا مهدي إلا عيسى)^{٢٥}، يقوم بوصفي، ويحمل اسمي، ويظهر بمعناني، لا شريك له من أمره، وما كان أمري إلا أمره في سري وجهري، ولدي ولدي. (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم)^{٢٦}، ومن تكون مريم، (مريم إحدى زوجاتي في الجنة)^{٢٧}.

ومن يكون عيسى؟ إنه إياي.. إنه معناني.. إنه ربي ومولاي.. إنه فوقي.. إنه تحتي.. إنه عيني.. إنني فوقه.. إنني تحته.. إنني عينه.. نحن في الله حبيبان.. نحن في الله خيلان.. نحن في الله قائم وقيوم الإنسان.. نحن الأبوان.. نحن الوالدان.. لا والد ولا ولد.. لا موجود ولا ما أوجد.. (عليّ مني وأنا من عليّ)^{٢٨}، (حسين مني وأنا من حسين)^{٢٩}.. أنا دورة الناموس بالإنسان.

إن المسيح وأمه، والملائكة المقربون، لا يستنكفون أن يكونوا عبادا لله، أنا بالعبودية شرفت، وبها لكم شَرَّفْتُ.

لا بل لا يستنكفون وأنا معهم، أن يكونوا عبادا لمن قام بحق العبودية لله، لمن عرف وعرف عن شرف العبودية لله.. لمن شرف بوصف العبد لله.. لمن ظهر عبدا لله، كما ظهر، في الأرض أو في السماء، أو خارج الأرض والسماء.

عبد الله بعبوديته المجردة عن الأسماء، وعن الصور للأشياء، حيا يوما.. قام عبدا.. قام حياة.. قام لله وجهها.. تواجد في الله والدا وولدا.. عرف الله روحا وجسدا.. شهد الله عيانا، وشهد الله بياناً.. وعرف الله قياماً.. وعرف الله سلاماً، وعرف البعد عنه لشامل معناه كفرا وخصاماً.. وعرف الناس يلاقونه من أنفسهم، لوما ومَلَاماً، ويؤمنونه كلاماً، ويغفلونه حقاً وقياماً، ولا رحمة وإحساناً، بل يتجاهلونه لأنفسهم كتاباً وعرفاناً، ويزعمون لأنفسهم به إيماناً، ويدعون الناس إلى أنفسهم إسلاماً وقياماً.

هذا ما آل إليه أمر المسلمين، وما أصبح فيه حال الإسلام، إلا من رحم، إلا من علم، إلا من اتقى، إلا لمن لله في نفسه وعي، ومن الانحراف عليها وإليها منها وقى^{٣٠}، فسلك بها لربه طريق المرتقى، بشهادة لا إله إلا الله، وشهادة محمد رسول الله. الخير فيه وفي أمته، إلى ساعة القيامة بمحموده لسافر حقه ووجوده. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها، ويعلمون أنها الحق}^{٣١}.

فهل جدد الناس إيمانهم في كل وقت وحين، مع من تجدد بينهم، كلمات لله، وأئمة لهم، مصابيح هديهم، وأبواب طريقهم، في كل وقت وحين؟ أم أن الناس يستهترون بأمرهم، ولا يتواصلون بالحق بينهم حتى تلتئم قلوبهم، في تجمع نفوسهم، في تواصلهم بالحق، وتواصلهم بالصبر؟ هداانا الله وإياكم سواء السبيل.

إن الله انفرد بمكانته بأحده لواحد إنسانا، وانفرد الرسول بإنسانه له عنوانا، وقام عيسى بآدمه وإنسانه لهما كلمة وقدوة وإماما. فكان الرسول بإنسانه عروة وثقى لقبه وعاليه، يقومها لمرتقاه إنسان بعده لدانيه، فكانت أعلام البيت لأحدية ثالث بالآب والأب والابن للحق الواحد بإنسانه، أبوة وبنوة وأمومة، مثلها في الله قضايا فيه آدم وعيسى ومحمد وجمعها لمعناه إنسان الخضر أو الروح الأمين، بذلك كان الآب أو إنسان الغيب أبوة، وكان الرسول له ومنه أمومة، وكان الكلمة فيهما بنوة وأخوة.

اللهم يا من جعلت من محمد لنا كوثرًا.. وجعلت به فينا لنا مخبرا، وبه إلينا عنك خبرا^{٣٢}.. اللهم به فارحمنا، وبه فعلنا، وبه فوفقنا، وبه فسد خطانا، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، مستقيمين ومنحرفين.

اللهم به فوثق بين جمعنا، وألف بين قلوبنا، وزكي نفوسنا، وطهر قلوبنا، وأنر عقولنا، وقوم جوارحنا. اللهم به لنا فأعل كلمة الحق بيننا، وأعل كلمة الحق بنا، وأعل كلمة الحق لجمعنا، وأعل كلمة الحق لأمتنا، وأعل كلمة الحق لبشريتنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم به فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم به فانزع نزوة الخصومة من قلوبنا، واجعلنا به أحبابا متلاقين، وإخوانا متوادين، وجنودا مدربين، مجاهدين، موجَّهين، في طريق الحق متجهين، إلى غاية قاصدين، وعلى أمر متجمعين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم به نخذ بنواصينا إلى الخير، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، غافلين ويقظين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"، أخرجه ابن أبي عاصم، والخطيب، والبيهقي باختلاف يسير.
- ٢ سورة البقرة - ٢٥٦

٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين." متفق عليه.

٤ من حديث شريف: "جاء رجل إلى النبي فقال إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال صلى الله عليه وسلم: إن صلاته ستنهاه." صحيح ابن حبان، ورواه أحمد في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان، والبخاري في مسنده.

٥ سورة طه - ١٤

٦ من الحديث القدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ." أخرجه البخاري

٧ حديث شريف ذات صلة أخرجه البيهقي في ((الشعب)) بسند ضعيف. كما رواه الطبراني. أما معظم كتب الأحاديث لا تعترف بهذه الصياغة، وتقول: يؤدي معناه ما أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، من حديث معاذ بن جبل الطويل وفيه: (....) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد).

٨ عن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. المحدث: العراقي. وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

٩ سورة الحشر - ٩

١٠ من حديث شريف: "المسلمُ أخو المسلم، لا يَخُونُهُ، ولا يَكْذِبُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، عَرَضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا وَأَشَارَ إِلَى الْقَلْبِ بِحَسْبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ". الراوي: أبو هريرة. أخرجه الترمذي باختلاف يسير، وأخرجه مسلم مختصراً.

١١ حديث شريف: "أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ؟ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ". صحيح ابن حبان.

١٢ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." أخرجه البخاري ومسلم.

- ١٣ سورة آل عمران - ١١٠
- ١٤ لهج: أولع بالأمر فثابر عليه واعتاده
- ١٥ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ١٦ سورة الفجر - ٢٧
- ١٧ سورة الفجر - ٢٩
- ١٨ هي الماشية التي تعتمد في غذائها على الرعي في المراعي الطبيعية، وليس على العلف الذي يوفره صاحبها.
- ١٩ من حديث شريف: "حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ ويُحَدِّثُ لَكُمْ ووفاتي خير لكم، تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ". أخرجه النسائي والطبراني.
- ٢٠ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأثكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٢١ الصنو: الشبيه والمثل.
- ٢٢ حديث شريف رواه الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، أخرجه أبو داود، وأحمد باختلاف يسير. وجاء بلفظ "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني-أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً". أخرجه أبو داود، والترمذي مختصراً.
- ٢٣ حديث شريف: "المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدرّي". أخرجه الطبراني. عبارة يقتفي أثري يذكرها السيد رافع أحياناً مع هذا الحديث الشريف.
- ٢٤ سورة الكهف - ١٧
- ٢٥ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ٢٦ من حديث شريف: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الأولى والآخرة قالوا: كيف؟ يا رسول الله، قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي". صحيح مسلم.
- ٢٧ حديث شريف: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامراًة فرعون وأخت موسى". أخرجه الطبراني.
- ٢٨ حديث شريف: "إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي". أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
- ٢٩ حديث شريف: "حسين مني، وأنا منه، أحب الله من أحب حسيناً، الحسن والحسين من الأسباط". رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان.
- ٣٠ هذه الكلمة تم تصويبها وفقاً للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

سورة الشورى - ١٨

٣١

هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٣٢

(٧)

رسالة الفطرة بدين الفطرة أُشْهِرَتْ وَتُشْهِرَ عَلَيْهَا لِلْوُجُودِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَبُعِثَتْ وَتُبْعَثُ عَلَيْهَا لِلشُّهُودِ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)

حديث الجمعة

٢٢ محرم ١٣٨٦ هـ - ١٣ مايو ١٩٦٦ م

الحمد، وربّه، وإنسانهما.. حق واحد، في موجود الله الأحد الواحد، تعددت فيه حقائقه، لآحاد واحدياته، بإنسانية الرشاد له.

الرجل في الله، من كان آدمًا بذاته لذاته، ذكرًا لذكر، ظلاً لله ورسوله، إنساناً رشيداً، عبداً لعبد في الله، رجلاً سلباً لرجل في الله، وجه الله لوجه لله، ذاتاً لذات في الله، ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى الذات، المنفرد بالعظمة والكبرياء والإحاطة واللانهاية، خلقناكم أزواجاً، لا يدخل ملكوت السماوات إلا من ولد مرتين.

بهذا جاء دين الفطرة.. بهذا جاء الإسلام.. فمن عرف محمداً، لنفسه، محبة، وإيماناً، ومتابعة، وحقيقة، ورباً، كان ربه له رباً، وكان إنسانه معه خلة، وكان الله في عرفانه لهم جميعاً معيةً وقياماً.

كان محمد للناس، قائماً بالملأ الأعلى ظهيراً للإنسان ظهيراً له، ولم يكن محمد قائماً بالناس، بل الناس في القيام وفي الحياة هم فيها بالقيام به.

ولم يكن المؤمنون معه بالله ورسوله لهم، قائمين بأنفسهم، فقد غيروا ما بأنفسهم من فهم، غيروا ما بأنفسهم من وعي، غيروا ما بأنفسهم من زعم، غيروا ما بأنفسهم من قول، غيروا ما بأنفسهم من مكتوب، فغير الله لهم ما بهم، من الظلام إلى النور، أنزله معه، غير ما بهم لهم إلى القيام به نور الله لهم وظلاً له.

وما كان محمد بنور الله معه بدعا من الرسل، من قبله أو من بعده، فما كان نور الله إلا اسم الله الرحمن الرحيم، من أمر الله، بروح الله، يُنزل الروح من أمره على من يصطفي من عباده، يلقي الروح من أمره، على من يشاء من عباده لقيام أمره بالإنسان.

بذلك كان نور الله قبسا قائما باسم الله الرحمن الرحيم، ينزل مع كل نبي، ويرفع معه، إلا محمدا وأُمته، فقد أعطى له ولأُمته على ما كان له ولأُمته قديما وأزلا لتبقى به أمرا باقيا وأبدا، ليكون ما بعده من أمر الله، عين ما قبله من أمر الله، لقائه بأمر الله، ليعرف الله به حق معرفته، للمؤمنين بالله ورسوله، من (بني معروف) وبيني معروف.

فقام في أُمته لم يفارق، حيا في قبره، ملازما عترته، مطهرا أهل بيته، ومن دخله، أصلا ثابتا لكلمة جامعة لطيب من كلمات يمثلها بيتا لله، للعاكف، والطائف، والراكع والساجد. فلم تنقطع رسالته، بانقطاع أول أوادم سفوره رسولا لله، بظهوره أول عابدين لا أول ولا آخر لهم.

فرسالته لم تنقطع لأن وجوده لم ينقطع. (تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي)، لا تنشق الأرض عنه، مرة أخرى، إلا يوم تفشل أُمته في الاحتفاظ به، وتعوق أُمته انتشاره بنور الله له بينها، وتعطل قيامها له، بقاءه بينها من أنفسهم من الأرض.

أعطي الكوثر لوجوده، ولم يجعل الله لبشر أن يدوم ويخلد عليها من قبله، ذاتا متصلة أو ذكرا متواصلا، وله جعل، ولمن بعده به فعل، ولمن قبله به ولمن تكنز به، أو تجدد به عليه جمع ووصل.

زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا، وجعلت له طاهرة مطهرة، لا رجس ولا خبث فيها، ينبت منها نباتا حسنا، مزرعة خالدة، دائمة، لإنسانية وجوده، بمظاهر تواجده، وإنسانية الله لله دائم ومتواصل رحمته...

إنسانية الربوبية عليه، لإنسانية العبودية له، لإنسانية الناس في عبودية الناس لربه، عبدا لله، وربما لهم، كلما استجابوا لدائه داعيا إلى ربه، وكلما عرفوه ربا لهم، وقبلوه باختيارهم سيذا عليهم، بسيادة الله عليه شاملة محيطة، لا ينكرون على الله سيادته، ولا يجهلون قدرته، ولا يخاصمون شرعته، ويطلبون نجاته، ويحيون فيه عزته، بعزته.

جعل لهم الإيمان به، في معرفتهم عنهم بمصدرهم من الروح، وبمصدرهم من نبات الأرض، يجري منهم الشيطان مجرى الدم، وما كان مجرى الدم لأرواحهم إلا أجهزتهم بهياكلهم، فبإيمانهم بالله لهم معيتهم بأرواحهم يرجعون إلى الله، ويجاهدون أنفسهم فيه...

يعلمون أن بعضهم لبعض عدو، وأن أعدى أعدائهم، أنفسهم بين جنوبهم، يتسامحون مع من حولهم، ويغفرون لمن أساء إليهم معاملة مع الله. ولكنهم لا يتسامحون مع أنفسهم، ولا يغفرون لها، يقظون لأمرها، لا يبرئونها، ولا يرخون الزمام لها، ويعلمون أنها أماراة بالسوء، فلا يركنون إلى جانبها حتى يغير الله ما بها ويأخذها لنفسه، (إذا رضي الله على عبد، أصلح له نفسه تأمره بالمعروف وتنهه عن المنكر)^٢.

أولئك يرجعون إلى الله، في أعماق ضمائرهم، لا يبحثون معيته لهم، أينما كانوا.. ينعكسون بأبصارهم إلى بصائرهم، وببصائرهم إلى أبصارهم، فتجاوب أبصارهم وبصائرهم، وتتناجى عقولهم وضمائرهم، لا يغيبون الله ولا يعمهونه في أنفسهم.

يتجهون إلى أنفسهم على ما وجَّهوا، ويجاهدون على ما هُدوا، ولا يعرفون باطلا، إلا ما يجري منهم مجرى الدم.. لا يعرفون باطلا بعيدا عن مادي أجهزتهم، ولا يعرفون حقا ولا ربا ولا إلهًا، ولا أمرا، ولا رسولا، ولا مرسلا، إلا هو في معيتهم، في موجودهم، في عوالم وجودهم.

لا يعرفون كسبا للحياة إلا بكسب تواجدهم، ومحو معلومهم عنهم منهم، من ظلام أنفسهم، تعرضا لنور الله إليهم، في موجود معيتهم. يحولون بينه^٣ وبينهم بما يكسبون من رانٍ على قلوبهم، ومن عمى على عيونهم بسجين عقولهم لا يحررونها بإيمانهم، ولا يعلمونها بافتقارهم، ولا يحيونها بقسوتهم، فلا يرتقونها للطفها بعواطفهم، بتحابهم، بتوادهم، حتى إلى أزواجهم وأبنائهم، خيرهم خيرهم لأهله، وكان الرسول بينهم قدوة لهم، خيرهم لأهله.

قام الرسول بربه، في معيته مبعوثا بالحق لهم، فقام بحقه مبعوثا بأهله، في بيته، فكان بذلك بينهم بكوثره، بدائم وجهه، بدائم أمره.. بدائم نوره.. بدائم روحه.. في دائم عترته وأهله، ذرية طيبة، بعضها من بعض، وبعضها لبعض، قديمها لقادمها، وقائمها عبد قديمها، ورب محدثها، وبرزخ وحدتها، لدائم رسالته ولظهور وسفور قدوته، لبشرى بلاغه...

حتى يكون الرسول بذلك للناس، قدوة في أمره لأمرهم، لا بقائه لقائهم فحسب، بل وبقيمه أيضا لقديمهم ما تقادموا، وبقادمه كذلك لقادمهم ما تجددوا.

كان الرسول وحدة القديم والقادم في قائم الحاضر به، حقا لا يغيب، ولا يندثر، وجذوة الحياة، لواردية ومشعلها لا تنطفئ، وسراج الله المنير للطريق، هي به لا تظلم، وساحة رحمة الله به يفتح الباب لها لا يغلق، تفتتح له أبواب السمو، مع كل من يتسامى بأمره، فيقدر ربه، ويحسن تقديره، ويؤمن بالله، يستجيب لهديه، ويمثل لأمره...

يوم يعرف الإنسان أن إيمانه لا يكفي لتقدير الله، ولا يكفي لصدق الإيمان بالله، ولا يكفي للضمان مع الله، ولا يكفي للخلاص من نفسه، ويعرف أن ذلك كله يتحقق له مؤمناً بالله بفطرته، يوم يؤمن برسول الله في نجاته، بقائه بشرعته، بهديه وملته، بجمعه وسفينته، بطريقه وإشراقته، بحياته ونجاته، بأحواض الحياة في أمته، بمصاييح الله لمعاني عثرته، بشموس الوجود لمعاني ظلاله لطلعته، تظهر لتتابع بأحواله، بمثلها في عالمنا، دعاة وسرجا.

ما كان الرسول بفطرته وصبغته، رسولا من أنفسنا، إلا داعيا وسراجا منيرا، ما كان في حقيقته إلا نجما مقاربا، وسما مدانيا، تطرق لمن يسمو معه، ولمن يطرق في متابعتة، فكان السماء والطارق، للمتسامي المجاهد، لا للمتكبر المعاند.

كان اسم الله.. كان وجه الله.. كان نور الله للسموات والأرض، تتجدد به السموات والأرض، لمجدد نفسه، لطالب الحس بربه، الحس بمن هو أقرب إليه من حبل الوريد، (يا أباذر جدد السفينة)٤، جدد نفسك.

كان الرسول للمؤمن، هو كل شيء، للمؤمن بالله ليس كمثل شيء.. كان الرسول (كل) لمن آمن بالله ورسوله لكه، فكان كل كه، فكان الرسول كله، ولم يكن هو من الرسول كله، فالرسول للعالم المطلق لأحده، ولأهله جميعا، رحمة مهداة، وحقا مقاما، وروحا مفاضة، ووحيا يوحى، ونورا يمتزج فيعلم، ويوقظ العقل من نومته بغيبته عن معناه، في سجن مبناه، فيتعلم، ويقوم النفس فتستقيم وتتقوم، ويتخلل القلوب فتحيا وتهتز وبالحياة تترنم.

يجمع القوال من شتات مبانيها لوحدة معانيها {ورتل القرآن ترتيلا}٥، فلا تذهب بددا بفرقتها، أيدي سبأ من فعلتها، لا أرضا تقطع من وحدتها لشتاتها، بل أرضا تتجمع لذات وحدتها بعوالمها، يجمع الغصون لجذوتها، ويجمع الرؤوس على هياكلها من فرقها لا لاختبارها، يوم تعود لوحدة ذاتها من شتاتها إلى عين موجودها، فتعرف من شتتها ومن جمعها، معية قيامها بحقها لقيومه عليها، وقائمه بها.

يومئذ، تقدر الله حق قدره، وتنتقي الله حق تقاته، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله.. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله.. يا أيها الذين آمنوا، آمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته. أم من يبدأ الخلق ثم يعيده، فيتشابه قديمه وجديده، في صمدي موجوده، في سرمد وجوده.

إن الناس يأبون إلا أن تكون لهم كل صفات الله، والله لا يمنع عنهم ذلك، ويريدهم له، ويعاتبهم فيه، {أليس الله بكاف عبده}٦، إن العباد الذين لا يفهم وجه الله لهم ماذا يطلبون؟ وإلى أي أمر

يسيرون؟ وأي غاية يندشون؟ وإلى أي سماء يعرجون، والله لهم معهم فيهم، فلمَ هم له يعمهون، وبعيدا عنهم يطلبون؟ وأي مطلب بعد هذا له يطلبون، بوجهه لهم يستبدلون؟

إذا كان الله بذلك لهم، ألم يكن بذلك لمن جعله رحمة للعالمين؟ إن الذين يبائعونك على نفسك، إنما يبائعون الله على نفسه، وإن يد الله بك ممدودة إليهم فوق أيديهم ممدودة إليك.

هم بك وأنت لست بهم، إنك بالأعلى.. إنك بالملأ الأعلى ملئهم، إن رفضوا أن يصلوك، وأن يتصلوا بك، فإن الملأ الأعلى يعرف ذلك لنفسه معك. {إن لك في النهار سبعا طويلا}، {إن الله وملائكته يصلون على النبي}.

إنه بك فيهم يقوم، ولك فيهم يرى، وهو في دوام منهم يسمعك، رفعنا لك ذكرك، وأعلينا لك أمرك، وبك دأبنا فكنت عين ربك، وكنت قائم حقك لحقك، في موجود حقك، كلها تجددت، وكلها تكاثرت، وكلها من الأرض نبت، وكلها من السماء نزلت.

إن المعرفة في رسول الله.. إن المعرفة لرسول الله، هي الدين.. هي العلم.. هي الاستقامة.. هي الطريق.. هي الوجود.. هي الحياة.. هي الشهود للحياة.. هي التواجد بوجود وموجود الحياة.. هي الإنسان ومعرفة الإنسان، ومجد الإنسان في الله.. هي كل شيء لمن أراد أن يكون في الله شيئا.. هي كل كون لمن أراد أن يكون في الله كونا.. هي كل وجود لمن أراد أن يكون في الله وجودا.. هي كل شهود لكل من أراد أن يكون في الله شاهدا ومشهودا.

هل عرفنا رسول الله؟ هل قنا رسول الله؟ هل تواصلنا رسول الله؟ هل تعارفنا رسول الله؟ هل لقينا من أعلى رسول الله؟ هل صادفنا من أدنى رسول الله؟ هل كفانا أن نقوم رسول الله.

لا!! هل نعبد من دون الله!! ولم تُصروا أن تكونوا عبادا لأعلى تعبدون؟ لمَ لا تكونوا أربابا بالأعلى ترشدون؟ {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}، كونوا رسول الله لربه، كونوا حقا من حقائق الله.

كونوا ربانيين، حتى تغني نفوسكم بالربوبية، فتحن عقولكم للعبودية. إن العبودية أمر خطير فوق الربوبية. أما عن الربوبية فكلكم رب، كلكم راع، كلكم قائم بها، كلكم فاعل بها، كلكم طيب أو شقي بها، ولكن تذكروا بعقولكم، فكلكم مختبر فيها، كلكم مسئول عنها، كلكم محمل بعبئها، كلكم ينوء بعبئها، كلكم ينشد التخلص منها والتخلي عنها.

فإذا أدركت عقولكم أمركم، وكشفت لكم سرهم، فأدركتم بعقولكم، وبعلمكم الله عنكم، افتقاركم للأكبر، إن فعلتم، امتدت يده إليكم.. فاصطفاكم، وبالعبودية له اجتباكم، على ما تريدون من أمر العبودية له، فإذا لقيكم أعزكم، وحياكم، ورد إليكم تحيتكم، فقال لكم ما قال لعبده ورسوله، لا فرق بيني وبينكم.

إن الله.. إن من تسمونه الله.. ولا وعي لكم عنه، ولا أدب لكم معه، ولا علم لكم به، ولا استقامة لكم معه في طريقه، هو من تقومون بالكنود معه باسم المحبة، وفي الحرب باسم السلم له، وتذكرون السلام في قيام من الخصاص، وتدعون إلى الخصاص باسم السلام، تهيئون للحرب، وتعدون العدة، لإثارة الكروب، باسم الحفظ للسلام، والإبقاء على الوثام.

سبحان الله! ما أعجب هذا الإنسان! ما أغربه! ما أتعسه! ما أشقاه! ما أنكده! ما أغباه! ما أظلمه! إن الله ما ظلمه، ولكن هو نفسه ظلمه، ثم ينسب الظلم لله! هذا قضاء الله! وقدر الله! من قضاؤه؟ ومن قدره؟ إنما هو أنت.

إنه أنت، وإنك نفس لمن أعطى كل شيء خلقه، وقدره فهداه، وقدره فأضلّه. فما كان الهدي والضلال إلا من قدرته، وما كان الخير إلا من شرعته، ولكن شرع الإنسان لنفسه، بظلام نفسه مغفلاً، ما شرع لنفسه بحقي نفسه بنوراني نفسه، كتب الكتاب بيده، ثم يقول هو من عند الله، يحرف كلم الله عن مواضعه في استعماله، بهتاناً وطغياناً، وظلماً وظلاماً، ولا يترك لكلمات الله من جنسه، مواضعها من الناس لأداء وظائفها {ويقتلون النبيين} ١٠ ويعطون كل إصلاح وراء طغاتهم.

يجادل في الله بغير علم، ولا هدى ولا كتاب منير، متابعا طاغوته، مبرزاً جبروته، ناشراً ظلامه، مقدساً كلامه، منكراً إمامه، يقول أيان يوم القيامة؟

فالحساب عنده ليوم الحساب، وينكر على سريع الحساب.. العقاب عنده ليوم العقاب، ويحمد ويغض عينيه عن العقاب من سريع العقاب، يقول مادية التاريخ، والتاريخ ينطق بالحساب والعقاب والجزاء والثواب.. والتاريخ يسفر بتغيير الجلباب، وينطق ببقاء المعنى في الإهاب.

إن الله، ظاهر لا يحدد، غاب في شدة ظهوره، وإن الإنسان هو له ظاهر لباطن، يمشي في أجدائه بهياكله لمعاني قبوره، قلوبهم منقبرة، وأنهم يوم يبعثونها، أو يحرقونها، تعلم نفس ما قدمت وأخرت، لا تستعجل بقيامة لأنها قائمة، ولا تطمئن لسلامة لأنها ليست دائمة، (موتوا قبل أن تموتوا) ١١.. (....) عد نفسك من الموتى ١٢.. تكن مؤمناً.

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا يعلمونها ويشهدونها ويقومونها، ويعلمون أنها الحق، فلا يستعجلون فتح كنوز قلوبهم، عليهم يعملون شيئاً في حجابهم، هم المنظرون عرفوهم، وهم المرجأ

أمرهم لأمرهم شهدوهم، وحتى يتخيروا لمن يكونوا في أمرهم، فيجاهدون أنفسهم في الله، عله يهديهم السبيل ويجمعهم فيه على الدليل، من بينهم ومن أنفسهم، من عالم الشهادة أو من عالم الروح. {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ١٣. (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ١٤.

فما يكون الإسلام؟ وما يكون دين الفطرة؟ وكلنا مطلوب منه أن يجدد في الإسلام مدخله، في اليوم سبعين مرة باستغفار الله، برؤية الأغيان من نوره، في حال إيمانه وسروره، فكيف بنا إذا كانت أغياننا، أغيان أغيار، وظلمات هذه الدار، وترهات عقولنا يحلو لنا فيها التجوال! نرفض بيننا المثال، ولا نتأمل، فيما يظهر الله لنا من أحوال، ولا يوقظنا به في أنفسنا من أمورنا موقظ، من نقض عزائمنا، وضعف عزيمتنا، ومتلاحق هزائمنا في الحياة، هزيمة فيه بعد هزيمة، تبعدنا عنه، وما أحكمت إلا لتقربنا منه، كما قال القائل (عرفت الله بنقض العزائم) ١٥.

نحن المسلمون! نحن المؤمنون! هذه جمععتنا!! ... لمن أسلمتم؟ وبمن آمنت؟ هل عرفتم من أسلمتم له؟ هل لاقيتم من آمنت به؟ {يا أيها الإنسان، إنك كادح إلى ربك كدحا فلاقية} ١٦. {يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم} ١٧.

أين هو لتلاقيه؟ ومتى هو لتلقاه؟ إنه أقرب إليك من حبل الوريد.. هل لاقيته؟ إنه معك أينما كنت، هل وجدته؟ إنه مع الناس.. هل عرفته؟ هل عاملته؟ إنه مع الجميع.. فهل أكبرته؟ هل قدرته؟ إنه مع الوضيع والرفيع، هل على نفسك أعلىته؟ وفي نفسك طلبته؟

نحن الموحدون!! هل وحدته؟ إذا كان مع من أحببت، فهل مع من أحببت وجدته، فلاقيته؟ هل أنت ومن أحببت توحدتما فأظهرته؟ فكان مرآة لك، ومرآة له كنته؟ الله من ورائكم محيط، هل لاقيت وجهها لله من ورائه يحيط؟ هل لقاك له وجه رآك من ورائك محيط؟

هل صدقت ما بين يديك من الكتاب؟ هل طلبت أن يجعل الله لك ما وعدك من الجزاء والثواب؟ هل طلبت ولم يجبك؟ هل تعجلت ولم يجزك ولم يجعل لك؟

في كل يوم، وفي كل بلد، وفي كل مكان، يبرز الله بين الناس من الناس، من طلب فأجيب، ومن تعجل فأنيب، فقام في الناس مصباحا للطريق، وحوضا للحياة للعدو وللصديق.

ولكن الناس هم الناس، لا يؤمنون بالله لأنفسهم باسم الإيمان به، ولا يشهدونه فيمن قام، باسم الإكبار له، فلا هم في أنفسهم يطلبونه، ولا هم فيمن طلبوه يشهدونه، فإذا يريدون؟ وماذا يراد بهم؟ {أشُرُّ أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدا} ١٨.

أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا، وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم.. فلنبلونهم بالشر والخير فتنة.. أما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه، فيقول ربي أكرمني، مسيئا لنفسه، مخطئا في أمره، وأما إذا ما ابتلاه ربه ففقر عليه رزقه، فيقول ربي أهانني، يسقط ويرسب في هاويته، فاشلا في اختباره.

ما أكرم الله عبدا مكرما منه وهو بهذه الدار، مانحا له إياها، وما أهان الله أحدا من أهل هذه الدار، حارما له إياها، ولكنه في هذه الدار، وعلى ما هي، يعطي من يطلبه لكريم وجهه، أفضل ما يعطي. {أليس الله بكاف عبده} ^{١٩} فيجعل منه وجهه، ويجنب من يرهبه، أخطر ما يجب أن يجتنب من بقائه بظلام نفسه.

هذه الدار في ذاتها ومادياتها تنتهي بأهلها إلى جيفة، فطلابها في حقيقتهم كلاب، فهي بموقوت مادتها قدرة قدر ما فيها، ولكن فيها أمرا خطيرا، وشرفا كبيرا، واختبارا خطرا.. فيها ذكر الله وما والا.. فيها أمر الله لمن يصطفي الله.. فيها نور الله لمن يعرف ظلام نفسه.. فيها عظمة الله لمن يعرف تفاهة أمره، فيها الحق من الله، يقذف به على الباطل من أمرها فيدمغه.

فيها رسول الله.. فيها حق الله.. فيها أمر الله.. فيها خليفة الله.. فيها وجه الله.. يتجلى بها الله، على ما يليق بالله، بمن يتجلى بهم الله، على من يتجلى لهم الله، على ما يليق في أمر أنفسهم، متجليا بها الله بجزاء استقامة، وعطاء بكرامة، وخلاص بسلامة.

إن هذه البشرية على هذه الأرض، جليل أمرها، خطير شأنها، يوم تكون لله، يوم يكون رجل منها لله، رجلا في الله، آدماء وظلا لرسول الله وربه وإنسانهما، محمدا وحقا واحدا من الله.

إنسانها حق لا يحدث، وإشراق لا يغرب، ونور لا يحتجب، وقدرة لا تهزم، وحقيقة لا تبطل، يوم هو لا عوج له، ولا انحراف له يوم يتوفاه الله لنفسه فيه الظلام والنور، والليل والنهار، ولا ظلام ولا ليل له. هو العبد والرب له، فلا رب له، ولا عبودية له، هو الحق من الله. فما كان هو بظاهره عبدا لله إلا ربه لغيبه من الله.. وما كان ربه بقائه إلا قديمه لقيومه.

فما كان الإنسان لله في جديده إلا آدمه لقديمه، ذكر لذكر في موجود الله، لا جديد له، ولا جدة به، ولكن الجديد في الله، إنما هو التواجد به، في قيومه بقائه من الإنسان يوم يصطفي إنسانه من الحق آدمه من الخلق، بمن يشاء لمعاني عبده، فالمصطفى منه، هو عين المصطفى له، لا شريك له منهما، ولا انفصال لهما عنه.

بهذا جاء دين الإسلام، وجاء دين الفطرة، فعبث به العابثون، وتمطى باسمه الظالمون، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله صمد بنوره.. صمد بأمره.. صمد بسره وجهره.. صمد بعباده.. صمد بحقائقه.. صمد بغيوبه.. صمد بشهوده.. شعار أشهرته رسالة الفطرة، يوم رفعت علمها للوجود لا إله إلا الله، وعلمها للشهود محمد رسول الله.

ذلكم الله ربكم الحق، فإذا بعد الحق إلا الضلال؟ جاء رسول الله بما يقربنا إلى الله، وبما يبعدنا عن أنفسنا، مخلصا لنا من أمرنا بها، ممكننا لنا من أمره لنا أمرا لله، لنجدها به لنا في الله اسما ووجها له، عبادا وأكوانا لوجودنا، وعوالم لمعاني دورنا لاسم الله لنا.

فهل حرصنا على شيء من ذلك لنا، حرص من حرص، وجددنا أنفسنا كما جدد من جدد؟ أم أننا ما حرصنا في جمعنا، وما جددنا في اجتماعنا، وما توأصينا في مجموعنا؟ وها هو الزمان يستدير على هيئته كيوم بعث الله رسوله بالحق في عالم من دامس الظلام استدارة للزمان على هيئته، كيوم خلق الله السماوات والأرض.

ها هي إرهابات تجديد الرسالة الفطرية، رسالة السمو.. رسالة السماء.. رسالة الروح.. رسالة أسماء الله.. رسالة الملائ الأعلى من الإنسان للملائ الأدنى من الإنسان.. رسالة الإنسان لنفسه، يحملها الإنسان بنفسه، ويخاطب الإنسان بها إنسان نفسه في عين موجوده، لوجوده في وحدانية الله، لحقائق الحياة.. لتوحيد الأكوان والعوالم.. لتوحيد إنسانية الغيب، بإنسانية الشهادة، لتوحيد موجودات السماوات، مع موجودات الأرض.. لتوحيد وجوه الله في الغيب، مع وجوه الله في الشهادة، قياما لا إله إلا الله، وبعثا لمحمد رسول الله.

هكذا يبعث الرسول في دوام إنسانه لدائم وجوده بحقه، ومتجدد تواجده بخلقه، بعثا بعد بعث، وهكذا يتواجد وجودا بعد وجود، وهكذا يشهد، شهودا من شهود في قائم لا إله إلا الله، في قيوم الله أكبر، في ذي المعارج، في الموجود المطلق.

أما المطلق اللانهائي، فلا غيبة له، ولا إحاطة به، فهو لا يغيب أبدا ولا يدرك أبدا، ولكنه بعباده يقوم، وفي عباده، لهم يشهد، وبهم لمتابعيهم فيهم يشهد ويشاهد، وبهم فيهم لهم يتواجد فيعرف، ويدرك، فهو لا سمي له، فيتسمى به، فلا اسم له.

يتشاهده الإنسان، شاهدا ومن شهد، وشاهدا وما شهد، في وحدانية الشاهد والمشهود، سيرا إلى الله المطلق، في الله الوجود، في إنسانه الموجود لا يغيب، في الله الغيب لا يحضر، في الله الحاضر لا

يحتجب ولا يغيب، في الله المعلوم لا يجحد، في الله المجحد لا يعلم، في الله للإنسان، في الله الإنسان لله، في شعار الفطرة والإسلام لا إله إلا الله.

فهل أقننا شعار لا إله إلا الله على أنفسنا، فقمنا شعار لا إله إلا الله لمن يحيط بنا، (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ٢٠، إنما المؤمنون أخوة، المؤمن مع المؤمن، كأعضاء الجسد الواحد؟

المؤمنون، قيام واحد.. قلب واحد.. نور واحد.. نفس واحدة.. حق واحد، في أي صورة ما شاء الأعلى ركبته، وفي أي طريق ما أراد الأعلى وجهه، وفي أي أمر ما أراد الأعلى أقامه وقومه، ذلكم هو شعار الفطرة بلا إله إلا الله، بشعارها محمد رسول الله.

اللهم يا من أظهره شعارك لا إله إلا الله، بشعارها محمد رسول الله، اللهم جدد لنا فينا الشعار، وجدد له بنا لك الدار، فغير به ما بأنفسنا، حتى تتغير، وحتى له نعرف، وبه نقوم، لك نذكر، وباسمك نشرف. اللهم به فادخلنا في حصن لا إله إلا الله، خالدا لا يغيب، قائما لا يحتجب، مقيما لا يبطل له فعل، ولا يتعطل له عمل.

اللهم وقد جعلت شعارها محمداً رسول الله، باباً مفتوحاً يولج، وطريقاً مستقيماً يطرق، وماءً عذبا يورد، ونورا ساطعاً يقذف، وروحاً حياً يوحى ويقارب، وأمرأ قوياً يبعث ويقوم.. اللهم به فجدد هذه الأرض، وقلوب أهلها، وأحيا مشرقة بنور ربها ينشق قدمه عليها عنها.

اللهم به فارزقنا السلام لأمرها.. اللهم به فقومها، وانف عنها خبثها.. اللهم به فأعلِ أمركِ عليها، وجدد له أمركِ فيها، بأمره منك لها...

في الأرض أوجتته، ومن الأرض أخرجته، وفي السماء أصدتته، ومن السماء رددته.. اللهم اجمعه عليه به، به من سمائه، عليه في أرضه.. اللهم اجمعه عليه به، به من أرضه عليه في سمائه.. اللهم اجمعه من شتاته لقائم وحدته لأحده.

اللهم وقد جعلته رحمة للعالمين فأعلِ في الناس في سفور أمره، واكشف لهم بينهم منك كوثره، وارفع فيهم على ما وعدت ذكره، وانشر فيهم خبره، ولا تمنعهم لهم أثره، فانشر به فيهم نورك وروحك يقوم ويتقلب في الساجدين، مشهودا منك، مشهودا بك.

اللهم وقد جعلته الحق منك لهم، لتقوم به أمرهم، وتحي باسمك ذكرهم.. اللهم لا تحرمهم منه، دائماً بينهم بسفور، كوثر وجوده مع تكاثرهم بكشف الغطاء عنهم.

هكذا جعلته لهم، قلبا نابضا بالحياة، وما عرفوه، وفي مجابته جحدوه، وعليه مشهودا أنكروه.. قبروه، وفي المقابر ذكروه، ومن قبور قلوبهم ما بعثوه، وجسدا كأجسادهم وصفوه، فما نورا عرفوه، ولا روحا قاموه، ولا سرا طلبوه، ولا بيتا طافوه، ولا حقا دائما متجددا شهدوه، ولكن طغاة عليهم بينهم نصبا له أقاموه، وبالصلاة لها صلة به استقبلوه، وباسم الحج إليها طافوه، ثم حرصوا على ما كان عليه آبائهم فبطغاة بعثوه، وبطغاة جددوه، وهو بينهم في دائم قيام أهملوه، فإن تحدث كذبوه، وإن تقدم ردوه، وإن جاهد صلبوه، وإن جاهر بخصومتهم تابعوه.

اللهم وقد جعلت به روح قيامنا لخلاصنا، وجعلت الكفر والإيمان به، إنسان قيامنا، كفرا بك وإيماننا بك، وجعلت الإيمان به واللقاء له شكرا لك، والجحود معه إنكارا عليك.. اللهم وأنت بذنوب عبادك البصير وبأمرهم الخبير.. اللهم إنا به نسألك أن لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وألا تتركنا لطغائنا ردا لأعمالنا علينا، وألا تحرمنا من هدايتنا بيننا بما كسبنا.

اللهم اكشف لنا الخبيث من الطيب، حتى يتبين لنا الخبيث والطيب، واهدنا إلى الطيب، وامنعنا عن الخبيث.. اللهم وقد جعلته رحمة للعالمين، اللهم به فارحمنا.. اللهم به فاهدنا.

اللهم وقد جعلته كتاب الوجود، كما جعلته شمس الشهود، كما جعلته عين الوجود للشهود.. اللهم به فاقرئهم كتبهم، وعلمهم أمرهم، وخذ بنواصيرهم إلى الخير.

اللهم وقد جعلته وحيك، وجعلته في العالمين أمرك.. اللهم إليهم فأوجه، وأوج^{٢١} به، واجعل منه بهم وحيًا لهم، حتى يأخذوا كتبهم بأيمانهم، ولا يتخذونها بشمائلهم، بغفلتهم، عن كسبهم وعن أمرهم، وقد جعلته للمؤمنين أمرهم.. اللهم علمهم ما إليه هديتهم، {أن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى}^{٢٢}.

اللهم أرهم قديم سعيهم، حتى يطلبوا منك مرة أخرى إنظارهم، وإن طلبوه فأنظرهم، وبالاستقامة فجددهم، وفي الطريق نخذ بنواصيرهم إلى الخير، وإلى الحق فوقهم، وعلى أهله فاجمعهم.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم به نخذ بنواصيرنا إلى الخير، حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، مهتدين وضالين، آمنين وقلقين، سالمين ومهددين.. اللهم به فأنزل سكينتك على قلوبنا أجمعين، والسلام والسلام على أرضنا إلى يوم يبعثون.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:
- ٢ حديث شريف: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه". أخرجه الديلمي، وجاء في الجامع الصغير للسيوطي.
- ٣ تم تصويب هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٤ من حديث شريف: "يا أباذر أحكم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير". أخرجه الديلمي في (الفردوس)
- ٥ سورة المزمل - ٤
- ٦ سورة الزمر - ٣٦
- ٧ سورة المزمل - ٧
- ٨ سورة الأحزاب - ٥٦
- ٩ سورة آل عمران - ٧٩
- ١٠ سورة آل عمران - ٢١ وسورة البقرة - ٦١
- ١١ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعدَّ نفسك في الموتى". أخرجه البخاري.
- ١٢ حديث شريف رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي وقال: كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعدَّ نفسك في الموتى". أخرجه البخاري.
- ١٣ سورة يوسف - ٨٧
- ١٤ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضُرُّهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأثكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بالفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.

- ١٥ مقولة لأحد الحكماء، أو الصالحين، لم نستدل على اسمه، وجاءت القصة كالآتي: "لقي حكيم حكيمًا فقال له: "بم عرفت ربك؟ فقال: عرفت الله بنقض العزائم". كذلك روى الإمام الحسين (عليه السلام) عن الإمام عليّ كرم الله وجهه: أن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين، بماذا عرفت ربك؟ قال: بفسخ العزم، ونقض الهم، لما هممت فخيّل بيني وبين همي، وعزمت نخالف القضاء عزمي، علمت أن المدير غيري. محمد الريشهري. المكتبة الشيعية.
- ١٦ سورة الانشقاق - ٦
- ١٧ سورة الحجرات - ١٧
- ١٨ سورة الجن - ١٠
- ١٩ سورة الزمر - ٣٦
- ٢٠ حديث شريف: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". صحيح البخاري.
- ٢١ تم تصويب هذه الكلمة وفقاً للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٢٢ سورة النجم - ٤٠:٣٩

(٨)

إنسان الوعي المحيط الكامل والنظر الحديد الشامل في خدمة وهدى عباد الله وخلق الله وأمور الله

حديث الجمعة

٢٩ محرم ١٣٨٦ هـ - ٢٠ مايو ١٩٦٦ م

(إني أرى في الأفق البعيد، نذر حرب، وسفك دماء). هذا ما أشار إليه الروح المرشد السيد سلفربرش بلسان وسيطه (محمد عيد غريب).

إني أرى في الأفق البعيد، قضاء، يريد أن ينقض عليكم.

إني أرى في الأفق البعيد، ارتداد أعمالكم، تريد أن تنقض عليكم، بما رسمتم لأنفسكم، نفاذا للقانون، بما اكتسبتم، وقوعا للقول عليكم.

إني أرى ما لا أحب لكم، يريد أن يحل بينكم.

إني أرى أمراً، لا أحب أن يكون له وجود عليكم، وألا يمكّن منكم، وأن لا يحل بكم.

هكذا يقول من معنا يتعارف، ممن هو لنا معروف. نحن لهما الأبناء والأوادم والظلال، نحن منهما لهما الكلمات، نحن فيهما بهما لهما هم وجودنا لنا للوجود، وحياتنا منا للشهود في الحياة وفي السجود، في بيوت هياكلنا، وسفن أنفسنا، سبحا في بحار المطلق، لا شاطئ لنا فيها نراه.

نحن إليه الفقراء، طلباً للحياة، وتخلصاً من حياة اللامبالاة، إلى حياة التقوى، ومن حياة الابتلاء بقلوبنا خاملة، إلى عالم النجاة، إلى أرض النعمة، بعداً بقلوبنا عن أراضي ذواتنا، لأراضي النعمة، منظرين في أمرنا، النار فينا ومن حولنا، برداً وسلاماً، ما آمنا بالله ورسوله لنا، ولمعيتنا، لجديدنا بهما، ونخلصنا

منا، بنفوسنا بعيدة عنهما، تخلصا وخلصا، ممن يجري فينا مجرى الدم، بمادي وجودنا، لمعنوي تواجدنا، بموجود الله ورسوله لمعيتنا وخلصنا.

هكذا قال لنا من تواجد بيننا، بحال تواجده عندنا، بوسيط من أنفسنا، رسولا من واجب الوجود عندنا، ومن المعروف لنا لبدئنا لتواجدنا، نحن لهما الأبناء، في جلايب الرجاء بكوثرهما، في تكاثرنا، بموجودنا لهما، إنسانية الله.. عباد الله.. وجوه الله.. حقائق الله.. أمور الله لأمرنا.

من الأفق البعيد يدانينا، حق الله، في طريقه ليحل بمباينا فيرى قضاء الله برد أعمالنا يسبقه إلينا، فإذا المعروف لنا.. إذا الحق لأمرنا.. إذا رسول الله لإدراكنا.. إذا نور الله لوجودنا.. إذا روح الله لحياتنا، يدفع عنا، ويشفع لنا، ويتعرض لنا موس الفطرة، بناموس الرحمة، يتعرض لنا موس القدرة، بناموس الشفاعة، جامعا عوامل الرحمة من عالمه لنجدتنا والدفع عنا، فيقول لنا (لذلك ترونا دائبي النشاط، دائمي التجمع، نواصل عقد الاجتماعات، لتبادل الرأي ولتنسيق العمل، فالعمل الجماعي في عالمنا هو القانون).

نجاهد لمحاربة البلاء، ولمقاومة الجزاء، ولاستجلاب الرضاء، عاونونا، تابعونا، كونوا معنا، ضعوا ما أودع الله في موجودكم، في خدمة السلام، في خدمة أنفسكم، في خدمة أبنائكم، في خدمة أزواجكم، في خدمة أهليكم، في خدمة جماعاتكم، في خدمة أحبابكم، في خدمة أمتكم، في خدمة أممكم، عاونوا جنود السلام على إقامة السلام.. على نشر السلام.. على إفشاء السلام.. على المسالمة.. على الدخول في السلم. إن رسالة السماء دائما، ورسالة السماء اليوم، كما كانت دائما، إنما هي رسالة السلام.. إنما هي رسالة السلم والأمان، إنما هي رسالة الأمن والضمان.. إنما هي رسالة الإسلام.

إن السلام والأمن، لا يتحققان، إلا بالعمل الدائب، إلا بالنصب، إلا بالشقاء، إلا بالطلب، إلا بالمجاهدة، إلا بالتوكل على الله، لا بالتواكل، فالفرق بين التوكل والتواكل، كالفرق بين السماء والأرض.

إن التوكل على الله، إنما هو أعمال ما أودع الله فيكم من قدرته، أعمال ما أودع الله فيكم من إرادته، أعمال ما أودع الله فيكم من مشيئته، أعمال ما أودع الله فيكم من وجوده، ببذل ما أودع الله فيكم من جوده، في غير إنكار على شهوده، وفي غير جحود على موجودكم لموجوده، موحدين لله، بجمع قلوبكم على قلبٍ حي به.

اجمعوا أشلاء الله المعنى الذات له مبعثرة في موجودكم، بسبب ما تقومون فيه من تنافر بينكم، فلو تجمعت هذه القلوب، لالتأمت هذه القوالب، وإذا التأمت هذه القوالب، لتراصت متحدة ملتصقة، فتكون

منها الجسد الواحد، والذات الواحدة، والأمر الواحد، والإنسان الواحد، وال - الله الواحد ببيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

هذا هو التوحيد، يوم تتحد القلوب، فتجتمع القلوب، وتمتزج النفوس وترتبط العقول، وتنطلق الأرواح، فتتحيا بالله، بيوتاً له، هي هذه الأشباح، فتعكس إلى أعماقها فيها، قراها لمبدعها وبانيها، لا شريك له منها، ولا غيرة لها معه، تراه وتسمعه، عنها لا يحتجب، وبها لا يغيب، شعارها لا إله إلا الله، ومشهودها فيها لها محمد رسول الله، في قائم لهما بها برضوان أكبر، في رضوان لها، رضوانا من الله ورسوله، قائم الحضرتين لقيامها لقيوم الحضرتين معروفا لها، في قائم الحضرتين لا حد لهما...

سُفنا ساجدة في الوجود، وجود الحضرتين، لا إحاطة بالله ورسوله، ولا غيبة لله ورسوله، ولا شريك من النفس لله ورسوله. فما توحيد الله ورسوله عند النفس، إلا في وحدانيتهما لهما، وقيامهما بهما، لا شريك منها لهما، أو معهما، ولا انقطاع لهما عنها، فلا ظهور لها إلا بهما.

بذلك قام شعار الإسلام، وشعار دين الفطرة، بلا إله إلا الله، محمد رسول الله. فهل عملنا وسعينا بمحمد رسول الله لنا لدخول حصن لا إله إلا الله لأماننا.. حصن الإسلام المنيع، ودرع التقوى، وجنة المأوى، والسيف الباتر لمن التوى.

بالشهادتين قام الحق ودينه، وبهما نُصِر الروح وأمينه، وبهما قام محمد وصحبه، وعليهما قام البيت وعترته، والرسول وظلاله، في ظاهر الأمر من الوجود، وبهما قام الرسول وصحبه، في باطن الأمر، حق للشهود، وبهما التحم الرسول وصحبه بباطنهم، في الكينونة مع ظاهرهم، بالكون، فقام التوحيد للشهود بوحدانيتهما، في تواجدهما لموجودهما في الوجود الواحد لهما.

فكان الرسول وصحبه بالحق له - بظاهره وباطنه - قبلة الحياة، لأزلي الأحياء للظهور، كما كان قبلة الحياة، للتواجد بها، في أبدي الأشياء خروجاً من القبور.

وهذا ما عناه الكتاب، من أن الله بملئه قديماً بالإنسان، اتخذ من النبي قبلة صلاته، وطلب لمشروع الخلق الأبدي له أن يتخلق بخلق، جديد قديمه، فيتخذ من النبي قبلة له في صلاته.

جعل منها العروة الوثقى، وقبلة لدائرة الوجود بشقيه للصلاة والتواجد، ليعرف القديم في الجديد ساحة فيها يتلاقى القديم بالحياة لمعنى الحق، مع القادم بالحياة من جديد لها معنى الخلق، أحياء لأحياء، يتلاقون في ساحة الحياة، في كنف الحياة، في غرفة الحياة، في بيت الحياة، في مدينة الحياة، في مديد الحياة، في ساحات الحياة، في آحاد الحياة، أمورا لله...

وجوها لله، تجتمع حول وجه لله، تتخذة قبلة صلاة، وسفين نجاة، وركب سعاة، يوم تراها، في نفسها تراه، لمرآها منه بمبناه، في مشهودها لها، عن علمها بها لمعناه، في علمها عن ربه رباً لها، وعن حقه حقاً لها، وعن إلهه إلهاً لها، وهو بدوره يصلي عليها سكا لها ورحمة بها، رائها لها على ما تراه.

لا يكل لها إيمانها إلا يوم تراها له، قلباً وقلباً، وتراه، لربها عندها، قلباً وقلباً، وتعرفه معروفاً للأعلى، هو له قلباً وقلباً، فعرفتها إليه مضافة، وإليه منسوبة، لا هو عنها مجهولاً عندها، بل هو عندها لها معروفاً بها، المؤمنون هم له منه بنوه، فكانوا به له منه بني معروف، وليسوا بني مجهول، كانوا أبناء معلوم، وليسوا أبناء مغمور. وما كان المعروف دائماً يوم يعرف إلا الحق من الله، وما كان للناس حقاً من الله إلا الإنسان، عبدا وربا، وما كان الإنسان لنا إلا رسول الله، أول العابدين خلقاً وحقاً، في دوام يبعث فيقوم، وفي دوام مبعوثاً يمتد ويتكاثر، فيتجدد ويتعدد، فمع جديده يعرف ويتابع، وبهما في دوام يلاقى ويتعارف.

إن رسول الله، أول عابدين، لا أولية لهم، وآخر متحققين، لا آخية لهم، إنه الأمر الوسط، بين أمرين لا بدء، ولا انتهاء لهما.. إنه الحق من حقائق الله.. إنه الوجه لوجه الله.

إنه للناس جميعاً، أول العابدين، بخلقيتهم، فهو معلوم آدميتهم وإنسانيتهم، لعلمهم، ومعروف الأبوة لمبانيهم ومعانيهم لاعتقادهم. أبوة شاملة، المؤمنون جميعاً هم له الأبناء، وهم به الآباء، مزوية له الأرض، ومزوية به لهم، جعلت له ولهم مسجداً وطهوراً، إنه بسعته برحمته لا يستنكف أن يكون الناس من نبات الأرض من أهلها هم من أهله، تنشق الأرض عنه بهم دائماً، هو لهم مهما أظلمت نفوسهم، ومهما بجدت، لا يستنكف أن يكونوا أبناءً له، إنه أول الخلق.. إنه أول العباد.. إنه أول الحق.. إنه البداية والنهاية، وإنه القمة والغاية.

إنه لا ييأس لأبنائه، في مادي وجودهم، من الله لهم، في معنوي تواجدهم، يوم يتابعونه، وفي الطريق دائمة سرمدية به، يتبعونه، ويسترشدونهم، فيرشدونهم، فيتواجدونه، فيتحققونه، فيرونهم في الله، على ما رآه في الله، اسماً لله، فيروهم أسماءاً لله.

الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم ارتابوا، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}²، والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يرتابوا، اجتازوا البلاء، وأحسنوا الأداء، فوفوا الاختبار، واستقاموا في العبرة والاعتبار، {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين}³. إن الذين لم يرتابوا في إيمانهم، في إيمانهم بالله ورسوله، هم الأسماء الحسنى، {إن الله كان عليماً حكيماً}⁴. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}⁵. نعم الاسم هم، نعم الإيمان

هم، نعم المؤمن هم، نعم الوجوه لله هم، {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}، ومن ظلّالها لها منظورة، ظهورها بمنظورها، وقيامها علماً على معلومها، (المؤمن مرآة المؤمن)^٧، (المؤمن مرآة أخيه)^٨..
(المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال)^٩.

إنك لن ترى ملاحاة وجهك، ولا قبح وجهك، دون مرآة تعكس لك حال وجهك، إنك لا ترى ما على وجهك من غبرة، ولا ترى ما على وجهك من إشراقة نضرة، إلا عن طريق مرآة، ترى وجهك فيها، وما كانت مرآة المؤمن له، إلا المؤمن في مؤاخاته وخلته.

لن ترى حالك، إلا في حال من تؤاخي، فانظر من تؤاخي، وانعكس إلى نفسك لترى موضع من تحب منها. سل ضميرك، سل قلبك، عمن تحب، فإذا عرفت موضع من تحب منك، فتأمل فيمن تحب هذا، وتفكر في هذا الذي تحب، وتساءل بينك وبين نفسك وبين ضميرك، ما هو دين هذا الذي تحب؟ ما إيمان هذا الذي تحب؟ فإذا حكمت له أو عليه بيقين قام عندك، فاحكم بيقينك به، على نفسك في معناه، عن نفسك في الله.

إن الله حرم الظلم على نفسه، وأمر الناس ألا يظالموا.. إن الله حرم الشح على نفسه، وأمر الناس ألا يكونوا بخلاء، فقال لهم الرسول، (البخيل عدو الله، عدو المؤمنين، عدو رسول الله)^{١٠}.. (تصدقوا ولو بشق تمرة)^{١١}، تصدقوا على الناس ولو بإمالة الأذى عن الطريق^{١٢})، كونوا كرماء، آثروا على أنفسكم ولو كان بكم خصاصة، جاهدوا بذلك الجهاد الأكبر، جاهدوا بذلك في الله حق جهاده، عاملوا الناس معاملة مع الله، (إن الصدقة تقع في يد الله)^{١٣}.

أين هو ذاك الجهاد الأصغر، من الجهاد الأكبر! إن مجاهدتك لنفسك، وهي أعدى عدوك، كامنة بين جنبيك، ليس أمراً سهلاً، ولكنها تسهل يوم تجد لك من الله ورسوله عوناً، أنت مفتقر إليه، فيجبر الله افتقارك، ويوم تنكسر معه، يجبر الله انكسارك، ويوم ترى ضعفك، يجبر القادر ضعفك، فيمنحك من قدرته، ويسعفك بنجده، يوم لا تعمه في طلعتة بعين لطيفه لك.

أينما تولوا فثم وجه الله، في أنفسكم وفي أنفس الناس، فلم تنكرونها؟ ولم تعمهونه؟ ولم تستكبرون عليه في ضمائركم، وفي محيطكم؟ يسأل الإنسان أيا يوم القيامة؟ وما يسأل أيا يوم القيامة، إلا يوم يفجر أمامه، وينكر إمامه، ويخاصم في مشاهدته أعلامه، وينكر على قيامه قيامه...

أي قيامة، عند المؤمن، الذي قبل الإسلام ديناً، وعرف الرسول يقينا حقاً مدانياً أميناً، وعلم الكتاب لمعنى نفسه مدركا كريماً، بما أحكم، وبما أبرز محكماً، وبما هدى واضحاً معلماً، فكان الناس، به له، في رسالة الفطرة، أئمة وكلها، والله وجوهاً وعلماً تتراص منهم القلوب، وتفرج لهم عياناً بياناً الكروب.

ها هم أرواحاً مرشدة يرون في الأفق البعيد، قضاءً يريد أن ينقض على موجودهم الوليد، فيحيطونه بوجودهم القوي العتيد، حماية لموجودهم الجديد، ورعاية لوليدهم السعيد، فيدفعون عنه القضاء بحق وكفاية، أو يمزجونه بلطف وحكمة وعناية، ويوجهونه لظهور العبرة وحكمة الرعاية.

إنهم أسماء الله.. إنهم أعلام الله.. إنهم حقائق الله.. إنهم عباد الله. ويطلبون إلينا، أن لا نبتعد عنهم قيد أنملة. إن الهلاك في الفرقة، وإن السلامة في الاجتماع، وإن الابتعاد عن الأب والأم فيه الضياع. (يأكل الذئب من الغنم القاصية) ١٤.. (الزم الجماعة) ١٥، (عد نفسك من الموتى [تكن مؤمناً]) ١٦.

أحي قلبك، يُفرِّج لك كربك، وأطلق عقلك، ليدبر لك أمرك، وحرر روحك، لتخلص لك نفسك. إن الدين، إدراك وعمل.. إن الدين، مجاهدة وأمل.. إن الدين، ركون إلى الله، بكل الإنسان، وتخلص الإنسان من كل نفس، وإرجاع به لكل نفس، لأحضان عقله، ورجوع بكل عقله، لموجود ربه، لا شريك له، من أمره.

لا يفرق المؤمن بالله ورسوله بين الله ورسوله، أبداً، في دنياه ولا في أخراه، في عاجلته بشبحه أو في جنته بروحه، لا يفرق بين الله ورسوله، في أمره وخلقه، في ظاهره وباطنه، ثم هو.. لا يفرق، بينه وبين رسول الله، في أمره، في خلقه وحقه، إحياءً له، وبقاء لرسول الله، كما اتَّحى رسول الله، في الوجود لموجود الله، فقام الرسول بالوجود لموجوده. وكما اتَّحى قبس نور الله له، في بحار نور الله إليه، فقام الرسول بحار النور في عقيدة واعتقاد المؤمن بالله والرسول، حقائق الله عند المقدر لله حق قدره.

إن الذي هو لرسول الله مع ربه، هو لك مع رسول الله، يوم تكون مؤمناً بالله ورسوله، فلا تمحُ رسول الله بموجوده، في موجودك، بحوه عن وجوده لوجودك. ولكن احُ موجودك ووجودك، إلى موجوده ووجوده، فإلى موجود ربه ووجوده، فإلى الله في موجوده ووجوده، حتى تدخل في شعاره لا إله إلا الله، دخولا في حصنها برسول الله، وحتى تشهد شعاره محمداً رسول الله لآدمك في الوجود له، أمراً لله، شهادةً تقوم بأمرها، {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم} ١٧.

وما سجد لله في السماوات والأرض، بأمره وظلاله، إلا الإنسان.. وما سجد له في السماوات والأرض، مشهود الله لوجوده، إلا الإنسان، وما بعث بمعاني الحق في السماوات والأرض، اسماً لله، أو أسماءً لله، له الأسماء الحسنى إلا الإنسان، وما تواجد في الوجود لموجود الحق، ولموصوف الخلق، علماً على الخالق إلا الإنسان.

فالإنسان للإنسان في الإنسان، في الله ذي المعارج هو جماع حقائق الله (أعطيت جوامع الكلم) ١٨.. (الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم) ١٩. بذلك وبإدراكه يقوم للإنسان معنى الإسلام، ومعنى

الإيمان.. ومعنى العرفان.. ومعنى الحق.. ومعنى الرحمن، وبه يسلك الإنسان الطريق، ويحسن اختيار الرفيق.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من تجليتنا بهذا الوجود لنا في وجودك، لواسع موجودك، حققنا بموجودنا لك بجودك.
اللهم يا من جعلت من محمد، عبداً لك، آدماء، ورسولا منك، قدوة لنا لغاية وأسوة لنا ببداية.. اللهم اجعلنا في اقتدائه، وارزقنا الطريق إلى ارتضائه ورضائه، وجنبنا المخافة في التجائه، وولائه.
اللهم به فتولنا، وإلى قبلته فولنا.

اللهم زده مما أعطيت، وأوفر حظه مما هديت، وحقق رجاءه فيمن ابتليت، واغفر لنا به فيمن غفرت، وارحمنا به فيمن رحمت، وتولنا به فيمن توليت، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، قوادا ومقودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، عالمين وجاهلين، ساعين ومتقاعسين.

اللهم وقد جعلته رحمة للعالمين فارحمنا به يا أرحم الراحمين، وتولنا به في الصغير والكبير من شأننا، في ديننا ودنيانا، وفي أولانا وآخرانا، في معارجنا إلى حقنا، وفي تواجداتنا بخلقنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ تم تصويب هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٢ سورة الحجرات - ١١
- ٣ سورة العنكبوت ٢-٣
- ٤ سورة النساء - ١١
- ٥ سورة النحل - ١٢٨
- ٦ سورة القيامة - ٢٢-٢٣
- ٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٨ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه". أخرجه أبو داود والبخاري.
- ٩ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحداً من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

- ١٠ استلهاما من معنى الحديث الشريف: "السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، ولجاهل سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل". رواه الترمذي.
- ١١ من حديث شريف: " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَنَ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ." أخرجه البخاري ومسلم.
- ١٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "لِإِيْمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ." صحيح مسلم.
- ١٣ حديث شريف عن عبد الله ابن مسعود: " إِنْ الصَّدَقَةُ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعُ فِي يَدِ السَّائِلِ." أخرجه الطبراني. وجاء نفس المعنى في الحديث الشريف: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ تَقَبَّلَهَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَخَذَهَا بِمِيزَانِهِ فَرَبَّاهَا...". أخرجه أحمد واللفظ له، والبخاري، ومسلم مختصرا باختلاف يسير.
- ١٤ حديث شريف: "ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، عليك بالجماعة فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.
- ١٥ من نفس الحديث الشريف في الملاحظة السابقة.
- ١٦ حديث شريف رواه عبد الله بن عمر: "أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ جَسَدِي وَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتِ". أخرجه البخاري.
- ١٧ سورة الرعد - ١٥
- ١٨ جزء من حديث شريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ١٩ مقولة للسيد أبي الحسن الشاذلي. (ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم، ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم).

(٩)

خلايق في ابتلائها لحقائق في عمائها في الحي القيوم لا شريك له

حديث الجمعة

٦ صفر ١٣٨٦ هـ - ٢٧ مايو ١٩٦٦ م

الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الحمد لله الذي أشهدنا أنه لا إله إلا الله، بأننا لله وأنا إليه راجعون.

الحمد لله الذي أشهدنا أن محمدا رسول الله، بأننا محمداً رسول الله، وعرفنا به وجمعنا عليه يقوم ويتقلب في الساجدين، يمشي في الناس بالنور أنزل معه وجعل له.

الحمد لله، الذي أعلمنا، أننا لله ورسوله، ما استقام أمرنا واستقامت طريقنا، واستقامت عقيدتنا، فاستقام قولنا، واستقام فعلنا، فبعثنا بالحق لسرمدته، وكسبنانا، أمانة قيامه، وأعلام سلامه.

قامت رسالة السماء للسمو بيننا دائماً، وكما تجددت ببدء الحق في نهاية بتمام غاية، على الإيمان بالله، والإيمان برسوله، والإيمان بأنفسنا منهما، وإلهما..

أعلمتنا رسالة السماء، بدين الإسلام، أن الإسلام دين الفطرة.. أعلمتنا أن كل من في السماوات ومن في الأرض يُسَلَّم للأعلى ويقوم فيه، قياماً بالله في مطلقه، وأن شقاءه وسعادته في نكرانه، في زمانه أو إيمانه بقائه بالله ورسوله هما قائم الزمان لقائه لزمانه، للمعروف بقائه بالوجود، عبداً ورباً، جحوداً أو سجوداً لله ورسوله.

بذلك قام فقه الإسلام، على التعريف عن الله ورسوله فالله معروف عارفه، في معرفته عن نفسه قائم رسول له لقائه لقيومه بربه، وجهاً لقائم الرسول لزمانه بالمعروف لمعناه حقاً بقائه عبداً ورباً عند عارفه

بمعرفة عن نفسه لقلبه وقاله من الله ورسوله. انبثق عنهما في قديم، وقام بهما في قائم، ومآله إليهما فرعا عنهما لأحده بهما لهما في قادم.

يعرف الله، قائماً لا غيبة له.. ويعرف الله، واسعا لا إحاطة به، ويعرف الله متجليا به بتقديم لقادم في أطوار نفسه، حتى إلى الحق به إلى معاني وجهه، بقائم وجهه، من قديم وجهه.

كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه، أو يمجسانه، أو يمجسانه طريقاً منحرفاً عن طريق الفطرة، بتحريف الكلم عن مواضعه، في متابعة الآباء على انحرافهم فيبعدونه عن طريق الفطرة المستقيم، في قائم فطرته القديم، فهما يهودانه وعن داني الحق يبعدانه، ولا يهديانه إلى الحق لنفسه في نفسه، منادى منه دانه (يا هو دان).

إن الذين هُذوا إلى صراط العزيز الحميد، إنما هم من قاموا في دين الفطرة، فتكشفت لهم الفطرة، فقبلوا الفطرة، وعملوا بها لما لم يشوهوها، وقالوا ما قالوا لم يجانبوها، وأبانوا بما بان لهم لم يضيعوها، وفي إخلاص عملوا وبعملهم لم يفقدوها. فالأمانة حرصوا عليها وحملوها لم تفارقهم ولم يفارقوها.

(أبواه ينصرانه).. {مَنْ أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله}، فمن كان مع رسول الله.. مَنْ كان مع كلمة الله.. من نصر عقله على نفسه.. من نصر روحه على ذاته.. من نصر نوره على ظلامه.. من نصر دائمه على موقوته.. من نصر موجدّه على موجوده.. من نصر ربه على عبده، في عالم نفسه كان من أنصار الله.. كان كلمة مجاهدة في الله، سائراً إلى الله مع كلمة الله الداعية، ليكونوا جماع كلمات الله.

والإنسان الذي يتحقق له هذا المعنى يستطيع أن يدركه في نفسه بفطرته السليمة، ولا يخطئه فيمن حوله، بغريزته المستقيمة، وبطبيعته القويمة، ولكن أبواه يدفعانه لنصرة الجبروت، والاستكانة للطاغوت...

مخالفة لطاعة عصره، أو مداراة لسفهاء قومه، لا ينقطع عن الوجود وجودهم، ولا عن الشهود شهودهم، ولا يختفي على فطرة العقل أمرهم، ولا يختفي على النفس استعلاء نفوسهم، ولا يختفي على العلم إدراك أمرهم، جعل الإيمان بكلمات الله لقائم الزمان والمكان، بالإنسان في الكفر بهم.

من يكفر بالطاغوت، ويؤمن بالله، إيماناً بكلماته، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. كان محمد لكلمات الله، الأمر الوسط، والكلم الوسط فكان الإمام المأموم والعلم عن المعلوم فكان بالحق ظاهرها وباطنها.. كان محمد أمر الله وجماع أموره، وكلمة الله وجماع كلماته، وآدم الله وجماع أوادمه، وإنسان الله وإنسانية رشاده. أظهره على الدين كله رسولا به، فكان في ذلك كله شرف الأمر الوسط، وبكوثه دائم الحق لله بظاهر وباطن.

عرف أن البدء لله، لا بداية له، وعرف أن النهاية إلى الله، لا نهاية لها، فعرف أن النهاية للخلق، وعرف أن البداية للحق، وعرف أن الناس، من الناس، وإلى الناس، وفي الناس.. لا بدء لهم، ولا انتهاء لهم، ولا حد لهم، ولا قيد لهم، في علمية الخلق على الحق، في علمية الحق المخلوق على الحق الخالق في الإنسان بخلقه وحقه.

عَرَفَ أن خلق الله، قديم بقدم الله، باقٍ ببقاء الله، وعرف أن الله خلّقه قيوم قائمهم، في قديمهم، وفي قادمهم، على ما هو في قائمهم فعرفهم بما عرف رسولا به.

فعرفهم بذلك أن المعرفة إنما هي في كشف النقاب، وسقوط الحجاب، ورفع الستر، عما في الإنسان من الإنسان للإنسان في الله المطلق وجوده ولانهائي وجوده بموجوده عند متواجده.

فإذا عرفه، قائماً لله، مقاماً به، شهد أنه لا إله إلا الله، وإذا عرف أن هواه صادق مع رسول الله هواه، فاتحد هواه مع هواه، فرأى حق الله برسول الله، مبعوث هواه، وهو لنفسه في الله ارتضاه، وحرص على رسول الله، قائم وقيوم قلبه، قائم وقيوم عقله، قائم وقيوم قلبه، قائم وقيوم أمره، فعرفه في الله رسول الله، فشهد محمداً رسول الله، يوم شاهده لمعناه مع قائم زمانه بعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا.

فما عرف المؤمن أعلى عليه في الله، إلا رسول الله، ورسول الله، فكان رفيقاً لرسول الله، لرفيق أعلى في رسول الله، في قائم وقيوم الله، في موجود ومتواجد الله، في لا إله إلا الله، والله أكبر، فشهد أنه محمداً رسول الله، وشهده عبداً لله، (الله) لنفسه اصطفاه، وبرسوله لمعناه اجتباه، فعلمه عنه فيه بقاء وقيوم حقي معناه.

فشهد الله برسول الله، رفيقاً أعلى ورسولاً لله، وشهد رسول الله بالله، رسولاً من الله، يشهد رسولاً لله، فأمن بالله ورسوله، لم يفرق بين الله ورسوله، ولم يفرق بينه وبين رسول الله، فيما كان لرسول الله، وفيما يكون لرسول الله، إيماناً برسول الله، وشهوداً لرسول الله، وفناءً برسول الله، وبقاءً برسول الله، وهو بذلك إنما يكون في الله، إيماناً به، وشهوداً له، وقياماً فيه، وقيوماً به، عبداً له ورباً ورحمة منه.

بذلك جاءت رسالة السماء في هذا العصر، وقد جاءنا الروح بحكمة الأجيال، وبثرة القرون، وبخلاصة تجارب الخلق، وصفوتهم بالحق، حكمة قائمة تنتظر في دوام بعثا، لتنصب في عالمكم بسلام، لإقامة السلام.. ولنشر السلام.. وإفشاء السلام.. ولتعريف السلام.. ولبناء السلام.. وللحرص على السلام.. ولحماية السلام.. بإقامة الطريق، لدين الخدمة والإيثار، بجانب الشح.. وبجانب الاستثثار.. بجانب الأناية

الطاغية.. بمجانبة الظلم.. بمجانبة الجبروت والطغيان.. بمجانبة الاقتيات على حقوق الخلق.. بمجانبة المعصية لأوامر الخالق والغفلة عن هديه.

على أساس من هذا جاء دين الإسلام.. جاء دين الفطرة.. وجاءت رسالة السماء بكلمات تنشق عنها السماء، معية أبناء الأرض، قاب قوسين أو أدنى، فكانت كلمات الله التامات من حقائق الله.. من وجوه الله.. من عباد الله.. من أهل الرشاد، إنما هم أولئك الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

(أخفى الله الولي في الخلق)^٢.. (رُب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)^٣، وأظهر الله الولي في الخلق، {من يهد الله فهو المهتد}.. وكشف للناس عن الضال المضل، {ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا}^٥.. فالله يتولى من الخلق من يتولى، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، ورسالته لا تختفي عند أمينها وحاملها، عند صادق في الطلب.

وهو لمن تولى، يظهر من يظهر، ويخفي عن الأنظار من يخفي، لا شريك له. لا نستطيع أن نقول هذا أفضل وهذا أقل فضلا، فقد عهد إليهم جميعا أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه.

وأولئك النبيين فضلنا بعضهم على بعض، ولكن لا نستطيع أن نقول إنه فضل العبد الظاهر على العبد الخفي، أو نقول، إنه فضل العبد الخفي على العبد الظاهر، إنه هو الذي يحكم أيهما أفضل، وأيهما أعلى مكانة، فقد كان العبد الخفي معلم العبد الظاهر فيما كان بين الخضر وموسى، وجبريل ومحمد، وكان العبد الظاهر معلم عباد في الخفاء يوم صلى محمد بالأنبياء إماما لهم، ويوم جعل الله آدم خليفة أمر الملائكة بالسجود له.

إن الذي يعلي الله مكانته، لا يعرف لنفسه في الله مكانته، فإذا أردنا أن نحكم بأفضلية الظاهر بين الظاهرين، أو الخفي عن المختفين من عبادته، ونضع لذلك مقياسا مما بين أيدينا من البلاغ والهدي فأفضلهم من جهل فضله، وأمكنهم من جهل إمكانياته، وقيومهم من جهل قيوميته.. وأوفرهم حظا من الله، من أنكر على قائمه حظه من الله، افتقارا إليه وطلبا له.

كما أن أدركهم للوحدانية وأعرفهم بالأحدية وأقومهم للتوحيد، من أدرك أنه لا شريك لله، من أمر نفسه، ومن أمر الناس، ومن أمر الوجود، فمن عرف الله في نفسه لنفسه، لا يستنكف أن يضع نفسه عند قدم من جهل، فجهل من جهل لم يحرمه شرارة الحياة المقدسة من الله، ومعرفة من عرف، لا تطغي العارف بالله على خلق الله، وعلى كائنات الله طغيانا على الله.

عباد الله هم حقائق الله، إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، قالوا سلام عليكم من الله.. قالوا سلام عليكم من الله.. قالوا للناس سلام لكم منا هو سلام الله، ونطمع في سلام منكم لنا هو سلام الله، خاطبوا الناس على قدر عقولهم، دفعوا بالمعروف، أمروا بالإحسان، لم يخلوا بالبيان، برزوا بأحوالهم للعيان، في غير مخاصمة أو طغيان أو بهتان، ولكن هم السلام في دوام.

هم في مسألتهم عناهم ويعنيهم أمر أنفسهم أولا، من أنهم الفقراء إلى الله دائما وأبدا، وعناهم أمر من يعولون ثانيا.. وقنعوا في الله بالقليل، إذا اهتدى بهم رجل واحد وقد هدى الله بهم، كان عندهم خيرا لهم من الدنيا وما فيها.

لم يرغبوا في الاشتهار، ورغبوا في الاستتار، ولكنهم لم يختفوا أبدا عن الأنظار، حرصوا على الادكار، كانت النظرة الأولى منهم للاعتبار، ينظرون الله في كل شيء، الله مشهودهم بحكمته، حيثما ولوا الوجوه، أو حيثما وجهوا العقول، أو حيثما اتجهت بهم النفوس، لا يرون إلا الله برحمته وبنعمته، أو بابتلائه بحكمته، أو بعدله ونقمته برد الأعمال على أصحابها في حدود شرعته، ونفاذ أمرته.

يميزون بين الغث والثمين، في الله.. يميزون بين الخبيث والطيب في الله، كل لله، لو شاء الله لهدى الناس جميعا.. لو شاء الله ما فعلوه، ليس عليهم هدى الناس، ولكن قد يهدي الله بهم الناس، فإن هدى بهم، ولو رجلا واحدا، فقد كانت كرتهم بالحياة رابحة، وبالروح عامرة، وبالنور متدفقة، وبالحق محققة، وبالإيمان الرشيد مؤنسة.

عرفت نفوسهم معنى الخلاص، وقامت في معنى الإخلاص.. عرفت أن الأبلسة هي العدم، في قيام أتر بعدم كسب الأبوة للأبد لكوثر القدم.. وأن الشيطنة هي الندم بفقدان الإرادة والشيئية للكلم، وأن رد الأعمال هو الألم...

وأن تغيير ما في النفس، إلى معشوقها من الحياة، بالله ورسوله، هو الجنان، وهو الإحسان، وهو الحق لها في عيان، وفي بيان، في غير كتمان أو حرمان أو ظن أو بهتان.

زحزحوا عن النار، وأدخلوا الجنة، وعتقت الرقاب، وانقطعت معاملتهم مع الله على أساس من الجزاء والثواب والعقاب.. عرفوا أن الحق هو الحق، لا شريك له، لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم، ما ترك على ظهرها من دابة، فما يكون الجزاء؟ لا يدخل الجنة أحداكم بعمله، فما يكون العطاء؟ إنما هي الفطرة.. إنما هي الحقيقة.. إنما هو الوجود.. إنما هو الإنسان، ليس له من الناموس إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى.

ويوم يرى يعرف، بمعرفة نفسه، عما قدمت وأخرت، يعرف من منه جحد وكيف جحد.. يعرف من منه عبد وكيف عبد.. يعرف كيف تواجد وكيف وُجد.. كيف عبد وكيف عُبد.. كيف ملك وكيف مُلك.. كيف سلك وكيف سُلِكَ.. كيف ولد وكيف وُلِد. فعرفه والدا وما ولد، وموجودا وما أوجد بلا عد ولا حد.

عرفه الناس والبلد، يوم كانت له البلد، فكان حلا في هذا البلد، لا شريك له مما عليه خُلف، وما منه خُلف. كان فردا في فردوسه، وكان فردوسا في فرده.. كان أحدا لله ورجلا فيه، رشيدا به، قائما بأمره قيوم أمره لقائمه يقظه ونائمه ف {لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد} ^٦.
أيقن لا إله إلا الله، يوم دخل حصن لا إله إلا الله، بدخوله في حصنه، بدخوله في حصن نفسه.. بدخوله في بيت قلبه.. بدخوله في عرش عقله.. باستوائه على هيكل ذاته بحقه ذاتا هي نواة للسموات والأرض، بلطفها منطلقا لكثيفها متألقا، عرفها وجه لطيفها بكثيفها (من دخل بيته فهو آمن) ^٧.

فكان الإنسان البيت وجهها لمن هو، هو عين السماوات والأرض، وجودا وشهودا، {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} ^٨. عرفه الإنسان حقا وصدقا له أعلى، من إنسان هو رسول إليه، من أعلى، بإنسان، هو رب له ومرسل إليه، هو رحمانه، ورسولا من أعلى حتى المطلق اللانهائي، هو ديانته.. هو إحسانه.. هو وجدانه، فعرفه إنسانا لإنسان بإنسان في الله لمطلقه فقام في أحديته بثالوثه، تعديدا، وتوحيدا، في معراج لا نهاية له بقائمه بحاضره لقديمه وقادمه، {علمت نفس ما قدمت وأخرت} ^٩. {ما كذب القواد ما رأى} ^{١٠}.

وعرف الله، في نجوى وتجمع القلوب، فما من ثلاثة يتناجون فيه، ويجتمعون عليه، صافية قلوبهم بحبته، إلا كان لهم ومعهم، ولا أكثر من ذلك ولا أقل إلا هو معهم ولهم.

إن الرسول لم ينكر على تثليث لتوحيد، ولا على وتر لشفع، أو على شفيع لوتر، ولا على تعديد لتوحيد، أو توحيد لتعدد، بل علم وعرف معنى الحياة، كيف تتعدد، وكيف تتجدد، وكيف تتجمع، وكيف تتوحد، وكيف تتفرق، منها الوجوه تفرق لتختلف بألوان، وتجتمع لتتحد بإحسان.

{إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم} ^{١١} عرف أن الأسرة، أن العائلة.. أن البيت.. أن الجماعة، بتعدد لتوحيد، (كلكم لآدم وآدم من تراب) ^{١٢}. لا تقوم، على حق، وعلى ثبات، وعلى دوام، إلا إذا جمعتها كلمة الله، إلا إذا تلاءمت القلوب على محبة الله {بل الذين كفروا في عزة وشقاق} ^{١٣}، لا تربط قلوبهم لهم نسبتهم إلى أسرة التراب وأبوة التراب.

فليس أبا لك، من فارقك في الله على حبه، وليس أخا لك من عاداك في ذكر الله، وفي طلب الله، وفي طاعة الله، وليس ولدا لك، من عصاك في أمر الله، فالعاقل من لم يغلب محبة الجنس شهوة، على محبة الروح إيمانا وتقوى، في اجتماعه على من يجتمع عليه.

إن القلوب إذا التأمّت على ذكر الله وعلى حبه، حييت واتحدت، فأحبت قوالها وتراصت، وتجمعت فتهرمت، فكانت بيوتا لله رفعت، ونُصبا لله شهدت، وأمورا لله وجدت، وحضرات لله تواجدت.

بهذا جاء دين الإسلام.. جاء دين السماء، وفي هذا قامت الفطرة، باسم العطاء والجزاء، وباسم المقت والرضاء، وباسم النقص والوفاء، باسم الحياة، باسم الممات، باسم الحي القيوم، باسم المحيي، باسم المميت، باسم الله، باسم الله الرحمن الرحيم.

جاءت رسالة السماء بدين الإسلام، دينا للفطرة، جاءت بالدين تؤسسه، وجاءت بالطريق تُقوّمه، وجاءت بالعلم تنشره، وجاءت بالحكمة تقيمها وتبذرهما، وتهديها، جاءت بالحياة.. جاءت بالتحذير من العدم، جاءت بالتحذير من الندم.. جاءت بالبشرى.. جاءت بالذكرى.. جاءت بالذكر.. جاءت بالمذكور.

إن الرجل الذي عرفناه بآدمه محمداً، قام بيننا بذلك كله، فكانت المحمدية خلق، خلق يدرك، وكانت المحمدية بعث، بالحق يقوم، وكانت المحمدية قيامة، وكانت المحمدية سلامة، وكانت المحمدية على مخاصمها ندامة، وكانت المحمدية للإنسان كرامة، وكانت المحمدية من النفس كنودة خلاصا وسلامة، كانت المحمدية كل شيء، لمن أراد أن يكون له من الله أشياء أو أي شيء..

كانت كتاب العلم والحكمة.. كانت مصابيح الطريق ونور الظلمة.. كانت مؤانسة الرفيق.. كانت نجدة الصديق.. كانت الولاء لمن يوالى.. كانت الرجاء لمن يرجى.. كانت العناء، لمن علت في طلب الحق همته، من كانت بدايته محرقة، كانت نهايته مشرقة.. كانت الحقيقة لمن تعجل الحق لنفسه، لمن سارع إلى الحق بخطوه.

كانت الحياة لمن قتل نفسه ليحيا، لمن قتل ظلامه ليشرق، لمن قتل مادي وجوده، لموجوده لروحه، لمن قتل كائنه ووجوده لحساب موجدّه، ومنشوده لمسيحه، كانت السعادة لمن طلب الله، وسعد بطلب الله.

كانت القرب لله لمن طلب الله، فقاربه الله، وطلبه الله، كانت الطريق لمن سعى إلى الله، فسعى إليه الله، كانت العزة لمن تواضع لله، فتواضع له الله، كانت التواجد بالوجود لمن أكبر الله، فأكبره الله،

لمن نزل تحت الأقدام مرضاة الله، رفعه الله فوق الرؤوس إكراما لله، لمن تواضع أرضا أرضا فرفع سماء سماء.

من تواضع لله رفعه الله، ومن رفعه الله تواضع في الله، لمن رفعه عليهم الله.. عرف الله، هو المتواضع فيمن وضع، وهو المتعالي فيمن أعل.. وعرف الله لا اتجاه له إلى أعلى فيقال إنه عليّ، ولا اتجاه له إلى أدنى فيقال إنه دني.. {هل تعلم له سميا}..^{١٤} الله من ورائهم محيط، هم بجمعهم له وجه، وبمفرداتهم له وجوه.

إنه دون الدني، وفوق العلي، وأقرب للرضي من رضائه ورضوانه، أقرب للنفوس من نفسها، وأقرب للأحياء من حياتهم، وأقرب للكريم من كرمه، وللجواد من جوده. فهل قدر الناس الله، على ما علمهم عنه دين الإسلام، دين الفطرة، بما جاء به من رسالة السماء؟ وما كانت رسالة السماء به إلا حكمة الأجيال، وثمره القرون، بآباء الجنس بلا بداية ساهرون على أبناء الجنس بلا نهاية.

ها أنتم اليوم في دورة الزمان على ما يدور الزمان، بحمد الزمان ومحمد المكان، فما كان ما كان لمحمد ثمرة لمولده في قريش ولا بوصفه وليد مكة، ولكنه كان حكمة العصور، حكمة الأجيال، ثمرة القرون (أنا خيار من خيار إلى خيار)^{١٥}. لقد جاء إعمالا لقانون الانتخاب الفطري، وقانون بقاء الأصلح، به في دوام تبعث الكائنات. (ولدت من نكاح صحيح من ظهر آدم إلى عبدالله وآمنة)^{١٦}. {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}^{١٧}. (أول من تنشق عنه الأرض أنا)^{١٨}. {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}^{١٩}. {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له}^{٢٠}. {كانوا بآياتنا لا يوقنون}^{٢١}.

إن حكمة الأجيال ترتد إلى مادي الحياة بكسبها من الدارين.. وقد انتظرت طويلا ليوم هذا الارتداد، فقابلتها مادية الحياة كلها ظهرت بالعناد، وقد جاءت لبشرية الأرض بالرشاد والسلام، والسداد وبالحبة والوداد.

إن الذي قام على ما قام، إنما قام على ما هو قائم في عصركم اليوم. تأتي السماء الآن مرة أخرى في سفور برسالتها، وتقذف بحكمة الأجيال، وثمره القرون إلى مادي الحياة على أرضكم.. وتحدث إليكم من وسطائها، لمعنى ظاهر الحق لها بالإنسان، لقائم معنى الرسول بينكم، رسولا من أنفسكم، يدعوكم إلى ربه، وإلى حقه، قدوة لنفوسكم، وظاهر حقكم لحقيقتكم، وجماع حقائقكم لأمركم، يدعوكم إلى ربه، أنتم لربه وجوه، وأنتم له وجود، وهو لربكم بينكم وجهه، وجه لوجه، ووجوه لوجه، في الله، حق قيامكم، وجماع أمركم لقيومكم.

هكذا كان، وهكذا قام به الصدق والإحسان، وها هو في يومكم يكون على ما كان، فإذا كان في أمسه، قال لكم إنه خاتم وطابع النبيين، وإن علماء أمته كأنبيا بني إسرائيل، فقد فتح لكم ما أغلق، وختم عنكم ما سبق مما كان مغلقا عليكم لعمومكم...

فتفتحت به أبواب السماء، واندفعت من خلاله حكمة الأجيال، فقام ببيتته وعترته وصحبه وأمته، إنسانية متكاملة، بحقها وحقائقها، لأحديتها وواحديتها، لذات قدس الله وصفاته، حضرة أرضية، ينتسب إليها، وتنشد لمن يعرفها، وتقوم بمن يتصف نفسه في ربه، وفي الله، مع قائم الزمان، ظلا لرسول الله، مدركا قائم الله، معه، ومع الناس، وقيوم الله عليه برسوله حقا يقوم عليه وعلى الناس، لشامل ومحيط الله لهم، بمعيته للقيوم والقائم، في قائمه لا يدرك، وفي واسعه لا يحاط.

كل ذلك كان لكم.. وكل ذلك كائن لكم.. وكل ذلك يكون لكم، يوم تطلبونه.. يوم تقدرونه.. يوم تعرفونه.. يوم تسلكون الطريق وتختارون لها الرفيق، وتحسنون الاختيار، بما يقوم في عقولكم ونفوسكم من صادق اذكار، بذكر الله...

تذكرون الله كثيرا.. تذكرون الله قياما وقعودا، وعلى جنوبكم.. تذكرون الله بالغدو والآصال.. تذكرون الله في أنفسكم لا تغفلونه، تضرعا وخيفة تعاملونه، ودون الجهر من القول تعرفونه - القوم أهل إشارة - فالجهر، لا يعبر عن الله، بل يفسد التعبير عنه، للفرقة بين القلب الناطق والقلب المشهود.

الجهر في الله إنما هو وجوده وشهوده بكلماته وآياته ورسالاته، إن الله لا يذكر كلاما ولكن يعرف قياما.. إن الله لا يتعارف خصاما ولكن يعرف سلاما، ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين، وقد فرغ قلبها مما سواه، فكادت أن تبدي به إذ هي تراه. {فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب} ٢٢، فما زلت عبد الله وإن كنت اسمه، وما زلت عبد الله وإن كنت وصفه ورسمه، فما زلت عبد الله وإن كنت وجهه، فما زلت عبد الله وإن كنت وجوده، وجوده، إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا.

إن المسيح وأمه، والملائكة المقربون، لا يستنكفون أن يكونوا عبادا لله. أذكر ربك في نفسك، تضرعا وخيفة، فما زلت مفتقرا فتضرع، وما زلت محتبرا فاخش الله وتوسل وتشفع.

أذكر الله حتى يقولوا مجنون.. أذكر الله كثيرا، بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين، قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون.

قل هو الظاهر والباطن.. قل هو أظهر مما تدركون.. قل هو أبطن مما تعقلون.. قل الله، وخاطب الناس على قدر عقولهم، حتى يخشونه، وحتى يحبونه، رهب ورغب، أرهب وأرغب، أبصر به وأسمع.

إِسْرَ بنورك، وعَمَّرَ دورك، وما دورك إلا القلوب، وما مدائنك إلا الناس، (أقربكم مني منازل في القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكثافا الذين يألفون ويؤلفون)^{٢٣}.. ذَكَرَ إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى، ويتجنبها الأَشَقَى، وإن إلى ربك الرجعى.

عباد الله.. لا تيأسوا من روح الله، ولا تقنطوا من رحمة الله، اتقوا الله على ما هديتم، وأطيعوا الله على ما أمركم، في حدود ما أدركتم، وعلى ما قدرتم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. إن فعلتم هديتم السبيل وجمعتم على الدليل، وتوحدتم مع قائم زمانكم، وتحققتم مع علة وجودكم، وتلاقيتهم وجوه الحق مع وجه الحق.

لا تيأسوا من الله إن أخطأتم أو أسأتم، ولا تتركوا لأنفسكم فرصتها أن تبطش بكم، يوم تبطرون، إذا رأيتمكم في طاعة وأنكم لله تسجدون، {إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى}^{٢٤} فلستم في غناء عن الحكمة ما حييتم، فالسجود لله، والطاعة لله، هي يوم تكونوه على ما أرادكم لنفسه، يوم تفقدوكم إليه فلا معنى لطاعة ولا معنى لسجود فلا اثنية ولكن السبوح القدوس، الطائع بنفسه لنفسه، والساجد لنفسه بنفسه، ولكنه الله وكفى، وحقايقه التي اصطفتي، {أليس الله بكاف عبده}^{٢٥} ألا^{٢٦} يكفي العبد أن يكون اسماً لله؟ نعم (المؤمن مرآة المؤمن)^{٢٧}.. {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}^{٢٨}.

إن الدخول في حصن لا إله إلا الله، سعادتكم، وإن القيام بمحمد رسول الله نجاتكم، اعلوا ذلك وتذاكروه، وذكره أبناءكم وأهلككم.

واعلموا أن رسول الله في دوام لكم.. وفي دوام فيكم.. وفي دوام معكم ومن بينكم.. وفي دوام من أنفسكم، فلا تجحدوه. إن جاهدتم في الله جمعة عليه بجمعكم على معيتكم له.. وإن جاهدتم فيه بالإيثار على أنفسكم اجتمعتم بالله.

اعرفوه حقاً لكم، وإن لم تعرفوه ذاتاً بينكم.. واطلبوه لحقيقة أنفسكم، وإن لم تعرفوا داره لقبلكم. إن داره في الحقيقة إنما هي قلوبكم.. وإن وجهه بينكم إنما هي طريقكم في تعاملكم، فإن جاهدتم في الله حق جهاده، هداكم السبيل وجمعكم على الدليل.

فلا تقولوا مقالة الآباء بسفاهتهم، إن الرجل الصالح أصبح من المستحيات، كالعنقاء والخل الوفي، هذا قول بعيد عن الصواب، وبعيد عن الواقع، إنما هو ضيق أفق، هذا من الجهل، إنه لا يصدر عن مؤمن أو عن عارف بالله، فإذا كان قد تردد بينكم شيء من هذا، فإما أنه نُسب كذباً إلى من نُسب إليه، وإما أن من صدر عنه ما كان عارفاً بالله.

إن الحياة على الأرض إنما تقوم برحمة الله في كل وقت، ولو انقطعت عنها رحمة الله، لمحة من الزمان، لانقطعت الحياة على الأرض. (الخير فيّ وفي أمّتي إلى يوم القيامة) ٢٩. (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم) ٣٠.

نعم إن أهل الرحمة أخفاهم الله في الناس، هذا حق، لأنهم مطلب ثمين عند الصادقين، وأمر خطير عند الخلق، فإنهم لا يبذلون عفو الخاطر ولا يعرضون في الطرقات، ولا في محافل الخزعبلات، ولكن يُسعى إليهم، ويجب أن يُسعى إليهم، يجب أن يتحدث الناس عنهم، وأن يتواصوا بالحق بينهم، بحثا عنهم ورغبة فيهم، ولو صدقوا مع أنفسهم إليهم لهداهم الله، فهدوا السبيل ومنحوا الدليل.

ولكن الناس لا يتواصون بالحق، إلا من رحم، وقليل ما هم، والله سبحانه وتعالى، جعل عباده رواسي الأرض، أن تميد بأهلها، والناس في دوام في كنود لربهم، بخاصتهم لعباده بينهم، وقد جعلهم الله مصابيح لنور الله لهم، يبهت أعين الشياطين يوم يرجمون بنورهم، (لا تزال طائفة من أمّتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ٣١. {بل أكثرهم لا يؤمنون} ٣٢. ولكن (رحمتي غلبت عذابي) ٣٣.

هناك قلة مؤمنة دائمة، ثلثة من الأولين، وثلثة من الآخرين، ثلثة من الأولين تتواصل، إلى أن تسلم ثلثة من الآخرين تواصل، حتى لا ينقطع الطريق، وحتى لا ينقطع عمل الرحمة عن الأرض، ويبقى المتحقق بالمتخلق متصل، أمرا متواصلا.

بهذا جاءنا دين الإسلام، ورسالة السماء والأرض، وها هو يتجدد الدين برسالة السماء، من عالم الروح فتتعدد الرسالة بيقين أو تدانينا السماء لتجدد لنا منا بيننا ثلثة الآخرين، بعثا لثلة الأولين، حتى يكون بهذه الرسالة يوما للدين، ويوما لليقين.

إنها للعبد القديم للدين يوم الدين.. إنها يوم الجمعة، {ومن آياته خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير} ٣٤. {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع} ٣٥، أي اتركوا المبايعة والمجاهدة وانتظار الجزاء، واسعوا إلى قائم زمانكم وقد أسفر فاعترفوا من أحواض الحياة منه. وها هو في عصركم هذا جامعهم لليوم المعلوم باجتماعكم على الروح واعية عاملة بينكم، إنه الحق.. إنه الحق من ربكم فلا تكونوا من الممترين.

إنها رسالة من السماء دائما.. إنها حكمة القرون تنتظر لتنصب على عالم الأرض المادي دائما.. إنها الأمر المنتظر.. إنها دورة الحياة، تدور مع القرون على رؤوس القرون مع الآلاف من القرون من الناس، وعلى رؤوس الآلاف من القرون من الناس.

إنها دورة آدم في جمع من آلاف الأوامر.. إنها دورة الكلمة في جمع من الكلمات.. إنها دورة محمد وبيته في جمعه بأتمته.. إنها دورة الإنسان.. إنها دورة الحق.. إنها جماع دورات الحقائق على رؤوس العصور وحكمة الأجيال بطبقات الخلائق وطبقات الحقائق.

إنها الحكمة بحصيلة الجنس منها تندفق إلى الأرض، في رسالة فاستقبلوها، واهتبلوها^{٣٦}، وافتحوا مواعينكم لتندفق مياه السماء، في أحواضها من هياكلكم.

إنها أنوار الله المتدفقة.. وشموس الله المشرقة.. وحقائق الله اللطيفة، وإنسانية الله الشريفة.. إنها الرشاد.. إنها إنسانية الرشاد.. إنها التوفية والوفاء.. إنها الإنسانية المتوفاة.. إنها الأوامر على عدها وعديدها، لا حصر.. إنها حقائق الله بكوثرها لا غيب.. إنها الكلمات بتمامها لإمامها لا ريب.

أطلبوها.. وانشدوها.. واركنوا إليها، تخرجون مما أنتم فيه من كروب الحروب، وترزقون السلام، الذي تنشدون وتفتقدون، وعلى أهل الخصام تنتصرون، فيعم السلم ويفشى السلام، ويقوم الإسلام، وتعرفون من هو رسول السلام ورب السلام.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، وكن لنا في الصغير والكبير من شأننا.

اللهم انصرنا على أنفسنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، مجاهدين وخاملين.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة آل عمران - ٥٢
- ٢ مقولة للإمام علي (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، وربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، وربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، وربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادته، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، وربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٣ من حديث شريف: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ، ذِي طَمَرَيْنِ، تَبَوَّعَهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٤ سورة الكهف - ١٧
- ٥ سورة الكهف - ١٧

- ٦ سورة البلد - ١:٣
- ٧ استلهاما من قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة، فأمر المسلمين أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، وأعلن أن (من دخل داره وأغلق بابيه فهو آمن).
- ٨ سورة فصلت - ١١
- ٩ سورة الإنفطار - ٥
- ١٠ سورة النجم - ١١
- ١١ سورة التغابن - ١٤
- ١٢ حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد
- ١٣ سورة ص - ٢
- ١٤ سورة مريم - ٦٥
- ١٥ من حديث شريف: "خلق الله الخلق فاختر من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم". رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم. كما جاء بصيغ مشابهة في مصادر أخرى.
- ١٦ من الحديث الشريف الذي رواه الطبراني في الأوسط، وابن عدي وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء."
- ١٧ سورة الرعد - ١٧
- ١٨ من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا نخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا نخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا نخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا نخر." صحيح ابن ماجه.
- ١٩ سورة الإسراء - ٧٩
- ٢٠ سورة طه - ١٠٨
- ٢١ سورة النمل - ٨٢
- ٢٢ سورة الشرح - ٧ و٨
- ٢٣ حديث شريف: "إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكثافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة." أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٢٤ سورة العلق - ٦، ٧
- ٢٥ سورة الزمر - ٣٦
- ٢٦ تم تصويب هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، فهي "ألا" وليست "لا".
- ٢٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه." أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

- ٢٨ سورة الحجرات - ١١
- ٢٩ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٣٠ من حديث شريف: "حياتي خير لكم تحذثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم". أخرجه النسائي والطبراني
- ٣١ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأثكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٣٢ سورة البقرة - ١٠٠
- ٣٣ حديث شريف ذات صلة: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي". صحيح البخاري
- ٣٤ سورة الشورى - ٢٩
- ٣٥ سورة الجمعة - ٩
- ٣٦ لها معانٍ متعددة، لكن في هذا السياق تعني: اغتنموا الفرصة واستغلوها.

(١٠)

القلوب والقوالب على الحق تتحاب وعلى الدنيا تتحارب ولو صلح القلب لصلح القلب

حديث الجمعة

١٣ صفر ١٣٨٦ هـ - ٣ يونيو ١٩٦٦ م

قل جاء الحق، وزهق الباطل.

بالحق أنزلناه، وبالحق نزل.

يقوم ويتقلب في الساجدين.

من الليل يتعهد به، نافلة له، متكاثرا بحقه، قائما بربه، ساريا بأمره.

أتى أمر الله فلا تستعجلوه.

وهل كان أمر الله شيئا غير رسول الله.

وهل كان اسم الله شيئا غير رسول الله.

وهل كان وجه الله شيئا غير رسول الله.

وهل كان الحق من الله شيئا غير رسول الله.

وهل كان رسول الله غير نور الله، وروح الله، وسر الحياة لعوالم الله.

هل ينقضي الحق! هل يختفي الحق! هل يزهق الحق! هل يموت الحق! هل يغلب الحق! هل يُبطش

بالحق! هل يقبر الحق! هل يفنى الحق!

وهل كان رسول الله، غير الحق.. في بيوت أذن الله أن توضع أو أن ترفع يذكر فيها اسمه، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، متكاثرا بمعناه، متعددا متجددا بمبناه، متحدا متوحدا بحقه في الأعلى لمعنى ربه، ولمعنى الله في الأعلى، لمعنى معبوده ومشهوده، في المطلق، لمعنى وقائم وجوده!

فإذا نعتقد في الله؟ وماذا نعتقد في رسول الله؟ وهل تميز الاعتقاد في الله، عن الاعتقاد في رسول الله؟ وهل نعزل الاعتقاد في رسول الله، عن الاعتقاد في الله؟ وهل خرج المؤمن بالله ورسوله عن الله ورسوله لقائمه في قديمه وقادمه؟

براءة من الله ورسوله، لمن آمن بالله ورسوله، فقام بالله ورسوله، فكان وجهها لله ورسوله، وحقا من الله ورسوله، فلم يفرط في أمره من الله ورسوله، فجعل الله ورسوله له نورا، يمشي به في الناس، يقوم ويتقلب في الساجدين، فيعلم علم الرسول، عن نفسه، في نفسه، لربه، ولحقه.

علم احتفظت به لنفسي، إلا على من قبلني له نفسا، فكان نفسي، فعرف لنفسي، ما عرفت لنفسي، واحتفظ بعلمه لنفسي على ما احتفظت به لنفسي. فعله وأفاضه، لا بلفظ نطقه، ولا بفعل أثاره، ولكن بروحه، يوحيا لمن يرتضيها، فيقوم بها في معانيها مبنى من مبانيها، على ما هو في نفسي وعلى ما لنفسي أنا فيها هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}.. صل لربك وانحر، وقد جعلنا لك نورنا تمشي به في الناس.

فما كان الرسول إلا وحيا يوحى، وما كان متابعه على بصيرة إلا وحيا يوحى، علمه شديد القوى.. إن العزة لله ولرسوله.. وللمؤمنين، فأصبح مع شديد القوى قاب قوسين أو أدنى، فكان هو شديد القوى.. كان عزة الله.. كان مجد الإنسان.. كان شرف العنوان.. كان الحق لله.. كان الرحمن وعبد الرحمن.

أعبد الشيطان فأسلم، وعبد الشيطان فأمن، وحقق الشيطان فعرف، به أصبح الشيطان إنسانا.. وبه أصبح الطاغى رحمانا.. وبه أصبح الضد عنوانا.. به يصلح من يصلح الله.. وبجانبته، تقوم حجة الله، على من لم يرض الله لنفسه، لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. أليس الله بكاف عبده.

رضي الله ما خلق لنفسه.. ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. (خلقتك لنفسي ولتصنع على عيني) ٢.. (ما صحبتك لتكون أنت وأنا أنا، ولكن صحبتك لتكون أنت وأنا أنا أنت) ٣.. {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا} ٤، إن الله من جانبه لا يمنع إحسانا، ولا يرفض إنسانا.. ولا يقصي - عنه - جاننا، وهو في الوقت نفسه لا يقبل بهتان، لا شريك له.

لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فاسألوا أنفسكم ضمائكم وحاسبوا أنفسكم، أعطاكم العقل أفلا تعقلون! ومنحكم الحس أفلا تحسون!

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، يا لقسوة القلوب، قلوب كالحجارة أو هي أشد قسوة، يعبثون بأنفسهم، ويتوهمون أنهم يعملون بكلام الله، ويمكرون بأنفسهم على أنفسهم وهو ما كره لهم، في قائم مكرهم.

يخادعون الله وهو خادعهم، وله المكر جميعا. لهم مكر السوء، وله مكر الخير. يمكر بهم لخيرهم، ويمكرون بهم لضرهم بوجههم المكر به بالمكر بمؤمنيه ولا يدركون لقائم جهلهم، وهو من جانبه الغافر لهم قبل أن يستغفروا، والساعي إليهم قبل أن ينفروا، والباخع نفسه على آثارهم، وإن عنه أدبروا، وله غفلوا، ووجههم أنفسهم ذكروا، والحق بينهم وأقرب إليهم من حبل الوريد له أغفلوا وفيه لأنفسهم فرطوا.

الله لهم قريب، وأقرب إليهم من حبل الوريد، قائما على أنفسهم، بما كسبوا، هاديهم النجدين، آخذا بنواصيهم إلى القمتين، قمة المادة ومكانة الشيطان، وقمة الروح ومكانة الرحمن. ولا يكون الإنسان إنسانا، وحقا حقا، إلا إذا تجاوز القمتين.. إلا إذا طوى العالمين.. إلا إذا قام أمرا لله في الوجودين.. إلا إذا استكملت دائرته من النور، ودائرته من الظلام، التفافها حول نقطة ذاته ذاتا للحق، بروحه سارية في ساحتها وعوالمها من النور والنار والتراب، أحدا من آحاد الله، وعبدا له.

حتى إذا ما رأوهم في قمة المادة ومكانة الشيطان، وأنهم المبلسون، تذكروا أمر الله، ورحمة الله، وحق الله، ووجه الله، كان في صحبتهم، فذكروه، منه يأسين، وله مكبرين، وله فاقدين، فإذا هو يفاجمهم بنجدتهم منظرين، وبالخير مبشرين، من هو رحمة للعالمين، ممن يبدل سيئاتهم حسنات، ويغير ما بهم، وقد غيروا ما بأنفسهم في كرة خاسرة قطعوها، إلى كرة بالخير مرجوة، يبعثوها ليحيوها.

جعل الله، حقه، ورسوله وعبد، رحمة للعالمين، لا ينقضي عمله، ولا ينقطع أثره، ولا يفوت على طالب مدده، نور الله الممتد المنتشر، كوثر الله الذاكر المدكر، أودم الله، لمعاني الناس، لحقيقة الخلق، في حقيقة الخالق، {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما، إلا بالحق}، فما في السماوات ولا في الأرض، ولا فيما بينهما إلا حق. فهل تأمل الخلق، حقية الخلق، في حقيقة الخالق؟

إن الذي هو قائم على كل نفس كما عرفوا عنهم برسول منهم، قائم على كل نفس، عرفت النفس أو لم تعرف. إن الذي هو من وراء الكل بإحاطته وجوها له هو من وراء الكل وجوها له عرفوا أو لم يعرفوا، وهو في نفس الوقت من وراء كل فرد بإحاطته وجوها له.. هو من وراء كل فرد بإحاطته، أدرك الفرد أو لم يدرك، عرف أو لم يعرف، كسب معنى الوجه له أو لم يكسب، نضر الوجه له، أو غبر.. لا فرق في هذا بين مؤمن وغير مؤمن، لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وكل مولود يولد على الفطرة، والإسلام دين الفطرة.

إن العذاب.. إن الحرمان.. إن الخطر.. إن جهنم.. إن الضياع، إنما هو في فقدان ما هو قائم من أمر الحياة، إنه قائم أمر لم يخسر ولم يكسب، إنه الحق للخلق بالحياة لم يحتجب ولم يحجب، إنه الله واجب وجود بعد لم يجحد في جلايب من تراب لم تحيا.. إنه أنت.. إنه الناس.. إنه الكون.. إنه الوجود.. إنه الحياة، في لباس المادة لتظهر وتترأى لأبعضها، بالتعارف والتناكر، والتواضع والاستعلاء، والتراحم والاستغناء {أيكم أحسن عملاً}٦. إنما هو كل شيء، الله لا إله إلا هو الحي القيوم، أينما تولوا فثم وجه الله، وستفارق هذا القيام إلى قيام آخر وعالم آخر ونظام آخر، وستواصل التواجد فيه بقيام تتغير فيه نسبة الحياة إلى العدم في اتجاه لكسب الحياة أو لفقدانها.

فهل تريد أن تكون في الله شيئاً أيها الشيء؟ أم تريد أن تفقد شيئيتك، وتظلم إرادتك، وتبعد عنك روحيتك، وتبقى خاملاً هامداً بماديتك، وقد فقدت الروح والحياة؟ فإذا أنت الظلام والعدم، إلى حال ولسان الندم لك ولأنانيتك يوم تفرط في أمرك أمراً لله، أنت له وهو لك الحي القيوم.

جاء محمد بيننا، مرسلاً إليه، قدوة لنا، بُعث بمن أرسل إليه أمراً وحقاً لنا، لمتابعته على أمره، لنبعث به رسولا إلينا، على ما بعث هو بالرسول إليه، وخاطبناه (أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع)٧، وفي هذا تمام وصدق اقتدائنا على نتابع في هذا الأمر، انتهى من قبله إليه، وبدأ من بعده منه، في سفور به (من كنت مولاه فعلي مولاه)٨.. (خلفت الله عليكم)٩، خلفت الناموس، خلفت الفطرة، كشفت لكم عن قائم الحق بكم يبدأ من نقطة من أنفسكم انتهى إليها القديم ويبدأ منها القادم.. متجددة تكاثراً للرسول، منتشرة تكاثراً لها في اقتدائه وقيام قائم أمره، لدوام رحمة الله به.

فكان بيعته بالروح أوحيت إليه رسولا إلينا جاء بنور للإيمان قدّمه كتاباً، ولم يجعله عنه حجاباً، فكان بالحق له هو الروح والوحي يوحى إلينا، جعل له النور أنزل معه كتاباً وسراً وحاجباً لا حجاباً فكان هو النور يقذف، والعلم والإيمان يعرف، وكان الروح من أمر الله تقوم وتثقل في ساجد لله، سجوداً لحقه، في عابد لله، عابداً لأمره، في طالب لله، طالب للحياة، حريص على أمره منها، مدركاً أن الطالب، عين المطلوب، لا شريك له، دخولا في حصن الله بلا إله إلا الله، قياماً بحق الله بحمد رسول الله.

جاء رسول الله، ليعلمنا عنا، ليكون منا، ليظهر لنا أننا لا شريك لنا من أنفسنا، يوم نراه حقاً ممن لا شريك له، قائم أمرنا، لا شريك لنا أو له قائم وقيوم الحق لله، يوم نرى الله لا شريك له، منا أو منه، فعلم أن الذي لا شريك له، هو نحن يوم نكون به لا شريك لنا، فناء فيمن لا شريك له، بقاء بمن لا ضد له، يوم ندخل في حصنه لا إله إلا الله، بقائنا بها محمداً رسول الله.

نزلت البسملة على كل نبي من قبله، ورفعت معه، إلا هو، فقد أعطيت له ولأمته، فهي لمن طلبها وجاهد لها حتى وجدها، وهي لمن عشقها حتى عشقته فقامها، هي لمن وحد الله فوجد الله، وما وحد موحد الله، نشأة توحيد لله، أو نشأة وحدانية له مع الله، فوحدانية الله ليست مخلوقة، وما خلقت ولا تخلق.. وحدانية الله قائمة، وأنوار الله عارمة، وحقيقة الله عادلة ما كانت ظالمة، ورحمة الله قريبة مقارنة ما كانت مباعدة، أو معاندة، ولكن التوحيد إنما هو مع رسول الله، روح لروح، ونور لنور، وأمر لله لأمر لله.

التوحيد إنما هو توحيد القلوب مع القلوب في أمة رسول الله من المؤمنين بالله ورسوله، وارتباط القوالب مع القوالب في أمة رسول الله من المسلمين لله ورسوله.. وامتزاج العقول مع العقول في أمة رسول الله من الداعين على بصيرة في متابعتهم. إن التوحيد إنما هو توحيد الناس لأنفسهم، تتآلف قلوبهم على حب الله ورسوله مع قائم زمانهم فيؤلفها على أمره، فيبعثها بحقه، ذاتا له تمشي على الأرض، (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد)^{١٠}، ويطول بنا إسناد عنعنة، عن أقدس فأقدس حتى إلى ذات قدسه.. فما كان باطن الإنسانية بعيدا أو منفصلا عن ظاهرها.. والإنسانية بوحدتها بظاهر لباطن هي الله بظاهره وباطنه.

إن الذي هو من ورائك محيط، ما تكون أنت فيه، وما تكون أنت به، وما تكون أنت له، ألسنت وجهه؟ ولكنك وجه عليه غبرة، ترهقه قترة، موصوف الكفرة الفجرة. ولكن هذا الوجه الكافر.. هذا الوجه الفاجر.. هذا الوجه الغابر.. لم يفقد شرارة الحياة، بها يحيا، ولكنه لربه كنود، ولأمره بجود، ولرسوله عنيد، ولإمام عصره ظلام قديم في قيص وليد، لا يرضى النور، ولا يرضى الجديد، ولكن الله في انتظاره {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله}..^{١١} {إن الله يغفر الذنوب جميعا}^{١٢}، والرسول برحمته في دوام بجواره، باخع نفسه على آثارهم، أمره بيده {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}^{١٣}.

(أقبلت الفتن يأخذ بعضها برقاب بعض، أولاها خير من آخرها)^{١٤}، لقد رأى من كان حديد البصر عبر الزمان وعبر المكان وعبر نفسه.. لقد رأى من كان الشمس والأرض والقمر بكبير إنسانه، وأكبر من ذلك بالحق لعنوانه.. لقد رأى من كشف عنه الغطاء، فرأى ما هو قادم على قومه من الظلام والبلاء يرد أعمالهم إليهم، ولم وهو لهم من الله الرب الغفور (أمة مذنبه ورب غفور)^{١٥}؟ لأنهم رأوه جسدا قبلوه كأجسادهم، فما عرفوه غيب وجودهم، ولا حياة تواجدهم، ولا روح نشأتهم، ولا حقيقة غايتهم، ولا إنسان ربوبيتهم، ولا يد رحمتهم، ولا قدم الحق ساعية إليهم، ولا أحواض الحياة عيوننا نابعة بينهم، وسماء متدفقة فوق رؤوسهم، وحقائق متفجرة من عيون قلوبهم، لم يروا فيه حقا، ولم

يروا فيه مثلاً أعلى، ولا أحسن تقويم يرجى، ولا أحسن تقويم ينظر، ولا أحسن تقويم يسعى إليه وينشد.

إنهم بعد الألف ونصفها، ما زالت مثلهم التي يعجبون بها، عمر، أبو بكر.. معاوية، وما كان عمر، أو أبو بكر، ومعاوية، إلا بداية الانحدار، بعداً عن الدار، وعن رب الدار، وعن أهل الدار.. مثالية أبرزت مغفورة، مأجورة لكشف قانون التكامل والتناقص في الفطرة.

ما زالوا يقولون شيعة علي.. ولا يقولون شيعة معاوية أو السفياي، يعكسون الأوضاع. ما كان لعلي شيعة، ولكن كانت شيعته المؤمنون.. كانت شيعته المسلمون.. كانت شيعته من آمنوا بالله ورسوله، وقاموا حول البيت طائفين، من دخله منهم أقاموا فيه عاكفين، ومن بعد منهم عن مبناه، لم يبتعد عن معناه قاموا إليه مصلين، وله مستقبلين حيثما كانوا، وفي أي مكان هم به مذكرون وعنه معرفين على ما شرع لهم، وعلى ما عرف عندهم. فكان البيت منسكا لهم، ورمزا أدركوا علته، وعرفوا حكمته.

هؤلاء كانوا المسلمين.. أما شيعة السفياي، أو أبو سفياي وامتداده فكانوا للبيت مباعدين وإن هم بأجسادهم طافوه، ولأهله قالين وإن أسماء بألسنتهم ذكروهم.. فإذا كانوا ما قبل معاوية، محتجين، فقد كانوا من بعده بالأبلسة مسافرين، وكان معاوية بينهما عروة وثقى، بين المحتجين المخدوعين، وبين الهاوين المسافرين، في بيان للعالمين.

(ماذا فعلت بغريمك يا علي، أفلت يا رسول الله، لو قُتل هذا الرجل ما اختلف في أمتي اثنان) ١٦.. أما رسول الله فيختلف عن علي في هذا الشأن، وهذا هو الفرق بينهما.. (كان لي شيطان ولكن الله أعاني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير) ١٧.

إذا قلنا شيعة، فإنما هي شيعة من مرق من دين الفطرة مروق السهم من الرمية.. كل مولود يولد على الفطرة، على ما هدى الرسول الأمين، وعترته من الصالحين، من بيته وقد جعلهم الله قبلة للناس أجمعين.

ولكننا حتى اليوم، نسلم المؤمنين بأنهم المتشيعين، ونسلم المتشيعين، ضد رب العالمين، بأنهم المسلمين، وهم النكدين الخاسرين.

إن يوم الفصل كان ميقاتاً، للطاغين مآباً، لاثنين فيه أحقاباً، يوم يأتي يوم الفصل، يومئذ لا بيع ولا خلال، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له، خاشعة أبصارهم، ترهقهم ذلة، بأنهم الخاسرون، ترد إليهم أعماهم، ويتكشف لهم أمرهم. (أهل لا إله إلا الله لا يحضرون الموقف) ١٨.

ها هي إرهابات يوم للدين، تُكشف لأهل اليقين، وتُخرج من ظنه كل ظنين، إلى شهادة، لأمر رب العالمين في العالمين، {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} ١٩. (لو لم يبق من عمر الزمان إلا يوم لمد الله في عمر ذلك اليوم حتى يُخرج رجلا من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا) ٢٠، يجند لنصرته المؤمنون من أهل السماوات والأرض، {ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير} ٢١.

إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، ليت لنا مثل الذي لقارون، فلما خسفنا به وبداره الأرض، قالوا الحمد لله الذي ليس لنا مثل الذي لقارون.

لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لفست الأرض. فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، وكيفما تكونوا يولى عليكم، فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

إن الله ينصر هذا الدين، بالصالح والطالح، يجعل من الصالح قدوة، ويجعل من الطالح حكمة، حتى لا يتعرض الناس لما يتعرض هو له يوم يتعظون بغيرهم. (إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، [ينتقم به ثم ينتقم منه]) ٢٢.

هكذا انتقم بظالمين، وها هو ينتقم منهم، وناموسه قائم لا يغيب، ينتقم في دوام بظالمين، وينتقم منهم في دائم في العالمين. هو الصمد في فعله، وهو الواحد في أمره، وهو الأحد في حكمته وحكمه.

إن العدل لا يقيم في النفس فضيلة.. وإن الظلم لا يحو منها رذيلة.. إن الذي يتعشق الملايين لا يختلف عن من يتعشق القروش والملايين، كلاهما للدنيا عاشق، وكلاهما في أمره مع الله منافق، وكلاهما في عمله غير صادق.

فإن أخذت الملايين كرها عن احتازها، فلن يتعلم القناعة، ولن يدرك الضراعة، ولن يتذوق الشفاعة، ولكنه يبقى على طبيعته لكاعة من لكاعة في لكاعة ٢٣، لكع وابن لكع ووالد لكع.

وإن حققت لعاشق القروش ما ينشد من القروش، وضاعفت له القروش عما يريد وعما يطلب، فلن يقنع ولن يشبع ولن يحمد ولن يضرع، ولن يزكو وللحق لن يتطلع.

إن الدنيا هي الدنيا، وأهلها هم أهلها، بملايينهم وقروشهم، وإن الآخرة هي الآخرة لطالبيها، ولتعشقيها، وإن الله هو الله، لمؤمنيه، ولكل من يرتضيه، فيجتيبه، فيأويه، ويواليه، ويطوره على ما يعنيه، وقد خلقه لنفسه، وليصنع على عينه، على ما يرتضيه فيرضيه.

لقد جاءنا رسول الله بالعلم كله، وبالحكمة كلها، وبالحكم كله، وبالأمر كله، وبالدين كله. وحذرنا مما يجب منه أن نحذر، ومكننا مما يصح منه أن نمكن، وبشرنا بكل ما نطلب بعقل طالب وبقلب صادق. جاءنا بالدين كله وبالنخير كله.. جاءنا بالآخرة في دار الأولى، وأخذنا من الأولى إلى دار الآخرة، بكشف أغطينا عنا، في ستر من حجبنا لنا، مربوط على قلوبنا، محررة عقولنا، منطلقة أرواحنا، متطورة أشباحنا، متسعة عوالمنا.

جعل السماوات والأرض أمرا ودارا لنا، والعبد والرب وصفا فينا، والإله والمألوه قائم معانينا. فماذا أخذنا؟ وماذا تركنا؟ تركنا كل شيء، ولم نأخذ مما جاءنا به شيئا، إلا اللجاجة، والكأدة^{٢٤}، والغرسة، والمخاصمة، والمعاندة، والمنابذة، والمشادة. نجادل في الله بغير علم ونتبع كل شيطان مريد لموصوف الحق بيننا إلا من رحم وقليل ما هم.

أين هي القلوب تأتلف؟ أين هي النفوس ترتجف؟ أين هي العقول ترتجع؟ أين هي النفوس تتراص في الحق جندا مجندة؟ أين هي حروف الكتاب بالناس رتلا ترتل، وأمرًا تقوم وترسل، وسورا وأسوارا بين الحق والباطل تعلو وترفع، لتقرأ الأمم كتاب محمد في قائم أمة محمد، كتابا حيا، ناطقا، فاعلا، مشهرا؟ أمة وسطا.. أين هي الأمة الوسط.. خير أمة أخرجت للناس؟! ومن يكون أحقر الأمم بين الناس، إن لم تكن هي على ما هي، الأمة المتخلفة، الشعوب المتخلفة، الأقوام المتطلعة.. الجماعات الحقيرة.. الأمم الفقيرة.. الأمم الجاهلة؟!

أين هي أمة المعرفة؟ أين هي أمة القيادة؟ أين هي أمة السيادة؟ أين هي أمة الخدمة؟ أين هي أمة الكلمة؟ أين هي أمة الله؟ أين هي الأمة التي تأمر بالمعروف - وهو الله - لقائمها، وتنهى عن المنكر وهو ما سوى الله، لقائم القلوب، لقائم العقول، لقائم الأرواح، لحي الأشباح؟

أمة لا تعرف الألف من الباء في الدين، يدانيها الله من سمائه، يدانيها محمد ورب محمد، والكلمة والكلمات، والآية والآيات برسالة الروح، فلا تستجيب لجيئته، ولا تستشرف لطلعته، ولا تتطلع لنجدته، ولا تمد يدها لمصافحته، ولا تسعى أو تجاهد في مخاصمة النفوس لمسامته.

يأتي لها الحق وملائكته ليقم السلم لها معه، للسلم بين أممها يجمعها ويجمعه، وهي باسم السلم تشهر الحسام، وباسم السلام تنبح الأصوات والحناجر في المخاصمة بالكلام، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

يستعدون للحرب لمنع الحرب، ويشهرون الحرب لإقامة السلام، ويجتمعون في مؤتمرات ليتبادلوا الرأي، وكلهم، يخفي وراء ظهره الحسام، لا يسالم، حتى بالكلام، كلهم يطلب شعبة السلام، وتطلب حكومته الخصام، ولو أحكمت الشعوب أمرها في اختيار الحكام، ما عانت البشرية في أمرها هذا الانفصام.

لا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله.. وكيفما تكونوا يول عليكم، فأين هو التواصي بالحق والتواصي بالصبر، حتى يستقيم أمر الناس في أحوالهم، فيستقيم أمر دنياهم في خدمتهم يوم يسند الأمر فيهم إلى أهله من بينهم؟

هذا حال العالم في عصرنا هذا، فإذا تنتظر؟ وإن آمالنا تتعلق بكم أنتم، يا من تؤمنون بالله ورسوله، يا من تذكرون الله ورسوله، يا من تشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إن آمال البشرية اليوم تتعلق بكم.

فإذا استيقظت منكم بعض القلوب فاتحدت، فوجدت منها عوالم الروح، قبلة لها، وساحة لنشاطها، وجهازاً لعملها، فذرة من عمل القلوب، خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح.

إن الآمال معلقة على قلوب تحيا.. على قلوب تستيقظ.. على قلوب بالحق تبعث، وإن قلت، فإننا لا نطلب الكثير، وكـم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، وما النصر إلا من عند الله. نسأل الله أن ينصرنا على أنفسنا، وأن يجعل منا سيوفاً للحق تنصر، وللباطل تبتر.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

اللهم بمن زويت له الأرض مشرقة بنور ربها فارحنا.

اللهم بمن جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً فطهرنا وأسجدنا وعبدنا وعلما وأوصلنا.

اللهم بمن جعلته رحمة للعالمين فارحنا.

اللهم بمن جعلت له العزة من عزتك فأعززنا على أنفسنا.

اللهم بمن جعلت الإيمان به وجاء من الذل فانصرنا واحفظنا، وأحطنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم بمن كان لك عباد، وكان لنا ربا، وكنا به لك، يوم كنا له، اللهم به، فاجمع قلوبنا، وأثر عقولنا، وزكي نفوسنا، وقوم جوارحنا، وأصلح أمرنا، وخذ بنواصينا إلى الخير، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، طاعة وعادلين، أئمة ومؤتمين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، وقد جعلته رحمة للعالمين.

اللهم به فارحنا، وبه فوقنا، وبه فسد خطانا، ويسر أمرنا.

لا إله غيرك سبحانك إنا كنا من الظالمين

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ٢ عبارة ملهمة من مصدرين: "خلقتك لنفسي" جزء من حديث قدسي جاء في بعض الآثار منه "ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلف برزقك فلا تتعب..". ذكره المناوي في فيض القدير قائلا إنه لم يعثر على عزوه للنبي صلى الله عليه وسلم فعله مما روي عن أهل الكتاب. والجزء الثاني {ولتصنع على عيني} من سورة طه - ٣٩.
- ٣ عن الشيخ المرسى أبي العباس: قال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت،
- ٤ سورة سبأ - ٤٦
- ٥ سورة الحجر - ٨٥
- ٦ سورة الملك - ٢
- ٧ من النشيد المعروف الذي استقبل به الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة.
- ٨ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيدِ عليّ رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلِي بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلِي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّي مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٠ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". صحيح مسلم.
- ١١ سورة الزمر - ٥٣
- ١٢ سورة الزمر - ٥٣
- ١٣ سورة الرعد - ١١
- ١٤ الحديث الشريف "أتت الفتن كقطع الليل يركب بعضها بعضا، الآخرة أشد من الأولى." مسند الإمام أحمد.
- ١٥ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءٍ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَبِحْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مَذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في (تاريخه) عن أنس ابن مالك. المحدث الألباني. المصدر: ضعيف الجامع.

- ١٦ حديث شريف ذات صلة: "ذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا مِنْ قُوَّتِهِ فِي الْجِهَادِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى فِي وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَشْرَفْتَ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ خَيْرًا مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَذَهَبَ فَاخْتَطَّ مَسْجِدًا، وَصَفَّ قَدَمَيْهِ يُصَلِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ؟ فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ؟ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: أَنَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّي، فَصَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا، فَقَالَ: أَنْتَ إِنْ أَدْرَكْتَهُ، فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ قَدْ انْصَرَفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا لِأَوَّلُ قَرْنٍ يَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي، لَوْ قَتَلَهُ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ." الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الضياء المقدسي | المصدر: الأحاديث المختارة.
- ١٧ حديث شريف: "ما من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلَّا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلَّا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.
- ١٨ استلهاما من الحديث الشريف: "ليس على أهل لا إله إلَّا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلَّا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .." أخرجه الحكيم الترمذي، والبيهقي، والطبراني، وأبو يعلى.
- ١٩ سورة فصلت - ٥٣
- ٢٠ حديث شريف رواه الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، أخرجه أبو داود، وأحمد باختلاف يسير. وجاء بلفظ "لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني-أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً." أخرجه أبو داود، والترمذي مختصراً.
- ٢١ سورة الشورى - ٢٩
- ٢٢ حديث شريف ذات صلة: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر." أخرجه البخاري ومسلم..
- ٢٣ كلمة "لكاعة" لها معاني متعددة في اللغة العربية، لكنها غالباً ما تشير إلى اللؤم أو الدناءة أو الحمق. قد تُستخدم أيضاً لوصف الشخص المراوغ أو الماكر. وأحياناً التباطؤ في الحركة.
- ٢٤ الكفر بالنعمة.

(١١)

الإنسان

كان ويكون قبل وبعد ما هو كائن
هو المطلق بتواجداته في المطلق لوجوده
في قائمه لقبله وبعده

حديث الجمعة

٢٠ صفر ١٣٨٦ هـ - ١٠ يونيو ١٩٦٦ م

أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً عبد الله، وآدم معناه، عبد له لعبد الله، ورسول
لرسول الله في معناه من الأعلى لمعنى مولاه، فلا إله إلا من آمن بالله، وما آمن بالله من رأى له
وجوداً مع وجود الله، (لا يدخل ملكوت السماوات إلا من ولد مرتين)^١، (لا يدخل الجنة
عجوز)^٢.. فما بقي لمحمد بالحق مسماه، إلا بتقديم بالحق لمعناه، بالحق نزل وبالحق أنزلناه، قل زهق
الباطل من الخلق، وجاء وجه الخالق من الحق.

{وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}³ ولك قديماً جعلناه، فكان الخلد لمن خلفك بك ألحقناه، قائد ركب
عوالمنا إلينا، ورسول حقائقنا منا، وعبد مطلقنا لنا، وراعي عبادنا بنا.. يد قدرتنا.. وقدم سعيينا..
ووجه عزتنا.. وقدس إنساننا.

ما عَرَفَ محمد نفسه عبداً لله، إلا بقديمه لاقاه، وعرفه ربا له وعبداً لله، فعبد له نفسه لمعناه، فقبله
نخلته وحبه، ولنفسه اصطفاه. وما ظهر محمد، رسولا لله، إلا عند من رآه ورضيه لنفسه لأناه، ربا له
وعبداً لله، عين عبد الله لمعناه، عرفه ولقيه ولاقاه، قائم زمانه، لكوثر إنسانه ووجه رحمانه، أحبه
وعناه، فرضيه لنفسه وتولاه، فكان به محمداً وعبداً لله.

فما كان الرسول والرفيق الأعلى له، إلا الظاهر والباطن لاسم الله للواحد الذي لا يتعدد، والأحد الذي
يتقدم بالإنسان ويتكزز، وبه يقوم ويتجدد في مطلق الله لا شريك له، ولا ظهور له، ولا غيبة له، ولا

قديم له، ولا جديد له، ما ظهر في شيء مثل ظهوره بالإنسان، متعدد فيه متقادما له، متجددا به، وما ظهر لشيء مثل ظهوره للإنسان يوم يُشْهَد نفسه له ونفسه منه ونفسه فيه.

كلنا لله، وكلنا من الله، وكلنا إلى الله، فكلنا العبد لله، وكلنا الحق لله. فكلنا عابد لله، معبد بفعله نفسه لمعبوده من الله، ولن يراه إلا عبدا لله، يوم يراه ظلا للمثل الأعلى، واسما لله، {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}، {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، لهم شأن آخر مغاير لشأن أهل الدنيا.

فأي عبد هو، وأي معنى هو، للرب عنده لمعناه؟ وأي معبود، هو له عابد وربا له رضاه؟ ناداه فأجابه ليرعاه، ورعاه في عهده ليتولاه. فمن نكون في الله، ومن يكون من الله معبودنا، وما تكون عبوديتنا، وكيف هي عبادتنا؟

هل أجسادنا ما نعني، هي معنانا لأنانا.. أم من تجسد بها من روح مولانا، هو ما نعني بمعنى أنانا لمعنانا؟ أو من جسد من تجسد بها.. هو الذي عنانا لأنانا لمعنانا؟ ما هو الحق من الله عندنا لنا؟ الحق الذي نراه ولا نراه. وندركه ولا ندركه، ونعرفه ولا نعرفه، به نرانا ولا نرانا، وندركا ولا ندركا، ونعرفنا ولا نعرفنا، ونجدنا ثم نغيب بوجودنا عن بيئتنا تواجدنا. (والذي بعثني بالحق..^٨ ما عرفني غير ربي)^٩، فهل عرفناه أو عرفانا؟ (أنا حي في قبري)^{١٠}، فهل حينئذ فقي قبورنا أحيينانا؟

إن الأجساد حجاب عن مُتَجَسِّدِها من الروح، وإن مُتَجَسِّدِ الروح بها حجاب عن مُجَسِّدِها به من الأكبر، وإن مُجَسِّدِها به من الأكبر حجاب لها عن الحق الأعلى من الله ننشده، ونريد أن نتواجهه فلا نجده، يطول بنا إسناد عننة حتى إلى الذات في الله ذي المعارج، لله في مطلقه.

فإذا كُشِفَتْ عنا حجب الأجساد وهي بابنا لما وراءها، شهدنا المُتَجَسِّدِ بها، وقدرناه بالرشاد. فإذا كُشِفَ حجاب المتجسد بابا ولجناه، وطريقا قطعناه، تكشف المُجَسِّدِ، فخرجنا من الكنود والعناد، وطلبنا الأقرب من ذلك في الرشاد، ليكشف عنا حجاب المُجَسِّدِ للجسد بالتوحد معه، لنعرف الحق من الله لنا بنا بأوانينا وبمعانينا لحقائقنا ومبائنا، {أعطى كل شيء خلقه} ^{١١} فليس للإنسان إلا ما سعى.

هل قدرنا الله حق قدره؟ هل تأدبنا مع الله على ما يليق من الأدب معه؟ هل تحدثنا عن الله برشاد فيه، وبحس به، وبقيام له؟ هل وضعنا الأمور في مواضعها؟ هل فرقنا بين الجسد ومتجسِّدِه، وبين متجسِّدِه ومُجَسِّدِه؟ وبين مُجَسِّدِه والحق في إطلاقه للإنسان، ظاهر إرادة الله وباطن ظاهره بالوجود له؟

هل طلبنا الحق ولم تسعفنا الحقيقة؟ هل جاهدنا في الحقيقة ولم يلبنا الحق؟ {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} ^{١٢}، فهل بحثنا عن يسأل؟ وهل لبسنا ثوب السائل؟ إن الحق يعلن، أجيب طلب الطالب، إذا طلبني، أجيب تواجد الموجود، إذا تواجدني.

إذا تواجدني الإنسان تواجدته، وإذا طلبني الإنسان طلبته. من تقدم إلى ذراعا تقدمت إليه باعا، ومن جاءني مشيا جئته هرولة، {فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} ^{١٣}.

فكيف يوحد الناس الله، ولم يتوحدوا مع بعضهم البعض، باتحاد قلوبهم على هواه، وقد خلقهم لنفسه؟ ويريد أن يتوحدهم لأحدهم بحقه، أقرب إليهم من حبل الوريد، قائما على كل نفس بما كسبت. فهل كسبته النفوس؟ وهل عملت مع من كسبه لتكسبه؟ {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} ^{١٤}، {ندعو كل أناس بإمامهم} ^{١٥}، {وأذن في الناس بالحج يأتوك} ^{١٦}، {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها} ^{١٧}، {إنما توعدون لواقع} ^{١٨}، {وإن الدين لواقع} ^{١٩}.. (أجعل لك كل صلاتي يا رسول الله.. إذن تكفي همك ويغفر ذنبك [يا عمر]) ^{٢٠}.

كسبته النفوس يوم كسبته قائمها، لأمانة وجوده، وطلعة شهوده، ووجه معبوده، وبيت منشوده، وقبلة سجوده، ونصب طوافه، وبيت اعتكافه، ومدينة علمه، وساحة رحمته، السماوات والأرض خلقت لعبده، لا لمعبوده، يوم يشهد خلق السماوات والأرض، لمعنى نفسه، فيشده بذلك خلق نفسه، ويكشف عنه غطاءه لموصوف خلقه، ليعرفه الله لقائم حقه.. اسم الله وكلمة الله، وروح قدسه، لإنسانه وعبد.

فكيف تحدث الناس عن الله ومعناه، وعن وجوده بجوده من موجوده؟ وكيف عاملوا رسول الله في دائم موجوده لوجوده، كوثر لوجه مشوده؟ وكيف تعاملوا مع الله في تعاملهم معهم؟ هل في أنفسهم أو في الناس عرفوه؟ هل على مادي أنفسهم دارا لذكره أقاموه، وفي أرواحهم لأرواحهم لاقوه ليتواجدوه وجودا شهوده؟

هل في الناس آمنوه؟ عليما حكيما صاحبه، ليكونوه لأوصافهم عليما حكيما! المرء على دين خليله، فهل خالوا على دين؟ والمؤمن مرآة المؤمن، فهل عرضوا إيمانهم على مرآة يقين؟

هل تجعت منهم قلوب على معروف قلب بينهم، فلم تغفر لهم عيانا بيانا كل الذنوب، ولم تكشف لهم عنهم أغطيهم، ويستر عن الناس ما بهم من عيوب؟ لو أنهم جاءوا الرسول، فاستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله غفورا رحيمًا. ما تكون الشفاعة إن لم تكن في حياتكم لابتلائكم؟ (توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم) ^{٢١}، {وابتغوا إليه الوسيلة} ^{٢٢}.. (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا

ومن تخلف عنها هلك^{٢٣}. وما تكون الضراعة إن لم تكن في حياة ابتلائكم وهناءكم، ومتاعبكم بدنيا قيامكم؟

إن الإسلام، لا يعرف المرجئين، ولا يعرف من كانوا عن مسؤوليتهم متخلين، إن الإسلام دين الواقع.. دين الفطرة.. دين الحياة، دين الوجود.. لا يعرف التواكل، ولكن يعرف التوكل والتوكل.. إن الإسلام يعرف دائم الله، ويعرف دوام رسالة رسول الله، بهم يعمل المسلم وعليهم في عمله يتوكل، المؤمن لا يهدأ ولا يتواكل، هم وكلاء المؤمن معروفين له معه يوجهونه بحديث وإلهام وقدرة تمنح، يقومون على نفسه ساهرين، وعلى أمره مدبرين، يوم يقوم فيهم، عبدا لهم، مطيعا لأمرهم، عاملا بهديهم، سالكا وراءهم الطريق إلى اللانهائي...

اللانهائي الجدير إنسانه بكل وصف بالقائم بكل اتصاف، المنزه لمعناه عن القيود والأوصاف.. إنسان الله.. العلي في دنوه، القريب في علوه، الأقرب لكل نفس من حبل الوريد، القائم بالقديم والجديد، القائم بالجاهل والرشيد، القائم بالحبيب والعنيد، الرب الساهر لا شريك له، لا إحاطة به، لا بجود، لا كنود.

هو الأب المعروف والهادي الموصوف، يوم يكون عند المؤمن، الحق المعبود، والقيام المشهود.. حياة الوجود.. حياة الحياة.. سفين الخلاص والنجاة.. ظاهرا برسول الله.. باطن رسول الله، رسول الله باطنه يوم هو لكائن العبد بالنفس يظهر.. وهو باطن رسول الله يوم يقوم كائن العبد برسول الله بالحق إلى الله يجأر.

ينزل الرسول دون الناس ليعليه، ليعلي ربه في الناس لمعناهم، يوم يعينهم الله للقيام، ليشهدهم ويرضيه، ويرضاهم له لمعانيه، (اخفض لهم جناح الذل من الرحمة)^{٢٤}.. {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم}^{٢٥}، فينزل الأعلى بقربه ويقوم الناس لقائمهم بلا إله إلا الله {وبرزوا لله جميعا}^{٢٦}.. {أو يأتي ربك}^{٢٧}، فيرفع الرسول لعظمته بالمقام المحمود بالله أكبر، باطن رسوله لظاهرة به.

فيتجلى به بعزته {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن}^{٢٨}، ويربأ به بعيدا عن بطشته يوم يبطش البطشة الكبرى، فصلا في قضية رسالته، وقد جعله رحمة للعالمين.

{لست عليهم بمسيطر}^{٢٩}، لا هوانا به، ولا إهانة له، ولكن إكبارا لأمره، وتعظيما لقدره، لأنه حضرة رحمته، الغالبة على حضرة عدله، زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا وطهورا، ولم تجعل له دار ملكه عضودا أو رشيدا، فله داره ملكه وعزته، {وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا}^{٣٠}، ولم تجعل دار ملك لأحابه، ولكنها جعلت دار ملك مداول بين الناس من مؤمنيه، ومن جاحديه، حكمة

وهداية وموقظا لغاية، هي سر البداية ونعمة النهاية. (الملك من مَلَك نفسه)^{٣١}، والكاسب من كسب الله لنفسه.

أما الحق عند أهل العلم به والاجتماع عليه، فهو الراحم والمرحوم، وهو العالي والمعلو عليه، فالرسول عندهم هو الحق من الله في علوه، وهو الحق من الله في دنوه، الله في معرفتهم أعلى من علو الرسول مهما علا، والله أدنى من دنو الرسول مهما دنا، فالرسول مشهود الله لمشاهدته، في علوه أو في دنوه لراشده، علم الأعلى وعلم الأدنى، الله من ورائه بإحاطته لمن آمن بالله من ورائه بإحاطته، جعله إبراز قربه لأهل قربه، وقيام رحمته لأهل رحمته، ومشهود حقه لحقائقه لوجه طلعت. (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة)^{٣٢}، أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة [أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة]^{٣٣} (أقربكم مني منازل في يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)^{٣٤} (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب، إلا نسبي وحسبي وسبي وصهري)^{٣٥}.

إن رسول الله في معية الله لمعيته هو للمؤمنين بالله ورسوله لقائهم بهم، كل شيء لهم من الله.. هو كل نعمة لهم من الله.. كل حكمة لهم من الله.. كل سلامة لهم من الله.. كل خلاص لهم من أنفسهم، ففي فنائهم فيه، بقائهم به، وجاء لهم من أحوال التوحيد، وسير مأمون إلى فضاء التفريد في الطريق إلى اللانهائي المنفرد الوحيد.

إن رسول الله، عند عارفيه لمعانيهم قياما به، وقياما فيه، هو.. لمعرفتهم برحمته، إمهال المنظرين، وهو أيضا حفاظ الكافرين، فما كفروا إلا به ربا ورحمة لهم. وهو ممهل الطاغين، هو الخلق العظيم، فكل ذلك في دائرته رحمة للعالمين، وكتابا وحقا يبين، في كل وقت وحين لكل نفس تطلب الحق، وتطلب اليقين، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته}^{٣٦}.

إن رسول الله للمؤمنين بالله ورسوله، مرآة أنفسهم، في الله قائمين، وبالله عاملين.. إن المؤمنين بالله ورسوله، في هذا الدين، ليسوا من المرجئين.. ليسوا من المتكاسلين.. ليسوا من المتباطئين، إنهم إلى الله يسيرون، ولقاءه يتعجلون، وفي دنياهم يطلبون، لحاضرهم يشهدون، لكشف أغطيهم، عنهم يجاهدون، والله لمعيته لا ينكرون، وله في الصغيرة والكبيرة يتقون، ومعه في الناس وجوها له بالنور والظلام يتعاملون، ومن يد رسول الله يأخذون، يدا الله يعرفون ويشهدون، وعنها لا يزورون.

فهم ليسوا الأجساد، ولا المتجسد بها، ولا المجسد لها، ولكنهم بيوت الله بهياكلهم، بناء يرفع، وسماوات وأرض تتواجد، بيتا لله يقوم يذكر فيه اسمه لأرواحهم ومعانيهم، رجالا لا تلهيهم التجارة ولا

البيع عن ذكر الله، يذكرون الله في أنفسهم ودون الجهر من القول، مربوط على قلوبهم ليكنوا من المؤمنين.

يعددون الجسد بتكاثر، ويجسدون الروح بالجسد يتناثر، تسير جبالهم، وتقطع أرضهم بالله ويعرفونهم لفعلهم بالله المجسدين، لجبال أجسادهم المسيرين والمقطعين، يعرفونهم عبادا لله لأنفسهم راتقين وفاتقين، قائم بيوت، يذكر فيها اسمه لقائم الدين وقائم اليقين.

الله.. حياة قلوبهم. الله.. نور عقولهم. الله.. نار نفوسهم. الله.. متارب ذواتهم. الله في معلومهم لا يخلو منه شيء.. به يقوم وبه يحيا كل شيء، فهو حياة الأشياء، وقائم الأشياء، لا شريك له، من حي ولا من شيء..

الله.. ذات ومعنى.. ذات اجتماع ذواتهم، في ذات وجوده بمثله العليا من ذوات، تجمعها لمثلها في ذي المعارج لذات الحق المطلق، فيه له مثقال الحبة من خردل أو أدنى من ذلك.. إلى سديم يجمع الشمس والنجوم والأقمار والكواكب والأفلاك لإنسانه وعنوانه يجمعها بإحسانه، في أي صورة ما شاء ركبته.

إن الله، الذي هو كل شيء في ظهوره، منزه عن كل شيء، في عظمة إدراكه، يوم إدراك عظمته، يمثله الإنسان بصفاته، في قيامه به، بمعلوم صفاته له.

إن الناس، ليسوا غير الله، ولكن الله ليس هو الناس.. إن آباءهم ليسوا غير الله، ولكن الله ليس هو آباءهم.. إن أبناءهم ليسوا غير الله، ولكن الله لا يتواجد عنهم بأبنائهم. إنهم وآباءهم وأبناءهم في الله، وجود واحد، ليس غير الله، ولكن الله لا ينحصر في حق وجودهم. إنهم إنسانه وعنوانه، حقه وخلقه، عبده وربّه، إنهم الواحد الأحد للآب والأب والولد في الوجود المطلق له، المتعددة فيه آحاده، والمتواجدة به حقائقه.

الله.. في مطلقه، لا يخلو منه ولا يخرج عنه، الوجود له في موجوده، فالموجود علم الأكبر لوصف الموجد، رسولا من الأعلى في المطلق، لاسم الله. فالوجود وموجدّه، وما تواجد فيه بموجوده، شأن واحد وحق واحد في اللانهائي لا تنحصر آحاده.

هذا هو تعديد الإسلام، وتوحيد الإسلام.. هذه هي أقانيم الإسلام، هذا هو الشفع والوتر في دين الإسلام.. هذا هو الحق والخلق في دين الفطرة.. هذا هو الآله والمألوه في لا إله إلا الله.. هذا هو الله، والله أكبر، في وحدانية الله.

فهل جادلنا في الله بعلم! هل جادلنا في الله على هدى! هل جادلنا في الله بكتاب منير! هل جادلنا في الله طلباً لله! هل جادلنا في الله على صفاء مع الله! هل جادلنا في الله على صدق مع الله!

أين هم المجادلون في الله؟ أين هم المتواصون بالحق في الله؟ أين هم المجاهدون في الله، جهاداً أكبر أو جهاداً أصغر؟ أين هم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر في الله؟ ما هو المعروف؟ وما هو المنكر؟ وما هو الجهاد؟

انظروا وتأملوا ولا تتخذوا أنفسكم، بما خدع به آباؤكم أنفسهم، هل يدب على الأرض في عالمكم هذا، في عصركم هذا، إلا لُكع وابن لُكع، إلا شيطان وابن شيطان؟ أين هو الإنسان بين الناس؟ أين هو الرجل الرشيد للناس؟ أين هم الناس؟ إنهم في غرائزهم، من حياة الغابة، من طورهم بالحيوان، من سلالات الطين، إلا من رحم من المغموين، أو المغلوبين على أمرهم.

الناس؟! ماذا نرى لاسم الناس؟ إنهم شعرات الأرض، ونباتها، من الخليقة، إنهم ينظرون بينهم الإنسان بعيونهم من أنفسهم، ولكنهم يتكرونها، ولا يعرفونها، لأنهم لا يبصرون، وهو لا يرى إلا للقلوب، ولا يُقدَّر إلا للعقول، فإذا لاقوه، خاصموه، وما تركوه ولكنهم يحولون بين أنفسهم بالحياة دونه، بما هم عليه، مما يعبدونه ويعشقونه، من مادي أبدانهم، وما يملكونه، والله لمواجهتهم يكفرونه، وفي أنفسهم يتكرونها، وأقرب إليهم من حبل الوريد يعصونه ويخاصمونه، وفي أنفسهم لا يقصدونه.

لو شاء لهدانا! لو شاء للاقانا! لو شاء لأغنانا! لو شاء لقوم معنا! أين هو الإنسان، ليس له إلا ما سعى! أين هو الإنسان وجه الرحمن حتى في عمائه! إنه ينكر على معناه وجهاً لله، وهذا ما كان بالدين بشراه، والله من ورائه بإحاطته حتى في كنوده، وجوه عليها غبرة، ترهقها قترّة.

لم لا يغير الناس ما بأنفسهم، حتى يُغير الله ما بهم، حتى تنضر وجوههم، فتصبح وجوها ناضرة، لربها ناضرة، يوم تنظر وجه رحمة، وجه نجدته، وجه طلعتة، مع قائم زمانهم وجوها له، ناضرة لحقها فيها، وأصلها لقديمها، وجديدها بها؟ (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو سهر له سائر الجسد بالحمى والسهر)^{٣٧}، (إذا شكّت مؤمناً شوكة وجدت ألمها عندي)^{٣٨} {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}^{٣٩} (يقوم ويتقلب في الساجدين)^{٤٠}، لكوثر ودائم معناه بعترته وأهل بيته، لدوام رسالته.

يد الله في دوام مبسوطه، يبايع على نفسه من ردوا إليه أنفسهم، خلقها لنفسه مع عباد الرحمن بينهم أصلحهم لنفسه. ولكن الناس لم يرعوا الأمانة، لأنفسهم عاملوها بالإهانة، وعطلوها عن الإبانة، وسلكوا بها طريق المهانة.

هووا بأنفسهم نفسا لله {ويحذركم الله نفسه} ^{٤١} فتلقته يد رحمته، يد إقلاله، مُقَلَّة لهم، مزوية لها الأرض حتى يعيدهم إلى عليّ مكانة لم يدركوها، غفر لهم قبل أن يسيئوا، وعفا عنهم قبل أن يذنبوا. {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله} ^{٤٢}، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة} ^{٤٣}، {إنا هدينه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا} ^{٤٤}.

فإذا رُد إلى المرء عمله، وظهر له جوده، وعرف أنه كفر بنفسه، نفساً لله، كان الله في معيته، وكانت في معيته، طلب الإنظار فأنظر، وطلب العودة فأعيد، وطلب الكرة فتكررت. {أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتان فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل} ^{٤٥}.

{والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده} ^{٤٦}، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} ^{٤٧}، {فوفاه حسابه} ^{٤٨}، (ما مات امرؤ إلا ندم، إن كان قد أحسن أنه لم يزد، وإن كان قد أساء أنه لم يقلع) ^{٤٩}، {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد} ^{٥٠}. (من مات فقد قامت قيامته) ^{٥١}، والسعيد من مات قبل أن يموت، وأقام قيامته قبل أن تقوم، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وتعارف إلى نفسه قبل أن تتعارف نفسه إليه.

فعرّفها بالعدم في الكنود، وعرف الله بالجود، بالوجود في السجود، فأنكر على ظلامها وجاهليتها وجهلها، فبدل ما بها غير ما كان لها، ومنحت ما خلقت له، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ^{٥٢}.

(خلقتك لنفسي.. ولتصنع على عيني) ^{٥٣}. (خلقت كل شيء من أجلك فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب) ^{٥٤}. {يا حسرة على العباد} ^{٥٥}. ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم} ^{٥٦}، {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً. قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة} ^{٥٧} وما كان ما عند الله إلا ما عنده لهم. (الله معطي وأنا قاسم) ^{٥٨}.

تعالى الله عن وصف الجاهلين.. تعالى الله عن تنزيه المغفلين.. تعالى الله عن معاملة الطاغين.. تعالى الله عن نظر الغافلين، {أليس الله بكاف عبده} ^{٥٩}. {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ^{٦٠}، أين عنه تبحثون؟ ومتى له تلاقون؟ وهو في قيامكم هذا، قائم على كل نفس، بما به تدينون، فتي له تطلبون، إن لم تطلبوه في حاضركم بيقين؟ لم تعبدونه على ظن، وهو اليقين؟ وإذا كان الله مطلوبكم، فإذا بعد الله لأنفسكم تطلبون؟ وإذا كان الله كسبكم، فإلى أي شيء من بعده تفتقرون؟

{الله لا إله إلا هو الحي القيوم} ٦١، أَعَلَى الحياة تنكرون؟ ثم بعد ذلك للحياة تستبقون أو لها تستردون يوم تفقدون؟ ماذا تطلبون، وأنتم على ما تطلبون قائماً تنكرون! إنكم سوف تعرفون يوم تفقدون، ولات ساعة مندم!

إن فقدتم فكيف تستعيدون؟ وإن خرجتم من حضرته فكيف تعودون؟ إن مُسَخِّم على مكانتكم، كيف تُرَحِّمُون، أو تتراحمون وترحمون؟ إنكم في حضرة الله اليوم تقومون، وفي ساحة رحمته ترحون، وإنساناً كاملاً بأجهزكم تظهرون، تكسبون أو تفقدون، لأحدية جمعكم بالحق تقومون.

إنه لا يدين، ولكنه يترككم لأنفسكم يوم يدين، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} ٦٢. (من نُوقِش الحساب فقد هلك) ٦٣.

إن الله لا يُحَاسِبُ.. إن الله لا يُعَاتِبُ، ولكن المحاسب والمعاتب، إنما هي ضمائرهم، يوم تعرفون أنكم خيبتم الرجاء فيكم لأنفسكم، فتجادلون عن أنفسكم، بمبانيكم لاجئة مع معانيكم، {وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم} ٦٤.

رسول الله بينكم، ورسول الله فيكم، تنكرونه لكم بينكم، وتنكرونه لكم فيكم، وتخاصمونهم بينكم لسمي معانيكم، ثم أنتم تزعمونكم مع الله ورسوله، وتريدون أن تفقهوا في الله، أنتم لا تفقهون شيئاً عن الله ولا عن أنفسكم، والله الحجة البالغة، ألم يقل لكم رسول الله، استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك! فهل صدقتم مع ضمائرهم؟

إن في الإنسان ضمير صادق لا يكذبه، ولكنكم تخادعون ضمائرهم.. وتلتون مع عقولكم، وتعبثون بأنفسكم، وتظاهرون قلوبكم.

ثم أنتم لا تنسبون شيئاً من هذا لكم، ولكن هو إلى الله ينسب عندهم.. لو شاء الله! لو أراد الله! لو فعل الله! الله.. أعطى كل شيء خلقه، فإذا تطلب النفوس؟ والله قدّم هديه فإذا تطلب العقول؟ الله.. جعل هديه نورا هو عقلك، وجعل صوته حساً، وإدراك، وقرباً، هو ضميرك، وجعل حقه وجوداً وشهوداً هو إنسانك.

فمن من الناس يسهر مع ضميره ليستمع إليه؟ ومن من الناس يعكف على عقله ليبتدي به؟ ومن من الناس استيقظ ضميره ليرعى نفسه، وليقومها، ويعرف أنها الضد لعقله، وال ضد لضميره، وأنها يوم تصلح ويسلس قيادها، فهي نعم الرفيق، ونعم الصديق فيحرص، على صلاحها وصلاح أمرها؟ (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير) ٦٥.

إن الذي استنصر بالله على نفسه، نصره الله على نفسه، وجعله للناس كافة قدوة بفعله ورسولا بقدوته. إن الذي طلب الله، لم يذهب إلى الله، ولكن جاءه الرسول من الله ربا رعاه وما زال يرعاه، بالحق دانه وبالحق ما زال يدانيه. {دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى} ٦٦، {أوحينا إليك روحا من أمرنا} ٦٧، {سويته ونفخت فيه من روحي} ٦٨. {وبالحق أنزلناه وبالحق نزل} ٦٩، بعث بمن جاءه حقا من الله فكان جيئة حق الله، إنه سعي الله لخلقه.. إنه الرحمة المهداة للناس.. إنه الرب الراعي لفردهم وجمعهم، إنه الرحمة المتحسرة على الخلق، وعلى العباد وفعلهم، {يا حسرة على العباد} ٧٠. {فلعلك باخع نفسك على آثارهم} ٧١.

إنه الرشاد.. إنه السداد.. إنه خصم العناد.. إنه حوض الوداد.. إنه كتاب الوجود.. إنه نور الشهود، {النور الذي أنزل معه} ٧٢ إنه من {جعلنا له نورا، يمشي به في الناس} ٧٣، إنه من أذناه وأمرناه أن {يقوم ويتقلب في الساجدين} ٧٤. {فصل لربك وانحر} ٧٥.

إنه من جعل الله به في الموت الحياة {ومن الليل فتعبد به نافلة لك} ٧٦.. إنه الذي أمات الظلام في النفوس، وأحيها بنور الله معه وباسم الله له، وبرحمة الله من فيضه، وبقدرة الله لإرادته، وبهدي الله، بكتاب الله نورا يمشي به في الناس، وبالعبودية لله روحا يوحيا إلى الناس...

بكتاب الله.. كانه يوم عرف نفسه.. عرّف، وبالعبودية لله، ذاقها، وقامها، وعرفها، وجددها، وتعالى بها، وتداني من فضلها، حقق وشرف فكان عبدا كلما دنا، وكان عبدا كلما علا، وكان عبدا كلما جدد وبني، عبد الله وشرف عبد الله.. إنسان الله وشرف إنسان الله، مجد الإنسان من مجد الله، عزة الإنسان من عزة الله.

أفرد الله بسيادته، وما أفرد نفسه عند الناس بعبوديته، وهو بها المنفرد بتوفيه وكماله بها لمعانيه، وهو بها السيد، سيادة ربه به، رحمة منه بمسوده، وهو بها الإله بكنزية حقه عن ناظره، لنشر رحمة الله به منه فيه لداخله.. وهو بها الرب لمتحديه وعارفيه، وهو بها الحق لعانيه، وهو بها الوجود للمتواجد به فيه، وهو بها أول العابدين لملاحقيه، وأقوم الساجدين لمقتديه، وأحرص المتقين للقائمين به فيه، وأعلم العارفين لقارئه.

فهل تابعناه، لنكون به عبادا لله، وهو الذي أكبرنا وربّه، وقدرنا وربّه، يوم وصفنا، مضافين إليه بموصوف العبد؟ فقال {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا} ٧٧. {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} ٧٨ إن الله لا يغفر أن

ترى لك وجودا مستقلا عن موجوده ومشهوده، أو أن ترجئ معنى ظهوره، أو مكان ذكره، وهو القائم على كل نفس ومعكم أينما كنتم، وقد هداكم، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ٧٩.

اللهم يا من أكرمتنا وشرفتنا، بوصف العباد لك، ارحمنا وأكرمنا، بمصطفى العبد منك، لنكون في المحاق به إليك، عباد موجودك، وأعلام جودك، وبناء وجودك لبيوت ذكرك، وروح رحمتك، وريحان نعمتك، وجنان ساحتك، وبيوت علمك لأعلامك، ومدن أمرك لرحمانك، وعوالم وجودك، لقائمك وشهودك بإحسانك.

لا إله إلا أنت بك آمنة، وفي أنفسنا، لك عرفنا، حياة حياتنا، وقيامة قيامنا، وساعة لقائنا في كشف أغطينا.

اللهم فاكشف حجاب الغفلة عنا، وأشهدنا معيتك لنا بقائكم بنا، لا إله إلا أنت لنا، ولا شهود منك إلا أنا، يوم بك نرانا، روح وحياة معنا، في بيت ذكرك لمبنانا.

بمحمد لنا آمنة، ولمحمد لك بنا أسلمنا، ولرسالتك به سمعنا، وأطعنا، برسالتك بنا استغفرنا ورجعنا، فغفرانك ربنا، وإليك المصير.

اللهم جمل بك إليك مصيرنا إليه، فألحقنا بأهل طاعتك معه، وأخرجنا من أهل إنظارك معنا، وزحزح وجودنا عن النار بعزلتنا، وأدخلنا جنتك بوصلتنا، عتقاء، متحررين من أغلفتنا، ولا تجعلنا لأبداننا أرقاء، ولا لتجسداتنا عابدين.

اللهم أتبعنا لمجسديك للوجود لوجودك عبدك ورسولك، منطلقين في السماوات والأرض لقائم نفسه، لك عابدين، ولك ذاكرين، وبك معرفين، ومنك معلمين، كلمات لك، وأرواح قدس لك، وأذن خير لك، وعيون رحمة منك، ولسان صدق بك، ويد نجدة بقدرتك، وقدم سعي برحمتك، قائم عبدك ورسولك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

برحمتك اهتدينا، وبنورك علمنا، ولوحدانيتك أدركنا وشهدنا.. ولأحدك طلبنا، وأنفسنا عبدنا.. اللهم فحقق لنا فيك المراد، ولا تمنعنا بك الرشاد، وأذهب عنا عنت أنفسنا، وظلام عقولنا.. اللهم جدد لك إسلامنا، وبرسولك إيماننا، في دوام، وفي سلام، وفي أمان.. اللهم به ما بين الحياتين تواجدنا وترددنا، حتى نتواجدنا، ففي الحياتين توجدنا، وفي الحياتين توجد بنا، عبادا لك، بك آمنة وإليك رجعنا.. اللهم اغفر لنا وتب علينا، وأصلح شأننا وشئون حكمانا، وتولنا وحكامنا برحمتك وعنايتك وحكمتك، وأصلح لنا ولهم أنفسنا، واغفر لنا ولهم زلاتنا، وتولنا وإياهم برحمتك ورعايتك وقنا وإياهم شرور غضبتك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من كلمات السيد المسيح عليه السلام: "الحق أقول لك: لن يرى أحد ملكوت الله إلا إذا وُلِدَ ثانية." (يوحنا ٣: ٣)
- ٢ حديث شريف: "أتت عجوزٌ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يدخل الجنةَ عجوزٌ فبكت، فقال: إِنَّكَ لَسِتِ بعجوزٍ يومئذٍ قال اللهُ تَعَالَى إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا" [الواقعة ٣٦، ٣٥]. الراوي: الحسن البصري، المحدث: العراقي. المصدر: تخریج الإحياء للعراقي.
- ٣ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٤ سورة الروم - ٢٧
- ٥ سورة مريم - ٩٣
- ٦ سورة آل عمران - ٦٤
- ٧ سورة الأنبياء - ١٠١
- ٨ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ٩ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ١٠ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يُصلُّونَ". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ١١ سورة طه - ٥٠
- ١٢ سورة البقرة - ١٨٦
- ١٣ سورة البقرة - ١٨٦
- ١٤ سورة آل عمران - ٦٤
- ١٥ سورة الإسراء - ٧١
- ١٦ سورة الحج - ٢٧
- ١٧ سورة الشورى - ١٨
- ١٨ سورة المرسلات - ٧
- ١٩ سورة الذاريات - ٦
- ٢٠ حديث شريف عن الصحابي أبي كعب: "أجعلُ لك صلاتي كلها يا رسول الله؟ قال: إذا تُكفَى همك، ويُغْفَرَ لك ذنبك." رواه الترمذي وأحمد. (عبارة "يا عمر" يذكرها السيد رافع مع هذا الحديث الشريف في النسخة الأصلية)، ولكن نذكر هنا الحديث الشريف الموثق.
- ٢١ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماما مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} (سورة النساء: ٦٤)

- ٢٢ سورة المائدة - ٣٥
- ٢٣ حديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرک.
- ٢٤ استلهاما من {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر - ٨٨، و{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥
- ٢٥ سورة الأحزاب - ٦
- ٢٦ سورة إبراهيم - ٢١
- ٢٧ سورة الانعام - ١٥٨
- ٢٨ سورة طه - ١٠٨
- ٢٩ سورة الغاشية - ٢٢
- ٣٠ سورة الإنسان - ٢٠
- ٣١ استلهاما من الحديث الشريف: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب." أخرجه البخاري ومسلم
- ٣٢ إشارة إلى حديث شريف طويل: "إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه. ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا." صحيح البخاري.
- ٣٣ من حديث شريف طويل: "إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه. ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا." صحيح البخاري.
- ٣٤ حديث شريف: "إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكثافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي المشاؤون بالثيمة، المفرقون بين الأحبة." أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٣٥ حديث شريف: "كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسي وصهري." رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي." أخرجه ابن عساکر في ((تاريخ دمشق)).
- ٣٦ سورة الحديد - ٢٨
- ٣٧ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٣٨ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٣٩ سورة الأحزاب - ٦
- ٤٠ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٩
- ٤١ سورة آل عمران - ٢٨ و ٣٠
- ٤٢ سورة الزمر - ٥٣

- ٤٣ سورة النحل - ٦١
- ٤٤ سورة الإنسان - ٣
- ٤٥ سورة غافر - ١١
- ٤٦ سورة النور - ٣٩
- ٤٧ سورة الإسراء - ١٤
- ٤٨ سورة النور - ٣٩
- ٤٩ حديث شريف: "ما من أحد يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع." أخرجه الترمذي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والديلمي في الفردوس، والبغوي في شرح السنة.
- ٥٠ سورة ق - ١٩
- ٥١ حديث شريف: "إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته؛ فاعبدوا الله كأنكم ترونه، واستغفروه كل ساعة." أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وغيرهم.
- ٥٢ سورة الذاريات - ٥٦
- ٥٣ عبارة "خلقتك لنفسي" جزء من حديث جاء في بعض الآثار: يقول تعالى: "ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب. ولا سند له في كتب الأحاديث الشريفة. والجزء الثاني {واصطنعتك لنفسي} من سورة طه - ٣٩
- ٥٤ استلهاما مما جاء في بعض الآثار: يقول تعالى: ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. وذكرهما كذلك المناوي في فيض القدير. قائلا: "ولم نثر بعد البحث على عزوهما للنبي صلى الله عليه وسلم فلعلهما مما روي عن أهل الكتاب."
- ٥٥ سورة يس - ٣٠
- ٥٦ سورة الأنبياء - ٣, ٢
- ٥٧ سورة الجمعة - ١١
- ٥٨ حديث شريف: "أنا أبو القاسم، الله يعطي، وأنا أقسم". أخرجه البخاري.
- ٥٩ سورة الزمر - ٣٦
- ٦٠ سورة الذاريات - ٢١
- ٦١ سورة آل عمران - ٢, سورة البقرة - ٢٥٥
- ٦٢ سورة الإسراء - ١٤
- ٦٣ حديث شريف عن عائشة أم المؤمنين: "ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَوْفَ يَحَسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا} قال: ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك. صحيح البخاري.
- ٦٤ سورة يس - ٦٥

- ٦٥ حديث شريف: "ما من أحد إلا وقد وُكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.
- ٦٦ سورة النجم - ٨: ١٠
- ٦٧ سورة الشورى - ٥٢
- ٦٨ سورة الحجر - ٢٩
- ٦٩ سورة الإسراء - ١٠٥
- ٧٠ سورة يس - ٣٠
- ٧١ سورة الكهف - ٦
- ٧٢ سورة الأعراف - ١٥٧.
- ٧٣ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٧٤ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٩
- ٧٥ سورة الكوثر - ٢
- ٧٦ سورة الإسراء - ٧٩
- ٧٧ سورة الزمر - ٥٣
- ٧٨ سورة النساء - ٤٨
- ٧٩ سورة الذاريات - ٢١

(١٢)

خاتم النبيين لا ختامهم وأول بيت لليقين، لبيوت برجال لا آخر لهم ذكر لذكر في مذكور بأحاد لا حد ولا حصر لهم

حديث الجمعة

٥ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ - ٢٤ يونيو ١٩٦٦ م

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

بالحق أنزلناه فكان وجه الحق بمعناه، وكان لنا وجه الحق بمبناه لمبنانا يوم لاقيناه، وبمعناه لمعنانا يوم عرفناه، وبحقه لحقيقتنا يوم اعتقدناه، فجافينا مبنانا إلى مبناه، وخاصمنا معنانا إلى معناه، وخرجنا من ولائنا لنا إلى ولائنا لمن عناه، وعلينا ولّاه ما آمنّا بمولانا، فكان رحمة للعالمين نَعْمَناه، ورحمة لنا كسبناه.

فكلنا الناس يوم آنسنا وأنسناه. كذا (الله - هم) يوم كذا وجوها لله، لاقينا وجها لله، لطيفا قنناه، ونورا رأيناه، وحقا لاقيناه، يوم كذا منه حقا اعتقدناه وآمناه، كذا (ال لا هم) ولكنه الله، كذا المسحاء لمسيح لله.. كذا الكلمات لروح قدس الله.

أمرناه نفسا على نفوسنا، وأضأنا به - عقلا كليا - بنور الله عقولنا، وأحيينا به روح قدس الله قلوبنا، وقومنا به معروف إمام بكوثره جوارحنا، سلكنا به طريقنا إلى الحياة، من الحياة، فدرنا في الحياة بالحياة دورة الأحياء، بكرات الرجاء، وكرات البلاء.

به تقلبنا بين الظلام والنور، وهو معنا في الظلام، على ما هو معنا في النور، والله به راحنا وفيه مختبرنا في أمرنا في النور، كما هو به راحنا وفيه مختبرنا في أمرنا في الظلام.

فما كان أمره إلينا إلا أمر الله بنا، وما كان أمر الله بنا إلا عين أمره إلينا. فما اجتمعنا عليه حيننا، وما أنكرنا عليه حيننا.

كان أمانة الله.. وما زال، وعلى ما كان قبل أن يكون بيننا. كان أمانة الحياة، لطالبي الحياة، بقاء الحياة، بعارية الحياة. كان الحق من الله ما كان لله خلق، وما ظهر للخلق حق، رسول الله في الله لخلق الله من الله.

كان الحق المعروف لكل عارف، وكان الحق الموصوف من كل واصف، وكان الأمر بالمعروف لكل آمر بالمعروف، ولكل هاد إلى المعرفة بالمعروف بمعروف. فما كان العارف والمعروف غيره.. كان الإنسان.. كان إنسان الله.. كان إنسان الوجود، كان إنسان الحياة، قدوة بها للعالمين.

كان الناهي عن المنكر على ما كان من الأمر بالمعروف، في التعريف بالمعروف، والكشف عنه للمؤمنين في أنفسهم.. كان الناهي عن المنكر، لكل من نهى عن منكر، وما كان المنكر عنده وعند المؤمنين بالمعروف لهم معهم فيهم إلا في الغفلة عنه والتجاهل له في أنفسهم، وفي معيبتهم.

(الزم الإمام) ١.. {ندعوا كل أناس بإمامهم} ٢، من لا إمام له لا رب له.. إن {ربي الله} ٣.. إن ربي المعروف لي وجهها لله هو الله عندي، هو المجهول على من الغيب لم يصبح غيباً. إن الذين يؤمنون بالغيب لا يكمل لهم إيمان إلا إذا صدقوا أنه يجب أن يعرفوا الغيب في الشهادة، أينما تولوا فثم وجه الله.

{واذكر ربك في نفسك} ٤، واعرف الله بربك، تعرفه أقرب إليك من حبل الوريد حقاً، وذلك يوم تشهد ربك في نفسك يحبك، ولن تشهده كذلك إلا يوم تعرف ربك في نفسك، بإيمانك وصدقك يوم تقول إن {ربي الله} ٥. إني عبد الله عرفت ربي في نفسي، لا يفرق أناي بيني وبينه، ولا يقوم معني إلا عينه. أنا المسيح للمسيح.. أنا المليح للمليح.. أنا محمد لمحمد.. أنا الروح للروح.. أنا اسم الله لاسم الله.

رُحْ يا أنا يا فاسد التركيب.. يا من تحول بيني وبين حبيبي ٦.

إن الله، للعبد، كما هو للرب تماماً، هو لهما ومن ورائهما بإحاطته. (إن الرب، يبحث عن عبده، كما يبحث العبد عن ربه) ٧. {أولم يروا أنا نأتي الأرض، ننقصها من أطرافها} ٨. وما أطرافها إلا نباتها من الأحياء. {أنبئكم من الأرض نباتاً} ٩. وما نباتها إلا هشيمها تذروه الرياح.. تحملها الرياح.. رياح الله.. لطيف الله.. روح الله.. نور الله، يوم تتخلى النفوس عن قُصصها بلباسها، من أمر هياكلها وأجهزتها، إلى أمرها أرواحاً طليقة، وعقولا عتيقة...

فيها لمعانيها، وفيها لأوانيا تواجدت، وبالحق وجدت، وجوها لله، تشهد وجوها لله. {إن إبراهيم كان أمة، قانتا لله حنيفا} ١٠ أحدا من آحاد الله، يؤذن في الناس بالحج، فيأتوه رجالا راشدين، ونفوسا ضامرين، قادتهم ضمائرهم لأحدهم، هو لهم يوم الجمعة والدين.

ينخرهم يوم يصيرهم، ويحييهم يوم يصيرونه، فيصيرون طيرا ينشدهم وينشدونه، يدعوهم إليه فيلبونه، يقبعون في أنفسهم وفي أنفسهم يلاقونه، يطيطون بأجنحتهم، ويشرقون بأنوارهم، ويسبحون بأرواحهم، ويتطورون بأشباحهم، ويتخلقون بإرادتهم لعقولهم، بإمكانياتهم لنفوسهم...

وجوها لله يشهدون وجها لله، دعاهم فأحياهم، وبدعوتهم ملين، أخرجهم من العدم، ومن ظلام أنفسهم، ومن قبور هياكلهم، وبالحياة بالحب تولاهم، فكان لهم وجه الحياة، ولطيف الحياة، ونور الحياة، وروح الحياة، وماء الحياة، وجنة الحياة، وفردوس الحياة، وفردوس الحياة.

{ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل} ١١. ها أنا بينكم، دعوة أبي إبراهيم، {وابعث فيهم رسولا منهم، يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم} ١٢، {بعثت بالحق معلما} ١٣، {من رآني فقد رآني حقا} ١٤، فما كان الحق للمتعلم إلا معلمه، وما كان الحق للولد إلا والده، وما كان الحق للمأمور إلا أمره، وما كان الحق للمملوك إلا مالكه، وما كان الحق للطائع إلا ملكه.

ما أمر أمر بالمعروف في الله، إلا لخير المأمور فيه، فما كان الخير عند الأمر بالمعروف للأمر بالمعروف عند نفسه أمرا يخص نفسه يوم ياتر مؤتمرا بالمعروف معه. ولكن الخير من المعروف وهو الله للمأمور بالمعروف في الأمر بالمعروف، إنما هو في نفسه، يوم يستجيب لأمره، ويلبي لداعيه، فيخرج من جاهليته، ويدخل في إسلامه برشاده.

المرء على دين خليله، فلينظر أيكم من يخال، وكيف ينظر من لا يوجد له ما ينظر فيه؟ كيف ينظر من لم يخال؟ (المؤمن مرآة المؤمن) ١٥.. وكيف يعرف المؤمن الإيمان ولا مرآة له من مؤمن في مخاللة ليرى إيمانه؟

المؤمن.. لمعنى الله، مطلق لا يدرك ولا يحاط.. والمؤمن، لحق رسول الله الذي اختار جوار الرفيق الأعلى، ما عرفه غير ربه، معروف لدوام ذاته لروحه، بآثاره، بكوثره، فهو لا يحاط به ولا يدرك بنخبه، والمؤمن الداعي إلى الله على بصيرة، عين دعوة رسوله، القائم أمرا لله، عين قيام رسوله، إنما هو أمر الله، تكفل الله به بيننا لنا، لا ينقطع عنا ولا نعرفه يوم نلقاه إلا في أنفسنا {إن شانتك هو الأبت} ١٦.

إنا أعطيناك الكوثر، إن شئتُك هو الأبر، أنزلنا معك نورا ليقى، وأنزلنا معك كتابا ليقرا، وأنزلنا معك حكمة لتبين للناس، وأنزلنا معك سلطانا ليعمل.

فلا أنت فان بنورك، ولا بينيانك.. ولا أنت فان بموجودك ولا بعنوانك.. بالحق كنت، وكيف يفنى الحق! وبالحق أنزلناك، فكيف يتلاشى الحق! وكيف يغيب الحق! وكيف يُجهل الحق والله بالغ بك أمره! وقد كشف بك ستره، وأعلن بك سره، وعلم بك قربه، وأشهر بك سعيه، وفتح بك أبواب موجوده، وميازيب جوده، وشامل وجوده.

جعل بك وبالمؤمنين معك، وجوه موجوده، في الله مقصوده، كل ما في الوجود، ما عدا وجهه لمعانيك وللبانيك، يفنى، وأنت بحقك وكوثر الذي تبقى، فيرث الله الأرض ومن عليها يوم يرثها الصالحون من عباده، فيخلفون عليها الطغاة والجهلة {يوم تبدل الأرض غير الأرض} ١٧.

يُمحي كل نسب إلا نسبك، وكل شرف إلا شرفك، وكل قيام إلا قيامك، وكل وجود إلا وجودك. {قل جاء الحق} ١٨، وهكذا في دوام يجيء، إن أول بيت بك وضع للناس، وليس آخر بيت منك هو لنا منا، يوضع للناس.

علمناك، وهديناك، يوم أنا بالحق أنزلناك، ورسولا من أنفسهم بعثناك، وهكذا أنت بهذا خلقناك، فكنت لنا خلقا، وكنت بحقك لنا حقا، فهكذا أنت بالحق تنزل، كلما أعليناك، وكلما من متابعك خلصناك، وكلما بجديد أتممناك، وكلما بحق بعثناك، وكلما بوليد أبديناك، وكلما بأب راعيناك، وعلى آب جمعناك، وبالأبوة للناس وصفناك، وآبا إليهم بالحق بعثناك.

كنت الهدي والهادي والمهدي والهدى.. كنت العلم والعالم والمعلم والمتعلم.. كنت حقائق الإنسان من أمشاج نبتليه، فنجعله سميعا بصيرا.. كنت حق الإنسان وحقيقته.. كنت شرف الإنسان وطلعته.. كنت قرب الإنسان وخلقته.. كنت عالي الإنسان وقدسيته.. كنت غيب الإنسان ورحمته.. كنت بنا للكافة لنا.

لأنفسنا خلقناهم، ولتحقيق مرادنا لهم ابتليناهم واختبرناهم، وما في يوم حاسبناهم، وما في حياة تركناهم، ففي كل حياة رعيناهم، وبالخير واليناهم، ومن شقاء أنفسهم في القطيعة خلصناهم، وبكرات الحياة أمتعناهم، وبالسكينة فيك غمرناهم، وبالرحمة منك أحييناهم، وبالعلم لك واليناهم فعلناهم، فن الجاهلية أخرجناهم، وإلى الإسلام نسبناهم.

هكذا هو الناموس، ما أصابكم من حسنة فمن الله، وما أصابكم من سيئة فمن أنفسكم. هديناكم السبيل شاكرين وكافرين، قل كل من عند الله، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة

الله} ١٩. لا تقنطوا من رحمته يوم يكشف لكم أنكم قد كفرتم فقد هداكم إلى كفركم، ولم يخذعكم في أمركم، ولا تطغى أنفسكم بنعمة الله يوم يكشف لكم أنكم للحق بكم قد عرفتم.

إن الإيمان يزيد وينقص وهو أصل الإنسان، ولا تزل القدم إلا في دار الإيمان، ولا يتحقق الطلب إلا في دار النكران، لو عرفتم أمركم على ما أنتم، لشكرتم على أنكم وجدتم، ولو أدركتم أنكم وجدتم، وأنكم بالله لكم طولبتم أن لا تفقدوه، لخشيتم عليه مع أنفسكم، أن يذهب عنكم، فتذهب عنكم الحياة.

إن شعوركم الغريزي بكراهية الموت، إنما هو شعور صحيح، لأنكم تشهدون، وتقدرّون، أن في الموت مفارقة الحياة، وأنتم بغريزة الحياة، تحبون الحياة، وتحصون على الحياة.. أنتم بغريزة الحق، تحبون الحق وتحصون على الحق، أنتم بغريزة الله لكم أمانة وجودكم، تحبون الله، وتحصون على الله.

(لو علم عبي ما أعددت له عندي، لقال بين كل لحظة ونفس، ربي أمتني، ربي أمتني) ٢٠، ولكن لو أماته عنه إلى الحياة، قبل غيبة الموت، فعرفه بالحق لأنكر على طلب الموت، وعلى طلب الحياة.

ولشغله أن يتسع بحياته، وأن ينتشر بآياته، وأن يتجدد بكوثره، وأن يظهر بمخبره، وأن يحقق الباطل بجوهره، وأن يغير الظلام بمصباحه، وأن يشرق في القلوب بروحه لأرواحه، وبشبهه لأشباهه، وبوجهه لوجوهه، وبحوضه لأحواضه، وبنهره لأنهاره، وببحره لبحاره، فعل الرحمن، وحضرة الإحسان.

انظر هل ترى في خلق الرحمن من تفاوت، وما كان خلق الرحمن لأطوار الإنسان خلقا من بعد خلق إلا فعل رسول رحمته بسر رحمته، يوم يرحم، يوم يتولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، يوم يحو باطل موجودهم من الأرض، إلى حقه من الروح، يوم يشعل جذوة نفوسهم، من جذوة نفسه، يوم يشرق بمصباح قلوبهم في مشكاة صدورهم يوقده، من شجرته زيتونة، مباركة، لا شرقية ولا غربية.

مزوية له الأرض سماء دنيا، مشرقة به بنور ربها، به ولدت الأمة سيدها، مزوية له بشمالها وجنوبها، بشرقها وغربها، مسجدا وطهورا، قدّس ترابها تبرا، وجعل خبثا عطرا، طهرها، وجوهرها، بناها، وأعلاها، وأحياها، فأخرج منها ماءها ومرعاها، سر حياتها، وحياة سمواتها، أحد الحياة لوجودها، وجوهر الحياة لمعبودها.

بعث حقا وعبدا لمعبوده، وربا لكل عابد لموجده بموجوده وجه رب العباد، ورجل الرشاد، وجه الله، وساحة الله، قيوم العباد وقائم العباد بالله، أزواجا خلقه وأزواجا حققه.

لطيف الله بنوره، وتجلي الذات بذاته، وجه الأعلى لوجه الأعلى، ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى ذات الروح الأعظم للمطلق اللانهائي، إلى الذات الأقدس حتى إلى ذات الوجود السرمدي، بدءا من

ذاته لشهودك، ما شهدت حقها إلا بعينها لوجودك. (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر) ٢١. (أخذ الله قبضة من نوره وقال لها كوني محمدا فكانت ومنها خلق أرواح النبيين والشهداء وخلق الخلق) ٢٢.

يقوم ويتقلب في الساجدين بنور الله، أنزل معه، لا يشهد إلا لمن كان هو.. وعين هو.. وعبد هو، فعرفه وجه ربه من الهو لمعبوده، عرف أن المعبود من الله، يظهر بعباده، لمعنى الرب، لمن يرى نفسه لعابد عبداً، والله وجوداً، وبالله موجوداً.

إن قيام الرسول بين معنى اسم الله، وكلمة الله، وروح الله، وبين طالبي الله بمعناه عروة وثقى مهداة، أمر ضروري، تستقيم به العقيدة في الله، وتستقيم به العقيدة في النفس، وتستقيم به العقيدة في الإمام. تعرف به من أنت في غفلتك، وتعرف به من أنت في يقظتك، الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم غافلاً، والرحمن أقرب إليه من حبل الوريد، لله ذاكر، ومن الله مذكور، يوم يعرف قديم ذكر الله، يحدث ذكر الله مستقيماً في عقيدته في رسول الله.

وما كان محدث ذكر الله إلا كوثر رسول الله، بظلاله من المؤمنين بالله ورسوله، لأهل السماوات والأرض. وما كان قديم ذكر الله، إلا رسول الله بحقه، هادي الله إلى الله، ومعلمها من الله عن الله، نبياً من الله عن الله لخلق الله، وإماماً من الله إلى الله، في وحدانية الله، يوم يوحد الناس الله، بلا إله إلا الله، ويوم يُقدّر الناس لا إله إلا الله، بالله أكبر، وبالله أكبر، في الله ذي المعارج لمطلق الله للانهائي الله.

هذا هو دين الفطرة، في أزل تواجد، وفي أبد يتجدد، وفي سرمد لا يحتجب. سعيد من كشف عنه غطاؤه، وشقي من تواصل به في الله بلاؤه.

فما كانت هناك جنة، إلا في كشف الغطاء، يوم يزحزح المرء عن داره من النار بدنياه، ويقذف به إلى الجنة روحاً بمعناه لأخراه، داراً عرضها السماوات ولم تخرج منها الأرض، {عرضها السماوات والأرض} ٢٣... {قطوفها دانية} ٢٤، في دار تواجدكم بالأشباح، وفي سبحكم بالأرواح، فالمؤمنون من جنة إلى جنة، وجنى الجنتين دان. كيف لا، {ولمن خاف مقام ربه جنتان} ٢٥.

والنار.. إنما هي في بقاء الغطاء، ومواصلة الاختبار والابتلاء، إنما هي في القلق.. إنما هي في القطيعة.. إنما هي في الجهل.. إنما هي في الجاهلية، وإن نعم بها الجاهل. {إن عذابها كان غراماً} ٢٦.

(ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الضلالة ينعم) ٢٧. إن العمل في الله.. إن المشقة في الله.. إن المجاهدة في الله.. إن السعي في الله، تمتع لآتيه، لا يدرك مُتَعَتُهُ إلا من قام فيه، وجوه {عاملة ناصبة} ٢٨. {لسعيها راضية} ٢٩. (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ٣٠. {يا ليت قومي

يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}٣١.. {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى}٣٢.

عرفه وقد تواجد بالحق حقاً بعث، فأراد للناس ما تحقق لنفسه من أحسن تقويم، فحقق له الأعلى رغبته، فبالحق نزل وبالحق أنزله.. اذهب إلى قومك، وخذ كتابك بيمينك، واقراه فيهم على مكث لتبين لهم.

وما كان الكتاب إلا أنت.. وما كان الحق إلا بك.. وما كان نور السماوات والأرض، إلا قبضة نورنا، جعلناها لك، وقلنا لها كونه فكانت، وأطيعه فأطاعتك.

ملائكة أشهدناها، وأربابا ظهرتك، عرفتك حقاً، فنفسها لك باعتك، ونفسك بها تبعتك، فقمتم وقامتك.

اختفى من ورائها، سماءً ظهرته، واختفت من ورائه، حقاً أبرزته وأشهدته، فروحا قامته، وذاتا عرفته، فللذوات أنزلها، فكانت كوثر ذاته يوم برزته، وعنه أعلمته، فكانت عترته، وصفو كتابه، بصيرتها علمته، وحكمتها نطقته، وللمطلق من خلقه والته، وبمطلقه أعلمته، وللناس بشرته، ومعهم بالرحمة تبادلت.

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم.. (ما صحبتك لتكون أنت أنت، وأنا أنا، ولكن صحبتك لتكون أنت أنا، وأنا أنت)٣٣.

تخلقوا بأخلاق الله، وقد تخلق بها بينكم، على ما عرفتم فعرفتم، فاعرفوه على ما به شرف وبه شرفتم، وعليكم بالحق طلع فبالحق على الناس طلعت، وإليكم بالحق سعى، فإلى الناس بالحق سعيتم، وبالحق بينكم تواجد ولكم بالحق أوجد فبالحق تواجدتم وأوجدتم.

(والذي بعثني بالحق) ٣٤، غير الحق ما عرفت، وغير الحق ما ذكرت، وعلى غير الحق أنكرت، يوم لاقيت أو شهدت. ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وبه أمرت، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وعنه نهيت.

الخير فيّ وفي أمّتي، إلى أن أعود إليكم بجديد، أول من تنشق عنه الأرض أنا مجدداً قيامتي، فما أنا إلا قيامة الحق يوم أقوم، وما أنا إلا وجه الحق يوم أشهد، بعثت والساعة صنوان، وما أنا لكم ولعينكم إلا عبد الله لمعناي ومعناكم، شرف وجودي وشرف وجودكم، طلعة شهودي لطلعة شهودكم، يوم أتكاثر بكم فتكونوا كوثر، ويوم أعلم بكم فتكونوا مخبري، بعثت بالحق وساعة الحق بي تهتكم، هي من حاضري لقادمي كهاتين لهذين الأصبعين.

لا إله إلا الله، والله أكبر شعاري، في ليلي ونهاري، فاذكروا الله كثيرا، واعرفوا الله على ما عرفته، تشرفون على ما شرفته، يوم تدخلون في حصن لا إله إلا الله، أنا لكم بها شعار، وأنا بها لكم ليل سكينتكم، والنهار يوم يشرق نور الله منزلا معي في قلوبكم. فلا تباعدوا بيني وبينكم، وأنا لا أسألكم عليه أجرا، إلا المودة في القربى، ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنى.

لَمْ تجعلون من حوضي أمرا مفرطاً فيه منكم؟ (أنا فرطكم على الحوض يؤتى بأقوام أعرفهم ويعرفوني ويؤخذ بهم دوني، فأقول أمتي أمتي، فيقال لي ما تدري يا محمد ما فعلوا بعدك، فأقول ما فعلوا بعدي، فيقال لي أحدثوا بعدك، فأقول أنا بريء ممن أحدث بعدي)^{٣٥}. هكذا كان.. وهكذا هو كائن.. وهكذا سيكون.

اتقوا الله يعلمكم الله، واطلبوا الله يحبكم الله، هكذا فعلت فلنفسى كشفت، ولمعناي أدركت، ولربى في نفسى لاقيت، فالله عرفت، ووجهه شهدت، وله آمنت، وبه قتت وآمنت، فله ذكرت، وعنه عرفت. وهكذا في قديم فعلت، وبقائم لقادم لنفسى جددت وهيات. (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^{٣٦}. {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}^{٣٧}، أخفيت الإجابة في الدعاء، كما أخفيت الولي في الخلق، فكيف ندعو معدوما ليس له بيننا وجود! فإذا وجدنا من ندعو، وعرفنا كيف ندعو، فهل نفقد الحبيب، وقد وعد أن يحيب، وهو القادر على الإجابة؟

كيف ندخل على الله، ولا خبير به بيننا، ولا مُعلم فيه لنا، ولا إمام منه لسيرنا، ولا نبي بحقه لإخبارنا، ولا حكيم له لتوجيهنا، ولا رجلا رشيدا لجمعنا! هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}^{٣٨}. فأين موضع الخبير في فقهننا، وموضع الخبير في مجتمعا، وموضع الخبير في عقائدنا؟

{قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني}^{٣٩}، أين هو موضع البصير بيننا؟ ومن هو البصير لنا؟ أين هو؟ كيف هو؟ متى هو؟ ما هو؟ هل هو من به الله مبتلينا، أو رادا إلينا أعمالنا بمعانينا؟ من هو البصير بصيرة رسول الله؟

يقولون إنه انتهى.. انتهى الله.. انتهت رحمة الله.. انتهت النبوة عن الله.. انتهت الإمامة إلى الله.. انتهى المعلوم.. انتهى الحكماء.. انتهى الأولياء.. انتهى الرضوان.. انتهى الرحمن.. انتهى الرحيم.. غاب العليم.. فقد الكريم.. ساد اللئيم.. حكم الذميم.

انطبع الكون بالبلاء والابتلاء، ونكب الناس في إيمانهم، في حقائقهم، في قلوبهم، في عقولهم، في نفوسهم، ومسحوا على مكانتهم، فإذا هم مبلسون إلا من رحم وقليل ما هم. {ولو يؤاخذ الله الناس

بظلمهم ما ترك عليها من دابة}٤٠. وما أمر الله إليكم في عصركم هذا إلا عالم الروح يدانيكم ويواليكم، فماذا أنتم له ليلاقيكم، وقد أنكرتم على قائم الخير فيكم؟

(الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)٤١. هكذا يقول الصادق، فهل صدق عندكم؟ وهل صدّقناه نحن الذين نردد اسمه صباح مساء؟ (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)٤٢. هكذا يقول من وصفناه بالصادق، ووصفنا قوله بالصدق، فهل هو عندنا صدق؟ وهل قال صدقا؟ وهل صدّقناه فعلا؟

إنه {خاتم النبيين}٤٣، نعم هو خاتم النبيين، نعم هو طابع النبيين، نعم هو كوثر النبيين، نعم هو جماع النبيين، نعم هو وجه النبوة في كل دين، نعم هو علم اليقين، نعم هو تواجد المحسنين في كل وقت وحين، هو الحكماء، هو العلماء، هو الأولياء، هو الأنبياء، هو الأتقياء، هو العارفون، هو المعروف دائما يوم تعرفون، وهو الشريف دائما يوم تشرفون، وهو الكريم يوم تكرمون، وهو الرحمة يوم ترحمون، وهو العلم يوم تعلمون، وهو الإسلام يوم له لا غيره تُسلمون وتُسلمون، إنه أمة أفرادها أمم، إنه آدم أبناؤه أوادم.

{يؤمنون عليك أن أسلموها}٤٤، فلمن يكون الإسلام؟ لا يكون لغيره. إن الإسلام له، هو الإسلام لربه. كيف تقول أسلمت لرب العالمين ولا رب لك، ولا رسول له عندك، ولا نبي لك فيه، ولا إمام لك إليه!

{خاتم النبيين}٤٥. نعم خاتم النبيين، وطابع النبيين، وليس ختام النبيين، هناك فرق بين السماء والأرض، بين تعبيره بخاتم، وقوله أو تعبیره بختام. فما كان ختام النبيين، ولكن كان خاتم النبيين. (علماء أمتي كأنباء بني إسرائيل)٤٦. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)٤٧.

فقد كان أولية لأول بيت لله يوضع للناس، ولم يكن آخر بيوت توضع للناس، لقد فتح للناس ما أغلق عليهم من قبله، وحمل إليهم تسوية الله لهم بعضهم ببعض، يفرقون بينهم بين نبيين ولا نبيين، فجاء محمد بالإسلام، وقال إن النبيين وغير النبيين، إنما هم عباد لله لا فرق بينهم.

عبد اليوم، نبي الغد، ونبي اليوم عبد الغد، من كان مني كنت منه، من قبلني نبيا له، قبلته نبيا لي، من قبلني سيّدا له، قبلته سيّدا لي، فإني لا أستعلي بالله على الله، والكل له، والكل وجهه، وهو القائم على كل نفس ومن ورائها بإحاطته، (اللهم إني أعوذ بك منك)٤٨.

إني لأرد الكل إلى الله، لقد عرفت أن خلق الرحمن لا تفاوت فيه، صغير اليوم كبير الغد، وكبير اليوم صغير الغد، لا يدخل الجنة عجوز ما لم يجدد مولده، لا يدخل ملكوت السماوات إلا من ولد مرتين، مولد من مولد، وذكر من ذكر، وجديد من قديم، وقديم يبعث من جديده من خلاله يتواجد بحق {وخلقناكم أزواجاً} ٤٩، فما عرف الذكر القديم إلا الذكر المحدث (وما كانت صلاتي إلا لي) ٥٠، كما يقول العارف.

إنها دورة الحياة.. إنها الحياة.. إنها الله.. إنها فطرة الله.. إنها صبغة الله، هكذا هو الله، فهل أنتم مكيفوه على ما أنشأتموه؟! وهل أنتم منشئوه؟ ما كان الرسول لكم بينكم إلا أول العابدين، لمن يريد أن يكون عبداً وأول عابدين.

هذه هي صبغة الله، فهل أنتم خالقوه؟ إنها فطرة الله، فهل أنتم تطوروه؟ إنكم لكم في أنفسكم به تتواجدونه، وتخلقونه يوم تطوركم فتتطورونه لأنفسكم، بحقه لمعانيكم، كلمات الله وحقائقه. تتطورونه، وتعلمونه وتجددونه، وتؤزلونه، وتؤبدونه، بأمانته لكم يوم تعرفونه، وجوها له وأسماء له وعوالم له تقومونه، تشهدونه، وتشهدونه.

لا تحيطون بشيء من علمه عنكم، وهو علمه عنه، إلا بما شاء أن يعلمكم عنكم، فيعلمكم عنه. فما علمتم عنه، إلا بقدر علمكم عنكم، وهو لكم في هدي لا يتناهى، وفي عطاء لا ينقطع، وفي نعمة لا تمتنع عليكم، عطاءً غير مجذوذ، حقاً غير منقوص، إليها غير مبتور، بلا إله إلا الله، والله أكبر، بقائكم محمداً رسول الله، يوم تشهدوكم محمداً رسول الله، إيماناً بالحق به، حقاً لكم، عروة وثقى بينكم وبينه، بينكم وبين الغيب، بينكم لنهاية وبين المراد منكم من اللانهاية، ابتغوا إليه الوسيلة، وتابعوا إليه ما يبرز إليكم كلما أبرز دليله، في رحمة متصلة، وفي هدي دائم.

استغفروا الله كثيراً لعلمكم ترحمون، إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا.

نستغفرك وتوب إليك، ونرجع إليك، ونسألك أن تولي أمورنا خيارنا برحمتك، وأن لا تولي أمورنا شرارنا بعدلك، وأن تكون لنا برسول رحمتك، حكاما ومحكومين، أئمة ومؤتمين، هداة ومهتدين، غافلين ومعتقين، طائعين وعاصين، عائدين وشاردين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من الحديث الشريف: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجاَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَنِ، فالزَمَ جماعةَ المسلمينَ وإمامهم، فَإِنْ لم تَكُنْ جماعةً ولا إماماً فاعتزِلْ تلكَ الفرقَ كُلَّها، ولو أنْ تَعَصَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلكَ." أخرجه ابن ماجه بنحوه، البخاري، ومسلم مطولا.
- ٢ سورة الإسراء - ٧١
- ٣ سورة غافر - ٢٨
- ٤ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ٥ سورة غافر - ٢٨
- ٦ من قصيدة للشاعر عبد الغني النابلسي، من العصر العثماني: رح يا أنا يا فاسد التركيب.. يا حائلاً بيني وبين حبيبي. يا غيمة سترت ضياء الشمس.. عن عين الشهود وأبعدت تقريبي
- ٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٨ سورة الرعد - ٤١.
- ٩ سورة نوح - ١٧
- ١٠ سورة النحل - ١٢٠
- ١١ سورة الحج - ٧٨
- ١٢ سورة البقرة - ١٢٩
- ١٣ حديث شريف: "إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً." أخرجه مسلم وأحمد والنسائي
- ١٤ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ١٥ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه." أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ١٦ سورة الكوثر - ٣
- ١٧ سورة إبراهيم - ٤٨
- ١٨ سورة سبأ - ٤٩
- ١٩ سورة الزمر - ٥٣
- ٢٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢١ من حديث شريف: "عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير." رياض الجنان: مخطوط. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

- ٢٢ حديث قدسي متداول في الكتب الصوفية: " لما أردت أن أخلق الخلق قبضت قبضة من نوري، فقلت لها: كوني محمداً، ثم خلقت من نور محمد كل الأشياء." ولكن يوصف في معظم كتب الحديث بأنه موضوع. الحديث له سند في موسوعة الإمام علي بالمكتبة الشيعية بصياغات متعددة منها، من حديث شريف: "عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير." رياض الجنان: مخطوط.
- ٢٣ سورة آل عمران - ١٣٣
- ٢٤ سورة الحاقة - ٢٣
- ٢٥ سورة الرحمن - ٤٦
- ٢٦ سورة الفرقان - ٦٥
- ٢٧ بيت شعر لأبي الطيب المتنبي.
- ٢٨ سورة الغاشية - ٣
- ٢٩ سورة الغاشية - ٩
- ٣٠ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضاً: " والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير." أخرجه النسائي ومسلم.
- ٣١ سورة يس - ٢٦-٢٧
- ٣٢ سورة طه - ٣:٢
- ٣٣ عن الشيخ المرسى أبي العباس: قال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت.
- ٣٤ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ٣٥ إشارة للحديث الشريف: "أنا فرطكم على الحوض فن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي." أخرجه مسلم، والبخاري في صحيحه.
- ٣٦ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٣٧ سورة البقرة - ١٨٦
- ٣٨ سورة الفرقان - ٥٩
- ٣٩ سورة يوسف - ١٠٨
- ٤٠ سورة النحل - ٦١
- ٤١ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

- ٤٢ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيوت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٤٣ سورة الأحزاب - ٤٠
- ٤٤ سورة الحجرات - ١٧
- ٤٥ سورة الأحزاب - ٤٠
- ٤٦ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٤٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٤٨ من دعاء للرسول صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمَعْفَاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ". صحيح مسلم.
- ٤٩ سورة النبأ - ٨
- ٥٠ مقولة صوفية لم نستدل على قائلها، ولكن يمكن فهم المعنى من السياق.

(١٣)

المسلمون

يعلنون ما يشهدون بلا إله إلا الله
ويعرفون ما يقومون بحمد رسول الله
أمة متجددة، بالحق رائدة، وإلى الله قائدة، لا زوال لها
بين قديم الأمم بها تقوم، وقادم الأمم بها يقوم

حديث الجمعة

١٩ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ - ٨ يوليو ١٩٦٦ م

بسم الله

وبسم رسول الله

نتوجه بالحمد إلى الله

نحمده ونشكره على ما إليه هداانا، وبه تولانا، فأكرمنا وأكرم مثوانا، برسول الله.. بروح الله.. بأمر الله..
باسم الله.. بوجه الله.. بقدس الله.. بحكمة الله.. بعزة الله.. برحمة الله.. فوجوها له أبقانا، وكلمات منه
أحيانا.

فأدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وأقامنا به محمدا رسول الله، فشهدنا بأنفسنا لأنفسنا أنه لا إله إلا الله،
وقنا بأنفسنا لأنفسنا محمد رسول الله، عند أنفسنا، وعند من كان منا ونفسا لنا.. فآمن بالله ورسوله
معنا على إيماننا، وقبل لنفسه الله ورسوله، على ما قبلنا، فأُحيى عنه إليهما، مستشهدا في جهاده الأكبر،
خارجا من دار ابتلائه إلى دار جزائه ورضائه، على ما إليهما أُحيينا، وفيهما مُسحنا، وبهما قنا، وبهما
أقنا، وبهما تواجدنا، وبهما أوجدنا، وإليهما طلبنا لهما، من أنفسنا خرجنا، فأعلنا ما شهدنا، لا إله إلا

الله، وعرفنا ما قننا، محمدا رسول الله، أمة وسطا بين قديم الأمم لا بدء لها وقادم الأمم لا انقضاء لها، أمة بالحق قائمة لا زوال لها وبالحق قائمة لا انهزام لها.

في مثل هذه الأيام من كل عام، يحتفل فريق من البشرية، بما يسمونه مولد رسول الله، على الصورة التي يرتضونها، لعقولهم، ويستريحون إليها لنفوسهم، أمرا بعيدا عن أرواحهم، أمرا بعيدا عن نور الله بهم، من نور الله به، أبرزه بينهم، رسولا من أنفسهم، على مثال من فعله بهم في إبرازهم من سبتهم، جديد قديم لذكره، ليكونوا على ما كان من أمر الإنسان في أحسن تقويم.

قدمه لهم، وأقامه بينهم، وأشهدهم لهم إنسان ارتضاه.. إنسان ولائه.. إنسان خلقه.. إنسان عطائه.. إنسان بلائه.. وإنسان نعمائه.. كافة للناس جعله قدوة وأسوة.

جعله لهم، ليكونوا هم له على ما كان هو له به قدوة لهم، لا فرق بينه وبينهم، إلا.. أن الله حقق له، ما به لهم مؤمنين به على ما آمن هو بربه وعدهم.

فهو بينهم مآل حالهم لمآلهم، ونهاية أحوالهم، يوم يكونوا لله عبادا، يجاهدون في الله أنفسهم، ويقومون بالله لهم مؤمنين به معيتهم جوارحهم، وقوالهم، ويتعرضون لنفحات الله بينهم بكوثر رسول الله، دائم رسالته، وقائم رحمته، ومقوم أمرهم، بقائم أمره، أمرا لربه، قائم أمر الله إليهم بينهم من أنفسهم.

ولو أحسنا الاحتفال بمولد رسول الله، لاحتفلنا به في موالدنا نحن مولدا له، وفي يقظتنا نحن جديد مولد له منا لنا فينا، بيقظة قلوبنا، وتحرر عقولنا، وانطلاق أرواحنا، وكشف أغظيتنا، وانقلاب قوالنا إلى بيوت الله، من قائمها بماديها، لمادي ما حولها، من دنياها، انقلبا إلى جديد دنياها، لأخرى دنياها، عطاء غير مجذوذ، في الله ذي المعارج، لا توقف لفضله، ولا انقطاع لرحمته، ولا استيفاء لعلمه.

نطلب العلم من المهد إلى اللحد.. نطلب العلم في أنفسنا.. ونطلب العلم فيمن حولنا، وفيما حولنا، وبعيدا عنا.. نطلب العلم ولو في الصين، نشهد الحكمة من كل ناطق بها، ونطلب القدوة مع كل قائم بها.

نعرف لله المثل الأعلى في السماوات والأرض بذوات نلاقها، وبأرواح نستويها، ننشد فيها وجهه، ونتلاقى معا فينا، استقبال أمره، وكشف سره، واستجابة دعوته بجهره ووحيه.

{فأيما تولوا فثم وجه الله}.. لم لا تجيبون الرسول إلى ما يحييكم سبيله، بقائه بينكم، وبكوثره فيكم، من أهل البصيرة عين بصيرته، علماء أمتة كأنبيا بني إسرائيل، وحكماء ملته عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا!

لَمْ تَنْشُدُون وجه الله دوماً في أهل السلطان! وما وعدتم في أن يكون وجه الله في أهل السلطان، ولكن وعدكم أن يكون وجه الله فيمن يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، حتى يتيسر لكم الانتفاع بلقاء وجهه، ولا تحول عزة السلطان بينكم وبينه.

نعم (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)^٢، ولكن الله لا يهدي بالسلطان، ولكن الله يقيم عدله بالسلطان، ويؤمن به حرية طريق الرحمن، يقيم عدله بالسلطان، يوم يكون صاحب السلطان تابعا لعباد الرحمن، لا متبوعا بعله السلطان، ولا بظاهر السلطان، ولا بقائم السلطان على الأبدان. فإن كان كذلك كان صاحب السلطان فتنة لأمة الرحمن. (كيفما تكونوا يول عليكم)^٣.

(مروا أبا بكر، فليصل بالناس)^٤، فهو من أهل السلطان، بسلطان ظاهر مستقيم نفساً على نفوس، يتابع به عباد الرحمن، في قيامهم القويم، قلوباً على قلوب، بعزة العزيز الحكيم، فيا عباد الرحمن، يا أهل بيتي.. يا أهل بيت الله.. يا وجوه الله.. يا عترتي.. يا كتاب الله.. يا رحمتي.. يا سفن الله.. يا أمري.. يا أمر الله.. (مروا أبا بكر فليصل بالناس).

هذا خطاب لم يوجه للناس.. لم يوجه للكافة.. لم يوجه للمأمورين بالاستقامة، ولكنه خطاب موجه من الأمر بالله، لمن حلوا محله ليكونوا أمرين بالله.. إنه خطاب موجه من صاحب الأمر، لأصحاب الأمر.. خطاب موجه لمن يصلح ليكون أبو بكر محل أمره، ومحل الطاعة منه له.

فيقول أبو بكر: ارقبوا وجه الله في أهل بيته.. ارقبوا رسول الله في أهله، في ذريته، أنا له ولهم متابع، فيقول لعلي: (ليس مثلي من يطلب البيعة من مثلك)^٥.

ولكنها الفرقة بفاسق وقب، ولكنها الوحدة تزلزل زلزلاً شديداً، ولكنها الفتنة استشرت في إخواننا، فاعمل يا أخي على رتق أمة رسول الله، ولا نعمل أنا أو أنت على فتقها بيننا، فأنزل إلي رحمة بها ولا تلزمني ما لا أملك وما لا يملكون من الصعود إليك.

هذا ما كان من السلف، وقد خلفناهم بحكم الناموس، فوهنا العزة لأنفسنا، عزة الجاهلية، ولم نعرف أن العزة، إنما هي في الاستغناء عن الدنيا، والغناء بالله، والعمل للآخرة، والمجاهدة للنفس في الدين، وإعلاء كلمة الله بين الناس بإيقاظ القلوب وإحيائها بالقلوب اليقظة الحية بيننا...

مسلمين لرسول الله، إسلاماً لربه مع ظلاله معروفة لنا بيننا، موحدين لله، بالتعرض لنفحات الله مع كلمات الله منا بعثرة الرسول لنا، متحايين بيننا متواصين بالحق، حتى يوحد الله بين قلوبنا، حتى يؤلف الله بين قلوبنا، فندرك في تآلف قلوبنا ووحداتها، وحدانية الله وعظمتها...

أن نقوم لله مثني، بقلب وقلب نتراص، وفرادى بقلب وقلب نتحد، بنور عقل متوحد في اتحاد الغاية، في امتزاج البداية للخلق بالبداية للحق بالصلاة الوسطى والعروة الوثقى، بالتركيز على طلب النهاية لوصف الخلق.. الله بأمانة وجهه، وأمانة اسمه لنا غاية، والله لنا بمعيته للحق بداية، والله لنا لإيماننا قيام حق بلا نهاية، معنا أينما نكون، وأقرب إلينا من جبل الوريد أينما كنا.

بلا إله إلا الله نعمل ونسعى ونرضى ونغضب، ونتحاب ونخاصم، وفي لا إله إلا الله، نتواجد متآلفين، ونتلاقى متحابين، ونتوحد محكمين متواصين، لنا رب معروف نحن له العبد، نحن له بنفوسنا العباد المتحدة نفوسهم وقلوبهم إلى قائم عبد، وهو لنا لعقولنا بعقولنا الرسالة والرشاد، رسولا من أنفسنا عرفناه وفي أنفسنا لا قيناه.

وهو لنا، قيوم قائمنا لأرواحنا، هو أرواحنا لأشباحنا، أشباحنا عبده، وأرواحنا لربه ربنا، وعقولنا لحقه حقنا، وقيامنا لوجوده وجودنا، وفي انعكاسنا إلينا فينا به شهوده، يوم تكشف عنا أغظيتنا من ماديها، فعلمه لنا، ولمن حولنا، ولمن نحن إليهم، ولمن نحن منهم لا إله إلا الله، فنقومه ونستقيمه بعقائدنا، في قديم قيام وفي قائمه، وفي قادم برقاء لقيام هو غايتنا، يوم نقومه محمدا رسول الله، لقلوبنا وقوالبنا وعقولنا وأرواحنا وأشباحنا ومعانينا.

نذكر الله كثيرا فنجلو قلوبنا عن صدها، ونزرع فيها كلمة الله معروفة لنا، حتى تكون بيتا يذكر فيه اسم الله، فنقوم لله غرفة نجزاها، بعد ابتلاء، وبعد صبر، ثمرة عمل، وجزاء استقامة، وهدية اصطفاء {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا}،^٦ وإنها لبيوت بعوالم يذكر فيها اسم الله. (يتراءى أهل الغرف لأهل الجنة كما تراءى النجوم لأهل الأرض)^٧، لا من قوالب التراب تشاد، ولكن من حبات القلوب قوالب الناس، ألف الله بين قلوبهم، قلوب تحيا منطلقا من هياكل الناس، من أشباح الناس، {بيوت أذن الله، أن ترفع ويذكر فيها اسمه}،^٨ وما هي إلا {رجال، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}،^٩ لا بعيدا عن التجارة وعن البيع يقومون في قيام عاطل عليه يتابعون، ولكنهم يعطون الدنيا جوارحهم.. وأشباحهم للعمل المستقيم، ويعطون الله قلوبهم وأرواحهم للعمل القويم، (ذرة من عمل القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح)^{١٠}، يحكمون الدنيا بقلوبهم، ويقومون الآخرة بقوالبهم...

مصاييح الدنيا، وأوتاد الدين، والجبال الرواسي للأرض أن تميد بأهلها، ملائكة الأرضين، في ملكوت الله، مشعلو الشموس، أقباس نور الله لكل وجود في أحديته، دور الجنان عرضها السماوات والأرض بالإنسان، بيوت الله، نتسع لله، يذكر فيها اسمه، وينشد بها وفيها وجهه، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}..^{١١} (زويت لي الأرض)^{١٢}، وجعلت لي مسجدا وطهورا^{١٣}.

لم يجعل الله من الأرض، ملكا له، فملكه أوسع وأكبر. أليس هو إنسان الله؟ أليس هو حق الله؟ أليس هو عبد الله؟ أليس هو وجود الله؟ {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ^{١٤}، ولكنها فيه مزوية له.. وبينا لله دخله، واستظل بظل شجرة الله به، من مثال بيوت دخلها واستظل بظلها لأشجارها.

{وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا} ^{١٥}، فقال (الدنيا دار من لا دار له) ^{١٦}، أما أنا فصاحب الدور.. أنا صاحب القصور.. أنا مشيد المدن.. أنا مدائن العلم.. أنا أحواض ماء الحياة.. أنا حقائق الله.. (أعطيت جوامع الكلم) ^{١٧}، لا يحصى ما لله في ملكه وملكوته من كلمات أنا أحد جوامعها، عبد من عباد، أنا لا أحصيها، حتى ما كان منها لي ف (ما عرفني غير ربي) ^{١٨}، وحتى مقامي بينكم ما عرفني به بعد، ولكن عرفني لله عبدا ومنه حقا، قبس نوره للسموات والأرض، أمره وقد قبضه من بحار أنواره، أن يعرف خليفته في داره، فقال له كن محمدا فكانه.

خلق الله من قبضة نوره، عوالم من الملائكة من أهل النور، وقال لها اسجدي لآدم، اسجدي لمحمد لتكونيه، ويكونك، كوني محمدا وارتضيه، يكنك ويرتضيك، وهذا تمام نعمتي لك، وتمام نعمتي بك، فتخلقك من ذلك أرواح الأنبياء والشهداء، والصديقين، وخلق الخلق.

فكيف نحتفل بمولد محمد، في يوم من الأيام، أو في شهر من الشهور، أو في سنة من السنين، أو في قرن من القرون؟ اللهم إلا تقريبا للعقول وتوجيها للنفوس، وتذكيرا للأرواح.

أما مولد محمد في الحقيقة فإنه الوليد في كل مولود، وإنه الشاهد والمشهود في كل مشاهد، وفي كل مشهود، فهو حق الأرض زويت له، وهو حق أهلها، يوم تنشق أراضى قلوبهم عنه، ويوم تنطلق أرواح هياكلهم به، ويوم تتحدث أنوار أناجيلهم بعقله لعقولهم، مصباح معرفتهم ونور علمهم.

أنزل معه النور، ليكون الكتاب من الله نورا {النور الذي أنزل معه} ^{١٩}، {ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء} ^{٢٠} يوم {أوحينا إليك روحا من أمرنا} ^{٢١} لتكونه ويكونك وهذه فطرتنا وصبغتنا وناموسنا {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده} ^{٢٢}، فلست غيرها، وليست غيرك، {قاب قوسين أو أدنى} ^{٢٣}، {مثنى وفرادى} ^{٢٤}.

إن الرسول.. يتواجد بموالده، في موالد الأشباح، عبادا لله، كما يتواجد بموالده، في موالد الأرواح، حقائق لله.. إنه وليد الآباء والأمهات، أودم الناس، من تراب الأرض ثيابا له عليه أن يطهرها {قم فأنذر وثيابك فطهر} ^{٢٥}، وإنه وليد القلوب والعقول والأشباح، لموالد النور وموالد الحياة.

هو تواجد اسم الله، لحقائق الله، لمن يحققه الله، فالرسول لنا بداية، بقائم أنفسنا، والرسول لنا نهاية، بغايتنا من قائمنا طلبا للحياة، به نحيا، وفيه عزلتنا عنا تنقضي، فيه نتواجد يوم أنا لأنفسنا فيه ننسى ونتجاهل، وبه ننمو، وفيه نتزايد، يوم أننا به نتخلق، وبخلقه نقوم، في طلب الأعلى، مرضاة للانهائي.

عبادا وأربابا لمعانينا ومبائنا بأشباحنا لأرواحنا، مع معلمنا وسيدنا، سيادة ربه علينا، وسيادة الله ممنوحة به لنا، يوم نسود أنفسنا، ونملك زمام أمرنا، (المالك من ملك نفسه)^{٢٦}، والسلطان في دنيا الطغيان، من لا يعرف السلطان، حتى لا يستغرق في البهتان. (الدنيا جيفة وطلابها كلاب، قدرة قدر ما فيها عدا ذكر الله وما والاها)^{٢٧}.

فمن طلب الله وجده، ومن وجد الله عشقه، ومن عشق الله قتله، ومن قتله بالحق بعثه، وبالحق نشره، وبالله أقامه، فكان الله قيامه وسلامه، كان الله فعله وكلامه.. كان الله وجوده وأعلامه.

كان بيتا يذكر فيه اسم الله، يرفع وإليه يتصاعد الكلم الطيب، بعمله، بهديه، بإرشاده، بنسبه، بانتسابه.. كان الرسول لنا في كل ذلك قدوة، وكان فيمن قام فيه طلبا لذلك لنا أسوة، فهل اتخذنا من رسول الله قدوة وأسوة؟ نسأل الله أن يجعل لنا به قدوة وأسوة.

اللهم يا من جعلت من محمد عبدا لك، وابننا لعباد لك، وأبا لعباد لك، اجعلنا به عبادا لك، على ما جعلته.

اللهم يا من بعثت محمدا بالحق، فجعلته حقا لك، وحقا من حقائق لك، وحقا لحقائق لك.. اللهم فابعثنا به حقا لك، على ما بعثته من حقائق لك، واجعلنا به حقائق لحقائق لك، على ما جعلته.

اللهم يا من جعلت من محمد آدمًا لك، وآدمًا لأوادم لك، وجعلت منه آدمًا لأوادم منك.. اللهم اجعل منا به آدمًا لك، على ما جعلته.

اللهم يا من اصطفيت محمدا مصطفىً لك، ومصطفىً من اصطفيت لك، وجعلت منه مصطفىا يصطفى لنفسه، اصطفاءً لك، واصطفاءً منك.. اللهم اجعلنا به من المصطفين منك، على ما اصطفيته.

اللهم يا من قومت محمدا على ما أردت، وأبرزته بما رضيت، وقدوة وأسوة منه جعلت.. اللهم به فقومنا، وبه فأبرزنا وأظهرنا، على ما قومت وعلى ما أبرزت.

اللهم يا من رفعت به شعارك، شعارا لعبادك، وحقائقك، وأسمائك، ووجوهك، شعار لا إله إلا الله، فجعلته لا إله إلا الله، من دخله كان آمنا، ولا دينونة عليه.. اللهم به فأدخلنا في شعارك به لا إله إلا الله، ومنه فابعثنا بشعاره لك لا إله إلا الله، شعارا لك، وشعارا له على ما بعثته وجعلته.

اللهم وقد زويت له الأرض وجعلتها له مسجداً، وجعلتها في نظره طهوراً، وجعلته في قبره حياً، وفي سمائه راعياً وناظراً، وبجوارك شفيعاً مطالباً، وجعلت منه حقاً لنا مقارباً، ووجوداً فيك مجاوراً.. اللهم به فاجعلنا له ولك، على ما جعلته منك، وعلى ما جعلته لك.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

اللهم به فادفع عنا من البلاء ما علمنا، وادفع عنا من البلاء ما لم نعلم، من قضاء نخشاه ونتقيه، أدباً معك، وإيماناً بك، لا شريك لك.

اللهم به فقوم أمورنا، حكماً ومحكومين، رواداً ومرودين، يقظين وغافلين، وأصلح به الحاكمين والمحكومين، إحكاماً أمرك، وفيض رحمتك.

اللهم به فاجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، يوم تكشف عنا أغطينا فنلقاك في أمرنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة البقرة - ١١٥
- ٢ من الآثار المشتهرة على الألسنة: "إن الله يزج بالسلطان ما لا يزج بالقرآن". يقول البعض إنه، وإن كان روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن عمر وعثمان، وعمر ابن عبد العزيز، وحسن البصري، ولكن لا يوجد سند له
- ٣ حديث شريف: "كما تكونوا يولّ عليكم". رواه الديلمي والبيهقي.
- ٤ لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فقال: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ. صحيح البخاري.
- ٥ ربما إشارة إلى ما حدث حين قرر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد شهر من وفاة السيدة فاطمة الزهراء، مبايعة أبي بكر الصديق درءاً للفتنة بين المسلمين، فقال له: "فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك ولا نفوس عليك خيراً ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكأ نرى لقربتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيباً، حتى فاضت عينا أبي بكر بالدمع، فقال: والذي نفسي بيده لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل قرابتي.. فلما صلى أبو بكر الظهر ذكر شأن عليّ وتحلفه عن البيعة وعذره الذي اعتذر إليه ثم استغفر." من حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم.
- ٦ سورة الفرقان - ٧٥
- ٧ حديث شريف: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأُفُقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لَتَفَاضِلَ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ." صحيح البخاري، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

- ٨ سورة النور - ٣٦
- ٩ سورة النور - ٣٧
- ١٠ مقولة صوفية ينسبها البعض لحكم السيد أحمد بن عطاء الله السكندري، والبعض يقول إنها ترجع للإمام أبي حامد الغزالي.
- ١١ سورة النحل - ١
- ١٢ من حديث شريف: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيَتْ الْكَتَنَيْنِ: الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ... أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.
- ١٣ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كُلِّهِ، وَخَتِمَ بِي النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ١٤ سورة الإسراء - ٨١
- ١٥ سورة الإنسان - ٢٠
- ١٦ حديث شريف: "الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له." أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ.
- ١٧ جزء من حديث شريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كُلِّهِ، وَخَتِمَ بِي النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ١٨ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ١٩ سورة الأعراف - ١٥٧.
- ٢٠ سورة الشورى - ٥٢
- ٢١ سورة الشورى - ٥٢
- ٢٢ سورة غافر - ١٥
- ٢٣ سورة النجم - ٩
- ٢٤ سورة سبأ - ٤٦
- ٢٥ سورة المدثر - ٢ ، ٤
- ٢٦ استلهاما من الحديث الشريف: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ". أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
- ٢٧ العبارة تجمع بين حديثين: الأول: "الدُّنْيَا جَيْفَةٌ، وَطُلَّابُهَا كَلَابٌ". المصدر: الموضوعات للصغاني قال ومعظم المحدثين إنه موضوع. والثاني: "إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالَمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ". حديث شريف رواه الترمذي وابن ماجه..

(١٤)

الإنسان بالله في الله

فوق الظلام وفوق النور

له حجاب من الظلام بكونه وله حجاب من النور بحقه

حديث الجمعة

٢٦ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ - ١٥ يوليو ١٩٦٦ م

اللهم إنا نعوذ بك أن نقول زورا، أو نغشى فجورا، أو أن نكون بعجبنا بك مغمورين، في غرور أنفسنا، بماديها، وبقرنائها من قراء السوء، يوحى بعضنا لبعض زخرف القول، مفتونين بنا، مشغولين عنك، بمشغوليتنا أنا لا ننسانا ولا تتناسانا إليك، ولا نعتد ولا نتوكل عليك.

اللهم بمن جعلته لنا قدوة، ورضيتنا لك يوم نرضاه لأنفسنا، ونتابعه إلى مرادك بك لنا، لمرادنا لنا بك.. اللهم به فاهدنا، وبه فتولنا، وعليه فاجمعنا، وبه فاجتمعنا، حقائق لك، نراك لا شريك لك، يوم نرانا أنا أسماء ووجوها لمن لا شريك له، مسحاء وجودك، وظاهر موجودك، ووجوه طلعتك، ويد فعلك، وقدم سعيك، وقائم أمرك، يوم ندخل بك حصن لا إله إلا الله، شعارا لك، وقياما بك، جعلته لقيامنا وشهودنا محمدا رسول الله، هو الحق منك، والوجه لك، واليد لنجدتك، والقدم لقربك وسعيك. حققت به خلقك، وأوجدت به حقك، عروة وثقى بين الحق والخلق، لا انفصام لها، عن الحق لك، أو عن الخلق منك.

جعلته آدم الليل، كما جعلته آدم النهار، ومزجت فيه ليله بنهاره، ونهاره بليله، يوما من أيامك، لجمعك وحصادك، لما به زرعت وفيه خلقت وأبدعت، في آدم الروح له، لإنسان الحق لك، لقائم الحق بك، علم الوجود لوجودك، ووجه الشهود لشهودك، وجلال الجلال لجلالك، وقائم العزة لعزتك، كتاب علمك، وجماع كتبك، قلم قدرتك، وأقلام ديوانك.

جعلته اسمك الجامع، وجعلته اسمك الأعظم اللامع، وجعلته جماع جمعك لأسماء صفاتك، والحقيقة الجامعة لباطن آياتك، وحقيقة كلماتك، وحق أوادملك، وعلم إنسانية رشادك.

جعلته المعلم.. جعلته الرسول.. جعلته الرب.. جعلته العبد.. جعلت به العبد حقاً.. والرب حقاً. مزجت به الرب والعبد، في حق واحد، لحقيقة واحدة، لأحد من آحاد وجودك.

جعلته لأحدثيك عنواناً، وجعلته لأحاديك مثلاً وإنساناً، به علمتنا، وبنا منه علمنا. كنا من قبله خلقاً، فلما صار هو المبعوث بالحق، المبعوث بالحق فينا، عرفناه جاءنا بالأمر المطاع فأطعنا فبعثنا به حقاً.

جاء به الحق إلى عالمنا.. وجاء حقه في عوالمنا حقاً في أنفسنا به اقتدينا، وبه أمنا، وبالحق معه بالله آمنا، فن الشيطان يجري منا مجرى الدم، تخلصنا وسلمنا، به أعنا على شياطين أنفسنا، فأسلمت فعلاً، لمن أسلمت له عقولنا إدراكاً وإقبالا، وخشعت له قلوبنا حباً وإجلالاً، وتركت به نفوسنا اشتعالاً فانطلقت فيه أرواحنا عتقا، وتطورت به هياكلنا أكوانا وألوانا. وأشرقت به عقولنا أنواراً، وحييت به قلوبنا أرواحاً، وتكاثرت به قوالبنا أشباحاً، فقمنا به وجوداً وعولماً.

به كان الله لنا وجوداً يوم كنا له أسماء، وكان لنا حياة يوم كنا له وجهاً، فكنا عليه علماً، يوم كنا فيه رجلاً وإنساناً، بلغ في الحق رشدًا، وأصبح في الوصف رشيداً، وأصبح لله راشدًا، وعن الله معرفًا ومُعَلِّماً ومرشدًا. كان الله لمن تابعه معلماً، وعنده علماً، بلا إله إلا الله، وبمحمد رسول الله.

ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، يوم جعلناه نوراً، نهدي به من نشاء، وقد أوحينا إليك روحاً من أمرنا، لتكون معيتك منا، قاب قوسين أو أدنى منك لنا.

إن الأعلى أوحى إلى عبده ورسوله وآدمه، روحاً من أمره، سقطت به بينهما الاثنينية، وقامت به فيهما لهما الوجدانية، فأصبح الروح الموحى عند الموحى إليه، نفساً وعقلاً وروحاً، لا اثنينية بينهما.

ولما كان هذا هو أمر الموحى مع الروح الموحى، فبذلك قامت الوجدانية مع الموحى، بقائهما مع الروح الموحى، فكان المرسل، والروح المرسل، والوجود المرسل إليه، في قائم من الوجدانية.

ويوم كان الأمر كذلك، عرف الرجل الآدم.. عرف الإنسان الرشيد، الإيمان نوراً، سرى في كيانه.. وعرف الكتاب نوراً، نطق في بيانه، {إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين}،^٢ لا تفرقوا بين الله ورسوله، لا تفرقوا بين الله ورسوله، لا تفرقوا في حقائق الله بين الأعلى والأدنى، بين الكبير والأكبر، بين العظيم والأعظم، إنه الله وكفى، ما ظهر إلا في عباد قد اصطفى، {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}،^٣ {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم}،^٤.

فما قام على الأرض ولا يقوم عليها إلا أحدية إنسان، كانت البشرية بجماعها ظلاله، إنسان هذا حاله، كان فرداً من أفراد، فصار هذا ماله، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، إن ابن آدم عند الله، ولداً لآدم، لا يختلف في الله عن أبيه آدم، كلاهما أوجد الله من تراب، في معاني جلبابه، وكلاهما نفخ

الله فيه من روحه، فسواه، يوم أَراده لمعناه. خلقه لنفسه، فكل ابن لآدم آدم حكما، وكل آدم هو ابن لآدم حكما.

فلن يصلح للبشرية أمرها أو يتحقق لها سلامها إلا يوم يسمع الناس، لرسالة الله منصتين، ولنداء الله ملبين، ولهدي الله مستقبلين، ولإرادة الله لبعث إرادتهم بها قابلين، وبقضاء الله راضين، ومن ابتلاء الله عارفين، وعن رحمة الله متحدثين، وفي رحمة الله قائمين، وبرسول الله مؤمنين، ولرسالته مجددين، وبهدي قائمه بينهم عاملين، وفي مثالية رسول الله كوثرًا، حقًا وعبدًا طامعين.

يرونه العبد به يقتدون، ويرونه الرب لمثاليته ينشدون، وفي الله به أنفسهم يجاهدون، يوم هم لأنفسهم يتجاهلون، وعليها وجودًا حقًا ينكرون، فلها ينسون، وعنها يتناسون، يومئذ بالله يقومون، وفي نفوسهم بالحق مبعوثين، فربهم بين جوانحهم بملكوته يذكرون، وله يشهدون.

فإلي بيته مقدسا، لقائم قلوبهم بقوالهم، إليه ينقلبون، وحوله يطوفون، وفيه يدخلون، وبالحق لهم به يتلاقون، فيه يعكفون، وقد حصص الحق، فهم في أنفسهم يبصرون، وقد أرجعوا البصر بالكرة مرتين، إلى قديم لهم، وقادم لآمالهم، فارتدت الأبصار إليهم، فعرفوا الحق قيوم قائمهم، وقائم قيومهم، بما جعل لهم من نوره في متابعة رسوله، نورا به في الناس يمشون، وبه في الكون يعملون، وبه في فراغ الوجود ينتشرون، فيملأون الفراغ لفراغ النفوس بالحياة، بها يحيون، وميت القلوب بنور الله يبعثون، يوم هم فيها يحلون، وبالنور يدخلون، عندما يأذن لهم، صاحب الدار معه يتلاقون، وهو في جمع بهم لجمعه به جمعا مع جمع يتواصلون.

جسدا واحدا يقوم المؤمنون، وبيتا واحدا يرفعه الموقنون.. رجالا ربهم في أنفسهم يذكرون.. هي النفوس الطيبة.. هي النفوس الزكية.. هي النفوس المطمئنة، رجل سلم لرجل، في قلوبهم يتلاقون، روضة يرون، فيها يدخلون، فجنة الله، دانية، إليها يزحزون، من نار مبرزة لهم في دنيا الفرقة لها يشهدون.

بذلك جاء كتاب الدين. فهل قرأ الكتاب قارئون؟ هل طلب الله طالبون؟ هل علم عن الله مفتقرون؟ هل غنى بنور الله معوزون؟ هل لجأ إلى الله لاجئون، أم أنهم بعضهم بعضا أربابا يتخذون من دون الله؟ هم جميعا به قائمون، برزوا لله جميعا يوم يوحدون، ويوم يعرفون، ويوم أنهم لعلم لا إله إلا الله، على أنفسهم وعلى مجتمعهم وأرضهم يرفعون، فتخلوا بيئتهم من المستكبرين، وتخذ نار الطاغين، ويستيقظ اللاهون، ويتهاى العمل للعاملين، والجد للجادين، والنور للبصرين. {أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد} ٥.

ها نحن جمع من الحاسدين.. وها نحن جماعة من المفرقين، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، نحن في الحق مفرطين، وعن الله في أنفسنا وفي قيامنا غافلين، وعن طلبه لاهين، وعن ندائه في ضمائرنا صامتين، وأعيننا عن النظر إليه مغمضين، فلا نراه في قائمين، ولا نعرفه في قديمين، ولا نرجوه في قادمين، ولا نتقيه في أنفسنا، قائم اليقين.

فهل نحن في دين، أم كلنا بالدين ظنين، يعبد الله على حرف كما فعل المنحرفون، ولا يحاول كشف الغطاء عن نفسه مع الأئمة الفاتحين؟ (إن لله كنوزا مفاتيحها الرجال)^٦.. بحديث الرسول نتصايحون، أليس فيكم من رجل رشيد تشهدون؟ فهل نحن إلى رشيد من بيننا ساعين، أم أننا في يأس قابعين، وفي سعي إلى الطاغين، وفي خوف وخشية من كل من هو مهين؟

فلا نحن بالله معتزين، ولا نحن برسوله متوسلين، ولا نحن لظلاله بيننا متابعين، ثم نحن مع ذلك كله المسلمون؟!

ما جعلنا للمؤمنين ذلة مع الكافرين، فما جعلنا للكافرين على المؤمنين سبيلا، في دنيا أو دين، ولكن الكافرين لهم اليوم يذلون^٧، وعليهم يعلون، وفيهم يتحكمون، وهذا هو حالنا، فأين هو إيماننا؟ هل توأصينا بيننا بالحق، ولم يكن الله في نصرتنا؟ هل تجاهلنا أنفسنا بالباطل، ولم يبعثها الله بالحق، لنكون به من المؤمنين، ونعمل به من الموقنين؟

إن الذي أوحى الروح إلى رسوله، فجعله روحا، أوحاه روحا إلى المؤمنين، ما كان لبشر أن يكلمه الله، إلا وحيا، أو من وراء حجاب، كما تشهدون في هذا العصر، من أمر الوسطاء بالأرواح المرشدة يبعثون، أو يرسل رسولا، كما عرفتم، في الآباء والأجداد الأولين، من الإنسان في أحسن تقويم، يجعله حقا، ويقيم حقيقته، وينشره روحا، فيوحي بإذنه ما يشاء (ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى الذات)^٨.

إن الإنسان في الله فوق الظلام وفوق النور.. إن الإنسان بالله له حجاب من النور، وله حجاب من الظلام، هو الكون وما فيه، أفن جعلنا له نورا، ملكه، به تحجب، ومن ورائه اختفى، وبه ظهر لحجاب ظلامه، فكان نور السماوات والأرض، بظاهره، باطنه الإنسان اسما لله، وعلمها عليه، لا يدرك ولا يعرف، إلا لمن كانه، فكان عينه وعنوانه، كان ظلا لأناه، وقائما لقيوم لمعناه.

إن الإنسان، في حقيقته لا يدرك إلا لحقيقته، ولا يعرف إلا لحقيقته، فالإنسان بحقه لا يدرك عند الإنسان بخلقه، إلا يوم يبعث به، فيخرج من خلقته، إلى مبعوثه بحقيقته، (والذي بعثني بالحق)^٩، (من رأي فقد رأي حقا)^{١٠}، (ما عرفني غير ربي)^{١١}، فإن الأشياء، إن الشيء، إن المادة، إن العالم المادي، معبر عن الحق بي لكم بحديث بلفظ منه دالا عليه، ولكن كوني بمادي شهودكم ليس معني

بالحق لقلوبكم، فإنه لا يستطيع أن يمثّل بي أو يمثّل بي، وأنا الحق من الله لمعناه ربا لكم، إنه شيطاني أعنت عليه فأسلم لمن أسلمت له، فلا شيطان لي.

إن السماء والأرض، لموصوف الخلق، لا تتسع لموصوف حق، ولكن موصوف الحق يطويها ويحتويها، ويجدها بمعانيها، كلها أراد أن يجدها بناموس الفطرة، {السماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون} ^{١٢}، {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم} ^{١٣}، {كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا إنا كنا فاعلين} ^{١٤}.

{وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض} ^{١٥}، {تبارك الذي بيده الملك، وهو على كل شيء قدير} ^{١٦}، تبارك إنسان الله.. تبارك إنسان الحق.. تبارك الله.. تبارك اسم الله.. تبارك وجه الله.. تبارك حق الله.. تبارك عبد الله.. تبارك الوجود لله.

تبارك.. من تبارك!! وما باركه مبارك.. تبارك الإنسان، أوجد نفسه بنفسه.. أوجد حقه بحقه.. أوجد وجوده بوجوده، تواجد بأمره، وبارح خفاءه بسرّه، يوم أوجد منه آدم ابتلائه، وآدم جزائه، وآدم ولائه، وآدم بنائه، وآدم ارتضائه، وآدم رضائه، فتواجد الإنسان مجددا لنفسه، في أي صورة ما شاء ركب من كان عليه العنوان، ورفع شعار لا إله إلا الله، وقامت رسالة الله أكبر، بحمد الله، بعبد الله، بمن قام بيننا، مرسلًا إليه، وقام فينا رسولًا منه، وقام علينا مرسلًا لنا، فكان المرسل والرسول والمرسل إليه.

وكنا به ما كان، على ما من قبل كان، وعلى ما من بعد يكون، وعلى ما هو في قائم كائن، فأما بالله ورسوله، يوم آمنا بأنفسنا، لله ورسوله، قائم قيامها، وقيام قائمها.

هذا هو الذي تقدمه لكم الروح، برسالتها، في عصركم، على جماع مما سبق أن قدمت برسالتها في عصور آبائكم، وعلى ما يعدكم الله بها، أن يكون في أمر أبنائكم، على ما رضي للصالحين من آبائكم، من خلال قائمكم، بجمعكم، لتقديم جمعكم، وجمعكم لقادم اجتماعكم في وحدتكم، يدعو في حاضر، كما دعا في قديم، وكما يبشر في قادم، {ندعوا كل أناس بإمامهم} ^{١٧}، {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه} ^{١٨}، {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} ^{١٩}.

تأملوا هدي الروح لكم وهي تقول: قليل من عالمكم من يدخل إلى عالمنا، وهو منسوب إلى أسرة، فالعمل في عالمنا يقوم على أساس جماعي، ولا يقوم على أساس فردي، نحن نعمل جماعات جماعات، في أسر، تتجمع لمعنى أسرة أكبر، على مثالها تتجمع، لمعنى أسرة أكبر، إلى سدرة منتهى.

أنتم على أرضكم، أشجار، في بستان، يقوم بمفرداتكم ومجتمعاتكم، يوم تتجمع قلوبكم على قلب حي منكم، يتكون لكم بكم منكم سدرة منتهى، ألف بين قلوبكم، كما ألف بين قلوب آبائكم، وكما يؤلف بين قلوب أبنائكم، ليتواجد من القلوب مؤتلفة مؤلفة، سدرة منتهى، وشجرة حياة، وكلمة طيبة لله، هي شجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء. أما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. (أنا حي في قبري)^{٢٠}، (تعرض علي أعمالكم، فإن وجدت خيرا حمدت الله عليه، وإن وجدت شرا استغفرت الله لكم)^{٢١}. عهد الله إلى النبيين أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، لأنهم أحياء في قبورهم كما هو الرسول، وما قبره وقبورهم إلا قلوب الناس من هذه البشرية.

إن تواجدي على الأرض لا يمنعني أن أكون بجوار الرفيق الأعلى، فليس للأعلى مكان، فكانه قلوب الناس، مكانه قلب الإنسان، مكانه قلب العنوان، مكانه قلوبكم، القلب بيت الرب، والرب وجه الله، إن {ربي الله}^{٢٢} {واذكر ربك في نفسك}..^{٢٣} إن الذي في نفسك إنما هو ربك، وهو لك وجه الله، إن لم تفرق بينك وبين ربك في نفسك، فإن ربك في نفسك، عن الله لا يفترق، وعنك لا يفترق، فيوم تعرف ربك، تعرف إلهك، ويوم تؤمن بإلهك، مجاهدا فيه، يجمعك على ربك قائما بك، في قيام لك به، أقرب إليك من جبل الوريد، رسولا من أنفسكم.

الله، بين قائم وقيوم، لا إله إلا هو، خلقكم أزواجا، في قائمكم، لمعنى الرب والعبد لكم، فأنتم بهياكلكم لمعاني عوالمكم، معنى العبد لمن هو في قلوبكم، لمن هو الحياة، بها تقومون، وبها تدركون، وبها تعون، وبها تفعلون لمعنى الرب {اتقوا الله وآمنوا برسوله}^{٢٤}.

وأنتم بمعانيكم للعبد، وبمعانيكم للرب، الله من ورائكم بإحاطته، إنه من وراء العبد لمعناكم بإحاطته، جعل منكم للرب وجوها له، ومن وراء الرب في أنفسكم، بإحاطته، جعل منه الله وجوها له، فأنتم بأمركم في الله، إن لم تفرطوا في أمر الله لكم، وجوه ناضرة لمعاني العبد، لربها ناظرة لمعاني الروح لكم من الله بنوره برسوله، وإن ذلك لكم مجتمع في أنفسكم، يوم تقومون مميزين بين مادي وجودكم ومعنوي قيامكم.

وهذا ما جاءكم به رسالة الفطرة، مع إنسان الفطرة، وصبغة الفطرة، وعلم الفطرة، ورسول الفطرة، من عرفناه بيننا، بأديمه لآدمه محمدا، وتابعناه منا معتقدا، وذكرناه لنا معلما، وناديناه إلينا رحمة، وتوسلنا به إلى الأعلى عليه، رغبا ورهبا.

آمنا بالله ورسوله، إيماننا به حقا جاءنا، فأحمينا بأنفسنا إلى نفسه مع ظلاله، وتجاهلنا أحوالنا إلى شريف أحواله، وسلّمنا أمرنا إلى حقي أمره، وأنزنا عقولنا بنور كتابه، وتخلصنا من خوفنا، وشكنا، وقلقنا، إلى

سكينة حجاب، فدخلنا في روضة نفسه، وأحسننا بصادق حسه، يوم آمنه جماع نفوسنا لمعنى نفسه، وجماع عقولنا لمعنى عقله، وجماع أرواحنا لمعنى روحه، وجماع عوالمنا لمعنى عالمه، فدخلناه بألوانه، وقناه في كل قيام بعنوانه.

فعرفناه الإنسان، في أي صورة ما شاء ركب، وإنه برضاء الله له ما عذب، وما ابتلى، وما أقصى، وما انقطع، إلا لنكون في اقتداء مظاهره لظاهره، ولكنه بالله قام، وفي الله يقوم، في قديم أمره، وفي قادم من أمره، من خلال قائم بأمره، فأدركنا لا إله إلا الله، وقنا محمدا رسول الله.

اللهم ارزقنا السكينة في ليل أنفسنا، وارزقنا اليقين في نور عقولنا، واسلكنا الطريق في حرية أرواحنا، فأعتق أنانيتنا من سجين هياكلنا بأشباحنا إلى جنة وجودنا، في إنسان رشادنا، روضة قيامنا وحياتنا.

اللهم به فارحمنا.. اللهم به فاقبلنا.. اللهم به فتولنا.. اللهم به فقوم أمورنا.. اللهم به لا تجعل لنا سلطانا إلا على ما ارتضيت، ولا عزة إلا على ما قبلت، ولا طريقا إلا على ما قومت.

اللهم لا تجعل من أنانيتنا لأوائنا عنك حجابا.. اللهم لا تتجاوز بها أن تكون لنا جلبابا.. اللهم انفخ في أسوارنا بها من روحك.. اللهم أنر قلوبنا من نور مصباحك برسولك، مصايحا له، بفجر قيامك، لشمس أعلامك، وشمس عرفانك.

اللهم حرر عقولنا من سجون مدركاتها نقلا، ومن قائمها بعيدا عن نورك غفلا.

اللهم أشعل جذوة النفوس في نفوسنا، لهماكلنا، وأنزل ماء الحياة رذاذا على أرض قلوبنا، حتى تهتز وتربو، بنباتها، روضة وسدرة، وجنة، وحدائق غلبا، وفاكهة وآبا.

اللهم حقق لنا ما لأجله خلقتنا، من ظهور أمرك، وسفور سرك، لعوالم وجودنا، عوالم وجودك، وعوالم وجودك، في لا إله إلا الله، بمحمد رسول الله.

اللهم به فول أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تول أمورنا شرارنا بعدلك.

اللهم به فعاملنا بعفوك ومغفرتك، وقنا به شرور أنفسنا، وشر غضبتك.. اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، حتى لا نحضر موقف جزائك، ولا ساعة ابتلائك، ولا لحظة بلائك، ببطشتك الكبرى، يوم تبطش، بقلوب عليها أقفالها، ونفوس، كان فيك ذلك مآلها، اختارت العدم لوجودها، وتخلت عن الحياة لوجودك، من كرمك وجودك.

اللهم به فكن لنا في الصغير والكبير من شأننا.. اللهم به فاجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.. اللهم به كن لنا حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، طائعين وعاصين، شاردين ومجاهدين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ تم تصويب هذه الكلمة وفقاً للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع. كذلك تشكيل بعض الكلمات.
- ٢ سورة التكويد - ١٩:٢٠
- ٣ سورة الروم - ٢٧
- ٤ سورة الرعد - ١٥
- ٥ سورة الفلق - ١-٥
- ٦ حكمة تتناغم مع الحديث الشريف: "إِنَّ من الناس مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِقَ لِلشَّرِّ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ." أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.
- ٧ تم تصويب هذه الكلمة وفقاً للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٨ مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا *** إسناده عنعنة حتى إلى الذات.
- ٩ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ١٠ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ١١ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ١٢ سورة الذاريات - ٤٧
- ١٣ سورة يس - ٨١
- ١٤ سورة الأنبياء - ١٠٤
- ١٥ سورة الزخرف - ٨٥
- ١٦ سورة الملك - ١
- ١٧ سورة الإسراء - ٧١
- ١٨ سورة النور - ٣٦
- ١٩ سورة فاطر - ١٠
- ٢٠ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٢١ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيراً حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

سورة غافر - ٢٨	٢٢
سورة الأعراف - ٢٠٥	٢٣
سورة الحديد - ٢٨	٢٤

(١٥)

الإنسان بحقيقته هو الروح والعالم حل بالبلد ووالد وما ولد مزوية له الأرض

حديث الجمعة

١٨ ربيع الآخر ١٣٨٦ هـ - ٥ أغسطس ١٩٦٦ م

في العام الثاني بعد السبعين، خمس قرون خلت، من مولد كلمة الله، بعيسى بن مريم، رزق آدم وليداً، ظهر جديداً، وجعل الله منه كلمته وروحاً، أوحاها إلى آدم، بشرية الأرض بقائه، وروح الأرض بقيومه، وجماع كلمات الله، لوحدة نواته لذاته بحقيقته.. أظهرها على الدين كله، وأظهر بها الدين كله، عنون بها رسالته الخالدة.

فكان حقاً في عمائه، لا يعرف لنفسه مولداً، ولا يقدر لها موتاً، ولكنه بظاهره لباطنه، يقوم في حيرة من أمره عن نفسه، أُخرج من حيرته يوم أُخرج من نفسه، فكان من إدراكه لنفسه بنفسه في قيامه بعقله لحسه، يوم عرف دائم أمره، ودائم قيامه، ودائم بعثه، ودائم لحاته، بساعاته وغفلاته، ودائم تجاربه باستقاماته وانحرافات في أبعاضه لأبعاضه بأبعاضه.

عرف دوام أمره بحقه، مُقَوِّماً جديده لموصوف خلقه، وأنه بذاته وروحه، وظلامه ونوره الإنسان وناموس الإنسان يوم يعرف الإنسان إنسانه.. يوم يعرف الإنسان مكانته.. يوم يعرف الإنسان إنسانيته. ولا يعرف الإنسان مكانته ولا إنسانيته، وهو سجين نفسه، وهو خامل حسه، وهو مظلم عقله، وهو موات قلبه، وهو موهوم شبّه. إن أول معرفته يوم يعرف حقيقته لخلقته، ويعرفها يوم يعرف قائمه لقيومه بلا قبل، وقيومه بقائه على قائمه لبعده بلا بعد، في قيامه بلا إله إلا الله، علم قيامها به له عليه ومنه، بشهادته لنفسه محمداً رسول الله.

لا يعرف الإنسان إنسانه ومكانته بإنسانه، إلا يوم يجتمع على سابق لعنوانه، ويعمل للاحق، لعنوان قديمه، من خلاله يتواجد، في قادمه، لكسب قائمه.

فإنه {ليس للإنسان إلا ما سعى}¹، وما يعمل من مثقال ذرة من خير يره، ومن شر كذلك، ومنه يتراءى وله يُرى، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)²، إنما هي كتبكم تأخذونها بأيمانكم، وتكتبونها بأيديكم على صحائف من فعلكم ومن صنعكم في كرات الحياة، إنكم أعمالكم، إنكم عملكم، إنكم صنعكم، إنكم صنع أنفسكم، وإدراك عقولكم، وإنشاء إرادتكم، إنكم تخلقون وجودكم، بأمانة موجودكم لوجود بارئكم، فطرة الله في وجوده، وصبغة الله بجوده.

أنتم بحقيقتكم من تذكرون لاسم الله، للفظ الله، لكلمة الله، أنتم أعلام الله، يوم تعرفون الله، فترونه أقرب إليكم من حبل الوريد، ومعكم أينما كنتم، ومن ورائكم بإحاطته، بكم يظهر، أنتم له وجوه، وأنتم عليه أعلام، وأنتم باسمه له أسماء، أسماء لمن تسمون، ولا اسم له، أسماء لمعروفكم بالحياة وبالوجود، ولا إحاطة به.. وأنتم بجلودكم موقوت الشيء، ولباس الروح، وكوثر لباسه، لتجليه بعدد معانيه، إذا عرفتم الله بكم، فقد جاءكم الله وقد ذهبتم إلى الله.

إن الحقيقة، ما وراء ألفاظ الدلالة عليها، أو كائنات الأعلام عنها، إن الحقيقة لا اسم لها، أنتم الذين تسمونها. {قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى}³. إن الحقيقة لا اسم لها، حتى بلفظ الحقيقة.. إن الحقيقة لا غيبة لها، لا ظهور لها، لا قرب لها، لا بعد لها، لا تغاير معها، لا ضد لها، لا محبة معها، لا اجتماع عليها.

إن الذي يحار في الحقيقة، ثم يعرفها، أو يطلبها، فيواصل معرفتها والمعرفة عنها، وطلبها والسعي إليها، أو الذي يضل بها، ويضل عليها، ويضل عنها، إنما هو الإنسان.. إن الإنسان هو الذي يتحدث عن الحقيقة، وهو الذي يطلب الحقيقة، وهو الذي تكشف له الحقيقة.. إن الإنسان هو الذي يجتمع على الحقيقة، ويذهب إلى الحقيقة، وتأتي إليه الحقيقة، ويوم يهتدي إليها، يهتدي إليها بكشف الغطاء عنها فيه، بكشف الغطاء عنها له، بكشف الغطاء الذي بكشفه ترى له، إنها هو، وإنه هي.

ومتى وأين وكيف يكون له ذلك؟ هذا هو الدين والعلم والفقه والطريق، والإصلاح والسياسة.

يحبينا الإسلام.. يوم يقوم الناس في الله مثني وفرادي، ويكون قيامهم مثني وفرادي في شهودهم لقائم مشهوده، من الشهادة أو من الغيب. فالإنسان القدوة هو مفتاح المؤمن ليتفكر، هو بابه ليدخل، هو كتابه ليقرا، يوم يتعارف الإنسان إلى الإنسان، يوم يتآخى الإنسان مع الإنسان، يوم يتلاقى الإنسان بالإنسان بمشهد غاب أو بغائب يشهد متواصيا معه بالحق، متواصيا معه بالصبر.

فيرى الإنسان مع الإنسان، أنهما سويا وجها للرحمن، لا فرق بينهما، من التفريق لهما، وأنهما في الرحمن وجوه إحسانه، وعباد عنوانه، لا تفاضل بينهما، ولكن الفضل منه عليهما، ولا تفضل منه

عليهما، لقائم عينه بهما، فيقومان كريما لكريم، يتكلمان عن كرم معروفهما، وهدية وجودهما بهما، من موجودهما في قائم قيامهما له هو لهما.

كافة للناس هما، يمثلان دور العبد والرب دولة بينهما بقائم الرب لأحدهما، على قائم العبد لأخيه، كلاهما حق، وكلاهما لله أمر، وكلاهما جهر وسر أمران لله في أمر كل منهما لأحدية أمره في قائم الإنسان.

يقوم اسم الله، وكلمة الله، وروح القدس لله، وحق الله، وعبد الله، بظاهريه - بالبشرية والآدم - لمعنى الإنسان جمعا لفرد، وفردا بجمعه، لعين قيومه في باطنه لقائمه بظاهره، الروح والعالم. بذلك كان عالم الروح، عالم الروحية، عالم النورانية، عالم النور، لعالم الإنسان لظاهره بالبشرية، هو لآدم وعالمه، ولولد آدم باطن باطنه. وكان آدم وولده ظاهر الإنسان وولد الإنسان، فكان الإنسان بحقه كلمة متوفاة لكلمتي الله له فيه به لظاهر الإنسان، ولباطن الإنسان.

قامت في الإنسان كلمة الله الذاتية بآدم وبنيه، وكلمة الله الروحية بروح القدس ومتابعيه، كلمتان اجتمعتا على العنوان لهما، ومعنى الحق القائم بهما، فتعارفتا، وتوحدتا، فأصبح أحدهما عين الآخر، كلاهما لعينه كل منهما مرآة أخيه، رأى كل منهما نفسه في أخيه، وصف كل منهما أخاه بما قام به واتصف به من الله لمعناه فيه.

علمه شديد القوى، كيف يكون شديد القوى، فلا ينضح إناء إلا بما هو فيه. وهو بالأفق الأعلى، ليعود إلى أهله من الأفق الأعلى، فلا يتلاقى إنسان، ليكون مرآة للإنسان، إلا إذا كان معه في نفس المكانة والعنوان.

الأعلى بالحق نزل إلى أرضكم، وأخوه عليها بالحق كان وبه وبقي، متقلبا من ظهور الأخيار إلى بطون الأحرار، فدنا الرفيق من الرفاق الأعلى، من أخيه رفيقا معكم منه لكم أدنى، قاب قوسين معه أو أدنى، عروة وثقى وأمرنا وسطا بين الأزل والأبد للإنسان، ليكشف له عن دور الرب فيه ومعنى العبد له، وقائم الحق به بهما، لكليهما في أمرهما لأمره، على ما كان من قديم أمره، فما كان في أمره ما هو جديد عليه، ولكنه غاب أمره عنه بغيبته عن عالمه به فخار في نفسه.. حار في أمره، بما أودع الله فيه من سر أمره.

فطلب أمره بفطرته، طلب حقه، طلب وجوده طلب العلم، لفظ الجهل، كره الجاهلية بغريزته، طلب سر العلمية، طلب الفضيلة، فارق الرذيلة، توسل إلى الله، غيب وجوده، وحق موجوده، بصالح الآباء، عرفهم في الأعلى أبناء، بوعيه، بمنطق عقله، وإدراك حكمته، بقائم فطرته.

رفض وسيلة الأوثان، وعرف وسيلة الإنسان بذوقه بصفائه، عكف على نفسه.. مات قبل أن يموت، دخل في قبره، اتخذ لانعكاسه فيه غارا، نفسا حياء تختلي في غار حراء، فاشتعلت في نفسه أريحته، وتحركت في أعماقه بذور الحياة، غرست في قلبه بميراثه من الآباء إبراهيم وإسماعيل.

رق له قديم وجوده وقد دخل بهيمته في شهوده، فحنا على قائم موجوده رق قديم الذكر لله، لجديد الذكر لله، جديد نفسه، فدنا فتدلى لحسه، أوحى إلى موصوف عبده، لمنشوده، أوحى له ما عرف بينه وبينه، إذ عرف أنه عينه لعينه، ظهر له في الناس، واختار لنفسه للقائه، من اصطفى من بيته ومن الناس، تجسد له في صور الناس، وعبر له عن نفسه متحررا من قيود الصور للناس، ومن مقيدات الصور من الكائنات، وامتزج به إلى لا تعدد لهما، وانفصل عنه ولا فرق بينهما، ثم جمعه على الأعلى لهما، ليكون منه على ما هو معه منه، في ما رأى لنفسه به.

فقال لنا: قال لي ربي (لا فرق بيني وبينك)^٤. قال لنا، (إني أبيت عند ربي، يطعمني ويسقيني)^٥. قال لنا، إليه فاتبعوني، ولا تجعلوا من نفوسكم حيلولة دوني، فإن فعلتم فلست في حيلولة من النفس دونه، ما أعطيته فهو لكم، وأنا إنما هو أنتم، وأنا وإياكم فيه، لو علمنا وعملنا بما علمنا، عرفنا أننا لا أنا ولا أنتم، ولكنه من يعيننا بمعني من يستهويننا بنعمائه ومعانيه.

إنها منه من يطلب لسيادة أرضه وسمائه باسمه، وجوها له، وأسماء له، وعبادا هم أعلامه، وهم كتبه وأعلامه.. عباد هم صحوه وأعلامه، ما أوجدتهم إلا ليتواجدتهم، وما خلقهم إلا ليتخلقهم، وما أعدمهم إلا ليجددهم، وما جددهم إلا ليتواجدتهم. علمهم وعرفهم كيف يكونونه محاكين، ليكونهم متحققين.

ويوم يكونهم، يذكرونه ولا يذكرونهم، فذكره ذكرهم، ووجوده وجودهم، إنهم لا يحونه ليتواجدوا باسمه، ولكنهم يحونهم ليتواجدهم باسمه وعلمه ووجهه، كلهم مسيحه، وهو ليس مسيحيهم.. كلهم له، وهو ليس لهم.. كلهم لوجوده وليس كل وجوده لموجودهم. هو كل كلهم، وليسوا هم كل كله.

ما كفر الذين قالوا إن عيسى هو المسيح، وإنه أي المسيح هو كلمة الله، وروح منه، هو وجه الله، هو اسم الله، ولكن كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، فما كان الله، عيسى، ولا محمد، ولا آدم، ولا نوح، ولا إبراهيم، ولا آباءهم، ولكن هؤلاء جميعا ما كانوا غيره، كان لهم كل كلهم، على ما كان لهم، ولم يكونوا أو أحدهم كل كله.

هذا ما جاء به ابن آدم، وكلمة الله وروح منه، جديدا لآدم في قديمه وقد توفاه الله لقدمه به، ومقامه فيه، وقديما لآدم في جديده به يتوفى لذاته، لعين قدمه ومقامه في الله، من عرفناه رسول الله، من

عرفناه محمداً، من كان لفظ محمد وذاته، دلالة عليه، ولم نكنه، من كان لفظ رسول الله دلالة عليه ولم نعرفه.

إنه الأمر الوسط، بين أمرين، لم يتغير معهما، ولم يتغيرا معه، لم يتعدد معهما، ولم يتعددا معه. إنه الإنسان، لعلمنا، لمعلوم الإنسان له، مجهولا علينا.. إنه الإنسان للإنسان.. إنه الإنسان لنا، إنه معروف الإنسان عندنا، لمنشود الإنسان لوجودنا، يوم نتابعه، في مسراه، إماما لنا، ويوم نسمعه، في مجلاه، حديث الله إلينا، ويوم نؤمنه، لقيامنا، بعثا به بالحق في الله لمنشودنا، مبعوثا بالحق فينا، مشاهديه في شهودنا لنا، بشهادتنا له، شهادة لأنفسنا، (محمدا رسول الله).

يقوم ويتقلب فينا، بالسجود للأعلى، ويقوم ويتقلب منا بما قام به من نور الله، أنزل معه وبقي به، بقاء لنا، فما استرد الله هديته به منا، وما قطع رحمته به عنا.

فهل أدرنا رسول الله لقيامنا، ولقيوم قائمه بنا، ولقيوم قيومنا به، حتى يمكننا أن نصلح من أمر أنفسنا، فنستطيع أن نصلح من أمر دنيانا، بقائم ديننا، بمستقيم طريقنا، فنصلح دارنا لنا، ولأبنائنا من بعدنا، بل ولأبنائنا من قبلنا؟ فكلهم يحن للعودة إلينا، والاتصال بنا والتحدث إلينا، وتبادل الحديث معنا، ونحن نحول بين ذلك وبين تحقيق هذه الرغبة لهم بجهلنا وظلام أنفسنا. وهو ما تحققه لنا ولهم الرسالة الروحية في عصرنا.

إن الجنة التي عرضها السماوات والأرض لم تخرج منها الأرض، ولا تعدو هذه الجنة أن تكون وجودا من مثاله الكثير، في القيام للمطلق. والمتحررون من سجن أنفسهم سبحا في السماوات والأرض، ولم يخرجوا إلى ساحة التحرر من المكانية والزمانية بعد يرغبون في التحدث إلى أهل كل الأرض، ويعرفون لهم وجودا، وقد أصبح وجودهم لهم للحق شهودا، فهم يندشون خليفة الله بأهل كل أرض، رفيقا أعلى أو رفيقا أدنى، رفيقا أعلى متعلمين، أو رفيقا أدنى معلمين.

وأرضكم من هذه الأراضين، التي يحن للعمل فيها الرحامين، من روح الله، من حقائق الله.. من الإنسانية الرشيدة في الله.. من عباد الله.. من مصابيح الله.. من نجوم الوجود.. من شمس العوالم.. من إنسانية الحق، متعاونين مع المستخلفين من الله عليها لرحمتها.. من المغلوبين على أمرهم من أهلها، بظلام أهلها.

وها أنتم في هذا العصر، وفي هذا الزمان، تشهدون صدق نبيكم.. تشهدون صدق الله.. تشهدون صدق ربكم.. تشهدون صدق النبوءات، بين أيديكم، {ومن آياته خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير}٦.

ها هو عيانا بياناً يجمعهم، وها هو عيانا بياناً الكل يستطيع أن يسمعهم، إنها الحياة تبرز آياتها، وتكشف عن حقائقها.. إنها الحياة تؤتي ثمارها، تقدم أكلها، تغرس أشجارها، تقلم من أشجارها موات أطرافها، تنفث خبثها، تبرز طيبها، تكشف للناس أعلامها، إنها الأرض، لم تحرم حياتها، يوحى لها، تبرز شرفها، تهب وتصلح أمرها بيت أبنائها ودار عملها.

ظن أبنائها أنهم قادرون عليها، وأنها لترضى أن يكونوا قادرين عليها وأربابا لها، ولكن باستقامتهم مع ربهم وربها، لا بظلام أنفسهم، لا بطغيانهم، لا بفجورهم. إنها تخفض لهم جناح الذل من الرحمة في متابعة من فعل ذلك من أبنائها.

إنها تنشد من الأعلى، أن تلد ربها، وأن يكون ربها وليدها، منها وإليها، فيقدرها، وهي على رأسها ترفعه، وهي بإمكانياتها تنفعه، وهو بحقه لا يطغى عليها، ولا يفجر بها، ولا يعتدي على أخوته منها. إنه وليدها، إنه ابنها، إنه رحمته ورحمانها.

(أنا ابن الأرض).. (تنشق عني الأرض).. (أنا ابن الإنسان)، (أنا رفيق الرفيق الأعلى، أنا الإنسان)^٧، أنا العنوان، أنا الإحسان، {أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}^٨.

كونوا معي، تكونوا لمن كان معي، كونوا لي، تكونوا لمن كان لي، وكنت له، (لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)^٩.. (أجعل لك كل صلاتي يا رسول الله؟ قال: إذا تكفى همك، ويغفر ذنبك [يا عمر])^{١٠}.. (أعطيت جوامع الكلم)^{١١}.. (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم)^{١٢}.. (لا مهدي إلا عيسى)^{١٣}.. (المهدي ولدي)^{١٤}.

إن عيسى ومحمد أمران في الله، وكلمتان لله، وروحان من روح الله، وقدسان من أقداًس الله، كانا للناس على ما كان آدم وجديده، وآدم وولده، وآدم وقديمه، وآدم بقديمه لقديمه، وآدم بجديده لجديده، وعلى ما كان محمد وعلي، كانا للناس على ما كان كل نبي وأخيه من الروح أو البشرية.. وعلى ما كان كل نبي وبنيه.. وعلى ما كان كل آدم وما تواجد فيه، من بنيه وأوادمه لمعانيه.

كانا وكانوا، الفطرة والناموس، الصبغة والقدس، الكتاب والهدي، الوجوه للغيب، الأعلام له في الشهادة، القيام له بين الناس، أوتاد الأرض، ومصاييح الأرض، نجوم السماء، شمس العوالم، {كلا لا وزر}^{١٥} {وجمع الشمس والقمر}^{١٦} على الأمر الوسط، على خليفة الأرض، على الأرض، على ربك، على إنسان وجودك، إليه المستقر، كلكم منه، وكلكم إليه.

خَلَقَ الإنسان، في أحسن تقويم، وهو به بالغ أمره إلى أحسن تقويم، فهو في قديمه بأحسن تقويم موصوف المخلوق، وليس بموصوف الخالق، وهو في قادمه إلى أحسن تقويم، يحمل وصف المخلوق، ولم يحمل بعد وصف الخالق.

ولكنه إذا تجاوز ما قبله إلى أزل، وتجاوز ما بعده إلى أبد، تواجد باسم الله، خالق الآزال والآباد، نخلق، بخالقه ما خلق، خلق له نفسا، من والد وولد، من إنسان وبلد، بإرادة الله، بإرادة الصمد، بإرادة الفرد الأحد، أوجد الإنسان لنفسه بما أوجد، فتواجد الإنسان على ما أراد، فتواجد بما أوجد، على ما يريد أن يتواجد في أي صورة، بأي اسم، في أي كون، بأي وجود، فالإنسان الموجد كمال الإنسان المتواجد، والإنسان المتواجد حق الإنسان الموجد.. (الدنيا دار من لا دار له) ١٧. (مالي والدنيا، أنا في الدنيا عابر سبيل، استظل بظل شجرة ثم مضى) ١٨.

فهل عرف الإنسان مجده في الله؟ هل عرف الإنسان أن غايته يجب أن تبدأ، ويجب أن تختصر، في شأنه من الله؟ وليس من شأنه من الله، أن يعرف ما اسم الله الأعظم، ولكن شأنه من الله أن يكون هو اسم الله الأعظم.

فما أوجده الله بعارية وجوده بالحياة، إلا ليكونه، ولم يجعل له بحقيقته حائلا دونه، فهو أقرب إليه من جبل الوريد، ومعه أيما كان، قائما على نفسه، ومن ورائه بإحاطته وعونه.

إذا عرفنا ذلك وطلبناه، وقفنا فيه فتواجدناه، فهذه هي الجنة، تنشد.. وهذه هي النار، عنها كل طالب لله يبعد.

بنا وإن قل عديدنا، ما كنا كذلك، تستقيم الدنيا وأهلها، وتستقيم السماوات لها وسكانها، وتواجد الآخرة وعنوانها، وتبعث العوالم وأبدانها، وتطور الهياكل وأعلامها، وتحرر القلوب وأجسامها، فتنتشر سماوات وبروجها، وتستقيم الجوارح، ملائكة وقدراتها، وتعدد الصورة وعنوانها.

فيعرف الله، بمعرفه، لعارفه، في معرفة كل عارف، وعلم كل عالم، ووجود كل متواجد، فنعرف شعار الله وشعارنا، شعارا له وشعارا لنا، على السماوات والأرض، بلا إله إلا الله، وتستوي رحمت الله، ووجوه الله، على عروش سلطانه، وكراسي إحسانه، بقائمتنا وبعثنا في شهادتنا لنا (محمد رسول الله).

بهذا جاء الإسلام.. فهل أسلمنا؟ وبهذا جاء الإعلام فهل علمنا؟ وجدد الله بيننا أمرنا، على رؤوس القرون، ففعلنا ما فعل آبائنا، ومجدنا على ما مجد أولنا، وما نحن في هذا العصر لا ندري ما سيكون

من أمرنا مع رسالة الروح، هل تنزح عن قديمنا؟ هل سنتنبه من نومنا؟ هل ستستيقظ ضمائرنا من غفلتنا؟ هل نستجيب لنداء الله إلينا؟

(لا مهدي إلا عيسى) ١٩. (هلموا إلي يا ثقيلي الأحمال) ٢٠. ها هي بيوت الله.. ها هي هياكل الله.. يقدمها لكم في كل بلد، وفي كل أمة، وفي كل لغة.. ها هي السماء تداني الأرض بأهلها من كلمات الله.. ها هي السماء تتحدث إلى الأرض.. ها هم أهل السماء يظهرون لأهل الأرض من أنفسهم بعناوين وأعلام منهم ومن بينهم، رسلا من أنفسهم، عروة وثقى بين حاضريهم وقديمهم، بين ماديهم وروحيهم، بين موقوتهم وأبديةهم، بين موصوف الخلق لهم، وموعود الحق إليهم، بوسطاء لعوالم الروح من بينهم، ولكن الناس ما زالوا ينتظرون عيسى والمهدي، ورب عيسى ورب المهدي في مواجهتهم، {فأينما تولوا فثم وجه الله} ٢١ يحيون في عصر الدجال ولا يشهدونه في أنفسهم. ويحيون في عصر المسيح أو المهدي وفي أنفسهم باستقامة لا يكشفونه، وهما أمران لا يغييان ولا يحدثان. ولكنهما ينكشfan ويحتجبان، ويسفر أو يختفي في دوام لهما منهما العنوان.

ها هو الاتصال الروحي.. ها هي الرسالة الروحية، تقوم في مشارق الأرض ومغاربها، من رب المشارق والمغارب، ولكن لا يقبل عليها إلا القليل، {وقليل من عبادي الشكور} ٢٢. {ثلة من الأولين وقليل من الآخرين} ٢٣.

هل يتنبه الناس.. هل يتنبه الكايبون.. هل يتنبه المسلمون، هل يتنبه الموحدون.. هل يتنبه الإلهيون.. هل يتنبه القطريون.. هل يتنبه الجاحدون.. هل يستيقظ الغافلون.. هل ينتفع اليقظون.. هل يزداد العالمون.. هل يتفقه بمزيد الفاقهون.. هل يسعد بجديد المتحققون!!!

ما من كمال إلا وعند الله أكل منه. هذا كمال عما سبق، وأكل منه ما يلحق، يوم أنكم للكمال تطلبون، وفي الكامل تكاملون، {سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} ٢٤.

(لا يصلح أمر الإسلام إلا بما صلح به أوله) ٢٥، فشعار لا إله إلا الله على أنفسهم يرفع المسلمون، وبه في الناس للناس لخيرهم يجاهدون يوم أنهم لرسول الله يقومون، ومحمدا لأنفسهم يطلبون، ومحمدا لله يبعثون، ومحمدا بالحق يبعثون، ومحمدا ينتشرون، ومحمدا ينشرون، وعلم لا إله إلا الله محمد رسول الله، خفاقا يرفعون، حيث يكونون، وفي مشارق الأرض ومغاربها به يتواجدون.

اللهم يا من جددت آدم في كل وقت وحين، وفي الجديد غفرت ذنبه، وبعثت حقه، وبجديده بحقه، قومت أمره، وأذنته فجدد خلقه، على ما بدأ بخلقه، وتقوم لأمره، على ما قومت في أمره بسر وجهه،

دورة الزمان، ودورة العنوان، ودورة الإحسان، ودورة الخلق، ودورة الحياة، اللهم به أبناء له فحققنا بنا برحمتك.

اللهم وقد جددت بمحمد آدم حقاً، وأذنت له فجدد حقه خلقاً، على ما كان في قديمه خلقاً، بك متخلقاً، وبأمره منك متحققاً، فجعلت منه دورة لآدم، في دورة آدم.. وجعلت منه آدم وآدم في دورته، فكانا بك فيك رفيقين، وجعلتهما في الحق والخلق صنوين، وقد وصفته أول العابدين، وهو لآدم ولده على ما وصفت، آدم أول العابدين، وهو أبده، فلما أوجدت بحقك منك، من تواجد منه، تكامل الاثنان، وكل بهما العنوان، فظهر الله بالإنسان للإنسان، وقام الحق بالإحسان، للشهود وللعيان. اللهم إنا قد آمنا بك لنا، ولآبائنا ولأبنائنا، وآمنا بآدم لنا حقاً وخلقاً، وآمنا برسول الله آدم، وآمنا بآدم رسولا، وآمنا بآدم يوماً من أيام الله، وآمنا بالرسول بأوادمه يوماً ويوماً.

اللهم اجعلنا منهما الأبناء، واجعلنا بهما الآباء، واجعل بنا من الأبناء آباءً، واجعلنا من أبنائهم آباءً وأبناءً، حتى ندور في الحياة دورتها، وندور بالزمان دورته، وندور بالخلق دورة الخلق بالحق، فطرة الحياة، وصبغة الله.

اللهم اجعلنا بهذا الدين سعداء، ولا تجعلنا بخالفته الأشقياء.. اللهم قوم به أمرنا، وقوم به سبيلنا، وأنر به طريقنا، وأعلمنا به مناسكنا، وخذ به بنواصينا إلى الخير، وبأقدامنا إلى السير، وبأيدينا إلى العمل، وبعيوننا إلى النظر، وبآذاننا إلى السمع، وبعقولنا إلى الوعي والجمع.

لا إله إلا أنت، كنت لنا، وأنت لنا، ولن تتركنا لنا، اللهم بحمد فكنا لك، اللهم ارح أسماءنا إلى اسمه، ومعلمنا إلى رسمه وكسمه.

اللهم به قول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا بكسبنا.. اللهم به كن لنا حكماً ومحكومين، يقظين وغافلين، مهتدين وضالين، مجتهدين ومتابعين، نائمين ويقظين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة النجم - ٣٩
- ٢ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.
- ٣ سورة الإسراء - ١١٠

- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥ من الحديث الشريف: "إيّاكم والوصال إيّاكم والوصال قالوا: فإنّك تواصل يا رسول الله قال: إني لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني". أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٦ سورة الشورى - ٢٩
- ٧ مجموعة عبارات للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها وتربطها من السياق.
- ٨ سورة النمل - ٨٢
- ٩ "إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لِأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ". رومية ٨: ١-٢
- ١٠ حديث شريف عن الصحابي أبي ابن كعب: "أجعل لك صلاتي كلها يا رسول الله؟ قال: إذا تكفي همك، ويغفر لك ذنبك". رواه الترمذي وأحمد. (عبارة "يا عمر" يذكرها السيد رافع مع هذا الحديث الشريف في النسخة الأصلية)، ولكن نذكر هنا الحديث الشريف الموثق.
- ١١ جزء من حديث شريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّغَبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخَتَمَ بِيَ النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ١٢ من حديث شريف: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ بَعِثَ ابْنُ مَرْيَمَ، فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ قالوا: كيف؟ يا رسول الله، قال: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَالٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ". صحيح مسلم.
- ١٣ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ١٤ حديث شريف: "المهدي رجلٌ من ولدي، وجهه كالكوكب الدرّي". أخرجه الطبراني.
- ١٥ سورة القيامة - ١١
- ١٦ سورة القيامة - ٩
- ١٧ حديث شريف: "الدنيا دارٌ من لا دارَ له ولها يجمعُ من لا عقلَ له ومالٌ من لا مالَ له". أخرجه أحمد والبيهقي.
- ١٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها". أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.
- ١٩ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ٢٠ "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أَرِيحُكُمْ". مت ١١: ٢٨
- ٢١ سورة البقرة - ١١٥
- ٢٢ سورة سبأ - ١٣
- ٢٣ سورة الواقعة - ١٣ و ١٤
- ٢٤ سورة فصلت - ٥٣
- ٢٥ إشارة لمقولة الإمام مالك: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

(١٦)

الإنسان يتواجد في تزواج الإنس بالإنس في الوجدان بقلب لقلب على المعروف يأتلفان

حديث الجمعة

٢٥ ربيع الآخر ١٣٨٦ هـ - ١٢ أغسطس ١٩٦٦ م

حمداً لله، وشكراً لله

حمداً لله، وشكراً لله

حمداً لله، وشكراً لله، أن هدانا، وإليه فينا وجّهنا، وبما وهبنا من عقل علّمنا. وبما أودع فينا من جذوة الحياة، نفوساً له أشعلنا، وبحكمة إيجادنا، لإرادته أحكّمتنا، فقومنا وأقامنا وعلّمنا، لا إله إلا الله. واصطفانا وأسعدنا، محمداً رسول الله، فأعلاماً لله حققنا، وحقائق لله بعثنا، وعباداً لله سودنا.

باسمه أسماء له سمّانا، ورحماناً دعانا، وشيطاناً خلّصنا، ولحقه أخلصنا. فكنا على ما أراد بنا، وكان على ما أردنا به، فعرّجنا فيه، بعد أن عرجنا إليه، فنطق منا، ونطقنا به، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

سبحان الله، جاءهم الحق بينهم، ومن أنفسهم، وفي صورتهم، لتحقيق صورهم. دب على الأرض الرجل الرشيد، وكلهم من حوله الكنود العنيد، جاءهم بالحق القديم الجديد، وبالأمر الوليد البعيد، فكان على كل نفس شهيداً، يوم قبلته لها المشهود، ويوم عرفته فيها الموعود، ويوم آمنتها لها وجه الحق المعروف الموعود، به تجدد لها الوجود للوجود في كل تواجد بموجود، وبه ظهر لها الوجود للشهود، وبه أسفر للعبد بالعبد وجه المعبود، ربا للعيان وللشهود.

قام المعبود، للعبيد بالعبيد على العبيد، فظهر عبداً بين العبيد لوجه المعبود، قدوة للشهود، ليشهد العبيد في أنفسهم المعروف المعبود، فماذا قدر الناس! وماذا عرف الناس! وماذا قبل الناس!

عَلَّمَهُمْ أَنْ الْكَتَابَ لِقَرَاءَتِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ الْكُونُ، إِنَّمَا هُوَ الْوُجُودُ، أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ حَوْلِهِمْ، يَقْرَأُونَهُ وَيَشْهَدُونَهُ بَعِينَهُ لَمْ يَهْمُ بِهِمْ. وَيَوْمَ يَقْرَأُونَهُ وَيَشْهَدُونَهُ، يَجِدُونَهُ وَيَكْتُبُونَهُ، أَقْلَامَ قُدْرَةِ مَعْرِفَتِهِمْ فِي صَحَائِفِ تَوَاجُدِهِمْ، بِسَرِّ وَجُودِهِ، لِقَائِهِ بَعْدَهُ بِهِمْ شَاهِدَهُ وَمَشْهُودَهُ.

فَإِذَا كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الْحَقِّ جَاءَهُمْ، وَعَاشَ بَيْنَهُمْ، وَلَمْ يَفَارِقْهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ كَوَثْرًا بِوُجُودِهِ، لَا يَغِيبُ عَنْ شَهْوَدِهِ، لِقَائِهِ بِوُجُودِهِ، مِنْ طَالِبِي مَعْرُوفِهِ وَمَعْبُودِهِ، قَائِمٌ مَشْهُودُهُ، وَحَقٌّ مَوْجُودُهُ يَوْمَ يَطْلُبُ النَّاسُ لِقَائَهُمْ مَعْرُوفَهُ، فَيَجِدُونَهُمْ مَوْصُوفَهُ، وَيَشْعَلُهُمْ مَصْبَاحُهُ، وَيَجْمَعُهُمْ سَفْنُهُ وَالْوَاوَحَةُ؟

كَانَ اللَّهُ بِهِ فِي النَّاسِ لَجْمَعُهُمْ، كُلُّهَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَجْهًا أَوْ بَيْتًا أَوْ نَصْبًا، أَوْ عَلَى قَائِمٍ ظِلِّ حَقِّهِ، بِصُحْبِهِ، بِقَائِمِهِ، لِمُعَانِي الْقِيَوْمِ عَلَيْهِمْ، ظِلَالُ ظِلِّهِ، وَوُجُوهُ وَجْهِهِ، وَأَقْبَاسُ نُورِهِ، وَحَقَائِقُ حَقِّهِ، عَرَفُوهُ بِحَقِّقَتِهِ مِنْ وَرَاءِ حِجْبِهِ لَوْصَفِ كَوَثْرِ خَلْقِيَّتِهِ.

ظَهَرَ عَلَمًا عَلَى الْمُنْفَرِدِ بِأَحَدِيَّتِهِ، بِانْفِرَادِهِ بِمَعْنَاهُ فِي أَحَدِيَّتِهِ.. ظَهَرَ عَلَمًا عَلَى الْوَاحِدِ فِي صِفَاتِهِ، فِي قَائِمِهِ بِهِ لَعَيْنِ صِفَاتِهِ.. ظَهَرَ عَلَمًا عَلَى الْأَحَدِ فِي غَيْبِهِ، لِلوَاحِدِ فِي ظُهُورِهِ، بِقَائِمِ شَهَادَتِهِ، بِكَوَثَرِ أَعْلَامِهِ عَلَى قِيَوْمِ غَيْبِهِ. أَدْرَكَهُ مَدْرَكَهُ فِي الْعِزِّ عَنْ إِدْرَاكِهِ، بِحَاضِرِ شَهَادَتِهِ، لَوَاحِدِيَّةِ تَوَاجُدَاتِهِ، عَلَمًا عَلَى أَحَدِيَّتِهِ بِحَقِّهِ لِحَقَائِقِهِ فِي حَقِيقَتِهِ.

فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ الْمُنْفَرِدِ، فِي مَوْجُودِ وَجُودِهِ لَوْجُودِ انْفِرَادِهِ بِالْعِبَادِيَّةِ لِمَوْجُدِهِ، عَلَمًا عَلَى أَعْلَامِ مِثَالِهِ فِي مَطْلَقِ مَعْبُودِهِ، يَتَعَدَّدُ ظِلَالُهُ لِكَوَثَرِ حَالِهِ فِي قَائِمِ مَوْجُودِهِ لَوْجُودِهِ.

قَامَ لَنَا عَلَمًا عَلَى أَعْلَامِ مِثَالِهِ، فِيمَنْ لَا مِثَالَ لَهُ، وَلَا وَجُودَ يَحْدُهُ. الْوُجُودُ مِنْ صَنْعِهِ كُلُّهَا تَوَاجُدًا، وَالْعِبَادُ مِنْ حَقِّهِ كُلُّهَا تَجَلًى، لَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى، وَمَا ظَهَرَ إِلَّا بِالْمِثْلِ الْأَعْلَى، فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ عَلَى السَّوَاءِ، وَكُلُّهَا تَوَاجُدُ بِوُجُودِهِ، وَظَهَرَ فِيهِ لَهُ بِمَشْهُودِهِ.

بِهَذَا جَاءَ دِينَ الْفَطْرَةِ، وَبِهَذَا جَاءَ عِلْمُ الْفَطْرَةِ، فَكَانَ عَلَمًا عَلَى الْأَقْدَسِ مِنَ الْذَاتِ بِذَاتِهِ، وَعَلَى الْأَرْحَبِ مِنَ الرُّوحِ بِرُوحِهِ، وَعَلَى الْمُنَزَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِتَنْزِيهِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَوْصَفِ الْعِبَادِيَّةِ لَهُ أَوَّلُ الْعَابِدِينَ.

ظَهَرَ عَبْدًا، هُوَ أَوَّلُ الْعَابِدِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ، لَا آخِرَ لَهُمْ.. ظَهَرَ عَبْدًا هُوَ الرَّبُّ وَالْإِمَامُ لَجْمَعِهِمْ وَهُوَ الْعَبْدُ لِحَقِّهِمْ، هُوَ الرُّبُوبِيَّةُ كَمَا هُوَ الْعِبَادِيَّةُ، هُوَ الْحَقُّ الْجَامِعُ لِحَقِيقَةِ الْعَبْدِ وَحَقِيقَةِ الرَّبِّ.

ظَهَرَ عَابِدًا، هُوَ الْمَعْبُودُ.. ظَهَرَ مَتَوَاجِدًا، هُوَ الْمَوْجُودُ.. ظَهَرَ مَوْجِدًا هُوَ الْوُجُودُ.. ظَهَرَ مَوْجُودًا، أَوْجَدَهُ مِنْ لَا شَرِيكَ لَهُ بِوُجُودِهِ، أَوْجَدَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ لَا مِثَالَ لَهُ، أَوْجَدَهُ لَطِيفًا مِنْ وَصْفَنَاهُ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ، أَوْجَدَهُ عَالِمًا، مِنْ وَصْفَنَاهُ بِالْعَلِيمِ الْحَكِيمِ.

أوجده متواجده، في غناء بما أودع فيه.. تواجده لنفسه من وصفناه بالقوي العزيز، أوجده القائم على كل نفس قريبا لا غيبة له لمعنى قربه، وبعيدا لا إحاطة به، لمعاني بعده، أوجده كوثرا معروفا، من وصفناه عندنا بالمعروف لنا لانهايا في وجوده، مطلقا في تواجداته، أوجده الموصوف بالغيب غيبا، أوجده قائم الشهادة، شاهدا ومشهودا.

أظهره ربه على الدين كله، وأظهر به لنا بدينه الدين كله، يوم أظهرنا على أنفسنا، في أنفسنا، على ما أظهره على ما في نفسه، يوم نكون في متابعته، أو في متابعة من اختار الله له لدوام رسالته ممن يرتضي الله لنفسه من عترته، وهم من نميز بيننا، لوصف أوليائه، وأصفيائه، مثالية مآلنا وقدوة أحوالنا ورواسي قيامنا.

ويوم نعرف الحق لأنفسنا نشهده على ما نشهده من حولنا، في الوجود لعين موجودنا، وجودا وليدا لأب بوجود مشهود، يقوم موصوف وصفه، وموجود وجوده، ووجوه شهوده، وعلم متواجده، ذكر محدث لأبد لذكر قديم لأزل. هذا هو الإنسان للإنسان في الله.

هذه هي أقانيم الإسلام، وأقانيم الفطرة، يوم تجادلون أهل الكتاب، بما هو أحسن، بالتي هي أحسن، نفوسا لنفسه اصطفاها، اصطفاها الأعلى لوجودها في معناها، قيام معناها، عبدا قام مولاه، وربا على وجوده من عمله ولاه، وحقا بعثه ووالاه، ووجودا جدده الهو لأناه، إنسانا وصفه، وبشرا شرفه.

بشر عبادي.. عباد مصطفىون.. هم الآلهة.. هم الأرباب، في وجودهم لمعاني دورهم، من صنعهم، من إنشائهم، فعل بإرادتهم.. يقومون عليها بمعانيهم أعلام معلومهم، ربانيين، يقولون للشيء كن فيكون، هم أقلام قدرة الأعلى لهم عليهم بذواتهم، بها يسطرون، وكتبنا في الوجود ينشرون، يأخذونها بأيمانهم، من صنع أيديهم، بتوفيق الله لهم، بإيمانهم به، معروفا في معرفتهم عنهم، موصوفا بأوصافه بهم.

قدّر فهدى بموهوب قدرته لمن قدره. له الأسماء الحسنى هي لهم، ولا اسم له، ولا سمي له. إن الله عابدا إذا ذكروا ذكر الله. عباد لا يطغون على الله، بقائم وصف الرب لهم، والإله بهم لمعانيهم، على جاهليهم بجهل أنفسهم، أو غيرهم بقائمه في مغايرتهم. يعرفون، لا ينكرون، ولا يجحدون، إنه لا آلهة مع الله، بل عباد مكرمون، وأنه لا أرباب مع الله، بل حقائق يظهرون. لحق الإنسان وجهها للرحمن له يكسبون، ولشرف البشر، بشرف البشرية يتصفون.

قل إنما أنا بشر مثلكم، شرفت بالبشرية، وقد استظلت بظلها شجرة الحق، وشرفت بي البشرية، وقد حققت لها بعثها بالحق، على ما وعدت بقائم خلقها، وقد بعثت بالحق بينكم رسولا من أنفسكم، وقدوة

لكافتكم، ببشريتي، وبيعتي بالحق لكم بينكم، بشرا منكم على ما بشرت بي البشرية، لبعثها فيها لحقي معناها، فكانت شرفي وكنت شرفها.. كانت معناني وكنت معناها، كانت مولاي وكنت مولاها.. كنت في خدمتها ربا وحقا، وكانت في خدمتي سيذا وعبدا.

أنا اليوم لها العبد بسيادتي (سيد القوم خادمهم)^٢ ، هكذا شرع وعلم (الأمير أجير قومه)^٣.. هكذا عَرَّفَ.

المهتدي في دينه من هدى الله، وقد بعث بيننا مهدي الله. ومن أضل الله فلا هادي له، ما له من ولي مرشد، ما له من مؤمن يؤاخي.. ما له من ماء حياة عذب يرتويه.. ما له من معروف حوض يردده ويصب من الماء فيه، وهكذا كان حال قاليه ومخاصمي. مخاصمه لا يعرف شاطئ البحر يرتئيه، ولا يعرف في بحر وجوده شاطئاً إليه يأويه.

فهو بعيدا عن دينه، غافلا عن وعيه وتعاليمه، في حيرة من أمره، يرى البحر ويخشاه، فلا يقذف بنفسه فيه، وإن قذف فيه، فنشود الساحل يعييه، فلا الساحل وهو عليه يرضيه، ولا البحر وهو فيه يغنيه.

إنه يفتقر إلى من هو فيه ولا يدرية، ولكنه يبحث عنه، بعيدا عن مكانه لذاته فيه، وبعيدا عن زمانه بوجوده بشرا يرتضيه، وإنسانا يصطفيه، وحقا يبعثه بالمطلق فيه، لموجوده به، بلا إله إلا الله...

يوم يدخل في بيت رحمته، برسول الله، ليكون محمدا واسما لله، يذكر في بيت معرفته، في قائم وصفه لموصوفه، جديد قديمه، ووجه معبوده، لقائم موجوده ووجوده، بالله أكبر، وبالله أكبر، حصنا قائما للإله إلا الله، ونصبا دائما لرسول الله، بعث محمده وقيام كلمة الله.

بهذا كله، جاء محمد الحق.. جاء محمد الله.. جاء محمد رسول الله.. جاء محمد الأمر الوسط.. جاء محمد الحق المتوسط.. جاء محمد الرب الأوسط.. جاء محمد العروة الوثقى بين أزلية الحق بالإنسان، وأبدية الحق بالخلق للرحمن، قائم رحمته، قائم نعمته.. قائم حقيقته.. في كثره بوجوده، وفي قرب له لشيده.

جاء شهيدا على الشهداء، ما تواجد شهداء على جماع في اجتماع، أو على تعاقب على تسلسل باتباع سواء ظهروا على الأرض في عصر على اجتماع، فكان لهم إمام، وكانوا عليه أعلام.. وكان لهم علما على من كان للغيوب علام.. مفرج الكرب.. غافر الذنوب.. سائر العيوب.. معمر القلوب.. أو ظهروا على الأرض على تعاقب، فجمعتهم السماء فوق الزمن على جماع واجتماع.

إن الله هو المذكور في كل دار أوجد لها من دور لعبد له بما أودع من الحق فيه. لا إله غيره، ولا معبود سواه، هو الظاهر في كل عابد أو معبود، ما تعدد الوجه للمعبود عند العابد، وما تعدد الهيكل للبيت الموجود عند الآوي، وما اتسع الكون بوجود ووجود، لكائن من الإنسان في شهود.

جعل الله في ذلك بشرى للبشر، وتعبيدا للعباد، وتحقيقا للحقائق.. حقا من بعد حق، وأكبر لأكبر من العباد في ذي المعارج، طلبا للمعروف بلانهايه، والموصوف بمطلقه.

ذلكم ما علمكم من عرفتم معروف وجودكم، عبد الله بلا اسم، ورسول الله بلا رسم، حق الله بلا شريك، موجود الحق من الله بلا إنكار لكل من طلب الحق بلا استكبار.

فهل عرفنا؟ هل شرفنا؟ هل وصفنا؟ هل علمنا فأعلمنا وعلمنا؟ هل قدرنا فقدّرنا؟ هل وصلنا فأوصلنا؟ هل لحقنا به لحقنا فألحقنا؟

(التابعين وتابع التابعين بإحسان)، قولاً يصدر عن ببغاوات! أين هم التابعون وتابع التابعين؟ وأين هو ما فيمن أشاروا إليهم من إحسان! أبوصف الإحسان تتحدثون عن أعلام الكذب والبهتان! أبوصوف الفضيلة تقدمون كل محل لرديلة! أبأعلام الجهل تتحدثون عن أعلام العلم! أبالجاهلية الأولى تشكلون في الإسلام، وتجددون الجاهلية الأولى، إلى الثانية والثالثة، إلى أسفل سافلين! بموهوم عليين من موصوف المسلمين، تزييفا لحقائق المؤمنين، لوجه رب العالمين!

أي دين هذا؟! وعن أي دين تتحدثون؟! وبأي دين تتمشّدقون؟! (أي تهزأون، وعليّ تجترثون، لأتيحن لكم فتنة، تصيرّ الحليم فيكم غضباناً)٤.

سبحان الله.. وما تكون الفتنة هذه يا رسول الله؟ إنها المسيحان.. إنها الآدمان.. إنها الحقيقتان.. إنها الأمران.. إنها الحضرتان.. إنها النور والظلام.. إنها الإيمان والبهتان.. إنها الرحمن والشیطان.. إنها مسيح الرحمن، ومسيح الشيطان.. مسيح النور، ومسيح الظلام، على أرضكم في لقاء يسفران، وهما عليها في دائم متواجدان، لإنسان الحقائق الجامع لصور العنوان، لإنسان الأشباح والأوهام، ولإنسان الأرواح والأعلام، آدم الحقيقة بحليمه، وآدم الخليفة بهزيمة. للوجود ولمظاهر الوجود ولا وجود، يتقابلان، على أرضكم في دوام، وإنهما عليها بالقيامة يتداولان، وبوصف الناس وبين الناس يتصفان.

{وتلك الأيام نداولها بين الناس}٥، يومٌ للشیطان ويوم للرحمن، يوم للحق ويوم للبهتان، إذا أسفر أحدهما غاب الآخر عن العيان، ولم يغب عن الوجدان، إنهما القيامة يوم يقومان للعيان، وإنهما الحشر، يوم يحشران في ميدان.. وإنهما البعث يوم يبعثان في الإنسان.. وإنهما الكتاب يوم يقرآن بعرفان.

(بيننا أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلاً آدم، قلت من؟ قيل ابن مريم، ثم رأيت رجلاً أحمر بدين، أعور العين، كأن في عينه نبقة، هو أشبه الخلق بفلان، [رجلاً سماه]، قلت من، قيل الدجال)٦،

يشير إلى أنه موجود في القيام في الوجدان، مع موجود الوجود للأعيان، السفياي للعيان، فقال (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)^٧.

إننا إنسان وإنسان في قائم إنسان لإنسان.. إننا رجلان في رجل ورجل في عيان، (بعثت والساعة كهاتين)^٨، إنني والساعة رجلان، يوم تظهر الساعة للعيان، لوجودي ووجوده في البيان، {إن يوم الفصل كان ميقاتاً}^٩، يوم يفصل الإنسان عن الإنسان للإنسان في الإنسان يوم يعرف الإنسان ما فيه من الرحمن، وما فيه من الشيطان فيقوم أشتاتاً للعيان، فلا يواصل في النسيان، ولا يتمادى في البهتان، ولكن يتذكر، فبأكثر يذكر، فتعلم نفسه ما قدمت في زمان، وما أخرت لأزمان.

إن الإنسان يتواجد في تزاوج الإنس بالإنس، في الوجدان، قلب لقلب على المعروف يأتلفان، لقائمه أزواجا في العيان، جمع شتاته، لتواجده في الحسبان لقيامه بالإحسان. إن الإنسان، يوم يصبح الإنسان، يرى الشمس والقمر عليه يجتمعان، والنجم والشجر له يسجدان، لشرف ومجد الإنسان، حق الرحمن، وحقيقة الديان. (أبي يهزأون، وعليّ يجترئون، لأتجنّ لهم فتنة، تصيرّ الحليم فيهم غضباناً)^{١٠}...

فما تكون أشرف صفات الإنسان؟ إنها الحلم عند القوى الكريم.. وما هي أخطر صفات الإنسان؟ إنها الغضب عند الحليم (لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب)^{١١}.. إن الحليم عفا، فاعفُ.. إن الحليم لم يرد الجزاء للمسيء، فلا ترد الجزاء للمسيء.. إن الحليم ستر على المعيب.. إن الله ستيّر، ويحب من عباده الستيرين، فاستر عيب أخيك.. إن الحليم رحم، فارحم، فإن رحمت من في الأرض رحمتك من هو لك في السماء، فكيف الحال وما تكون إذا صار الحليم غضباناً؟ أين الملجأ؟ وكيف المصير؟

إن الرحيم.. إن الحليم.. إن العليم سما، فأصبح في سموه السماء، وكلها سما، اتصف في سموه بالسماء، سماء فوق سماء، لسمو فوق سمو، فاسمُ بنفسك يا إنسان السموا، يا إنسان السماء، لتكون سماء بعد سماء، وأنت تسير على أرض العمل والجزاء، في عالم الابتلاء، فإنها فرصتك لاستقبال العطاء، فكيف إذا قامت بين الناس فتنة الشيطان وقد لبس للناس ثوب الرحمن فأخرجت الحليم من حلمه، وأعجزت العليم عن فهمه؟!

إن المطلق اختار خلافته ليظهر بها بالإنسان في عالم العدم. (كل الناس هلكي)^{١٢}، وبين الهلكى ظهر بخليفته {إني جاعل في الأرض خليفة}^{١٣} فلا تيأس من الموجد بشرف الوجود لمعدوم وجودك، تقييما ووصفا لك، مدركا بجلدتك لشهودك. إنك متواجد بجلدتك على هذه الأرض بين قوسي المولد والموت، ساعة في الأزل، ولحظة في الأبد لمن كنت له لباس.

فإن كشف لك عن موجودك بك من الأزل، فقد كشفت لك ساعتك للقاء ليومك، يوم بعباء، يكشف لك الحق في حقيقتك موقوتا في لباسه بمعدوم جلدتك. فإذا نظرت بعين الأزلية لك، لمنشود الأبدية عندك، لرأيت في لمحات الأبدية، تجددات الأزلية بساعات الأولية، في قيامات وأيام الآخرة. كل هذا من الله لكم، {أليس الله بكاف عبده} ١٤. (أبي يهزأون، وعليّ يجترئون، لأتجن لهم فتنة، تصيرّ الحليم فيهم غضباناً) ١٥.

وكيف لا يغضب وغضبه غضبة الرحمن، وفتنة اللاهي محيطة، وإرادته في إرادة أهل الباطل، شاملة عاملة! كيف لا يغضب، والشيطان معبود باسم الرحمن يحشر جنده، وما له عليهم من سلطان، إلا أن دعاهم فاستجابوا له، جزاء ما بهم من بهتان، وقد خاصموا واعتدوا على الحق الرسول، عليه يجترئون، وبه يهزأون! يكتبون كتبهم بأيديهم وإلى الله ينسبون، يزلون بأقدامهم، وباسم الصلاح والإصلاح، زلهم يسمون، وبوصفه يصفون.

فهل قاموا بالله مؤمنين مع من قاموا بالله بينهم مؤمنين، عليه لشهودهم لا ينكرون، فلهم بينهم بالحق يتشاهدون، ولوجه الحق بينهم وفيهم ينظرون، وباسم الله يتصايحون.. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر؟ انظروا هذا الحال الدنيا في جماعها، وفي كل أرجائها، فنحن لا نعي أحدا، ولا نقصد بلدا، ولكنا نريد الدنيا بكلها وكلها، والناس عليها، بجماعهم، لأمر أنفسهم، في الشرق أو في الغرب، في الشمال أو في الجنوب، كلهم يقوم في البهتان، وكلهم جنود الشيطان، وكلهم مجافو الرحمن، إلا من رحم وقليل ما هم.

إن الحليم ليجار وقد غلبه الغضب على أمره، مثقلا في شأنه بالكروب، متى نصر الله؟ متى فرج الله؟ متى ذكر الله؟ متى كشف الغطاء؟ متى موعود الرجاء؟ متى رفع البلاء؟ متى إجابة النداء؟ متى سفور الولاء؟ أنحن في يوم للدينونة أم نحن في يوم للكينونة؟ إن الحليم ليحار، مما يبرز الله اليوم في كل بلد وفي كل دار، مما يمس الناس من البأساء والضراء لعلهم يجأرون، وهم في غيهم بهم عنهم يعمهون. نعم يحار، ويحار، ويحار، حتى يخرج الله من حيرته، يوم يرجع إلى رسول الله لنجدته.

يذكرون اسم الرسول ولا رسول عندهم.. هل طلبه متعشقه حق طلبه ففي أنفسهم لم يجدوه؟ إنه لطيف اللطيف الخبير، هل آمنوا به لطيفا، يسألونه، فلم يشرف ومعه اللطيف يعبدونه؟ هل عرفوه كريماً شريفاً، فلم يدانيهم معه الكريم المعروف؟!

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} ١٦، هل بحثوا عمن يسألون بينهم فلم يلاقوه؟ فإذا لاقوه وسألوه، ألم يصدقهم الله ما وعدوه؟ وكيف يتحقق لهم ما وعدوه إذا لم يتواجد لهم

من يسأله؟ يقولون ويجادلون، وكيف يلاقونه وهو اختام للكمال والتمام بالذكر يعرفونه، لفظا يرددونه؟ وكيف يتصف بالكمال والتمام، مفقود الوجود، الغائب عن الشهود؟ يغيبونه ثم هم ببهتان يتصفونه، هم في كل علم للبهتان يعرفونه ويجمعونه ويلاقونه، نعم هو الجوهر الفرد وهو خاتم النبيين بلا حد، فهو بحقه الكوثر بلا عد، فهو أمة الخير المعروف للرب المنشود الموصوف، في الله لا حد ولا وصف له إلا بالإنسان، به يشرف، وبه عند أخيه لأخيه لوصفه يتصف، ويعرف، هو المثل الأعلى للمعبود، وهو الحق لأهل الحق في كل تواجد في وجود.

كيف يلاقونه وهم يجانبونه؟ كيف يعرفونه، وهم لا يصفونه بما هو به موصوف؟ ولا يعرفونه بما هو به معروف؟ ولا يتواجدونه بما هو به موجود؟ {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا، ومن اتبعني} ١٧. {إنا أعطيناك الكوثر... إن شئت هو الأبر} ١٨، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} ١٩.

إنه رسول الله إلى رسل الله لخلق الله من خلق الله.. إنها قضية رسول الله للناس من أنفسهم في أنفسهم، قدوة لكافهم، فما كان للغني عن العالمين عند العالمين قضية ولكنها قضية الناس لهم عندهم فيه لا شريك له، {ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم} ٢٠، {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ٢١.

فما أرسلناك عليهم سلطان جزاء، أو سوط عذاب، ولكن أرسلناك رحمة للعالمين، وإن للفصل يوما، {إن يوم الفصل كان ميقاتا.. للطاغين مآبا لابئين فيها أحقابا} ٢٢، يوم يعادون إلى عالم نشأتهم يرد السماء لهم، لتواجد من الأرض ذات الصدع.

أما من سلبت نفوسهم بلا إله إلا الله، فلا عودة لهم في هذا اليوم.. (أهل لا إله إلا الله لا يحضرون الموقف) ٢٣. يوما يمتد أحقابا، جزاء حسابا، إنه الناموس.. إنه اليوم المعلوم.. إنه دورة الزمان، أما من توفيت نفوسهم بالحق، بمرجع إلى الله في يوم من أيام الله يمتد أحقابا، كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، فلا عودة إلى الأرض لهم، اللهم إلا برسالة، وبخلافة ووكالة، توفية أمر، وكمال حق، إلى أكبر، على ما جاءها بعض النبيين، وعلى ما يجيئها البعض لكمالهم، بعيدا عن وصف النبيين، أو بموصوفهم على ما هو من أمر العباد العارفين والحكماء المحكمين والعلماء الصادقين. أما عودة استكمال الكينونة في أيام الدينونة، فبجلود مجددة، في عمد ممددة، لتطهير النفوس وعق الرؤوس برد الأعمال، لإصلاح المثال، حتى يبرز الله كلمته ليوم من أيام الفصل في سفور. وإنه لعلم ليوم الدين.. إنه علم على الحق واليقين.. إنه علم على الساعة، يكاد يخفيها، وما هي بخافية، يكاد يبيدها، وإنها لبادية، ويكاد يسفر بها، وإنها لسافرة.

{وإنه لعلم للساعة} ٢٤. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا [باليوم الآخر لحاضر يومهم في قائمتهم لسبقهم، وفي قادمهم لحاضرهم بقائهم] مشفقون منها ويعلمون أنها الحق} ٢٥.

علمت نفوسهم ما قدمت وأخرت، وعرفوا وآمنوا أن من نوقش الحساب فقد هلك، فحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا، على ما هدوا، وماتوا قبل أن يموتوا على ما أرشدوا. علموا وآمنوا أن الله لا يحاسب أحدا، ولكن الذي يحاسب الإنسان، إنما هي نفس الإنسان، لأنها نفس الله يوم يعرف، {ويحذركم الله نفسه} ٢٦، إنها جزاؤه ونقمته، وإنها سعادته ونعمته، وإنها لمرحومها رحمته.

{وتكلمنا أيديهم} ٢٧، وما كلمت إلا أنفسهم، {وتشهد أرجلهم} ٢٨ وما شهدت إلا أنفسهم، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} ٢٩. (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا من أنفسكم) ٣٠. (موتوا قبل أن تموتوا) ٣١، ولكن الناس ما زالوا لا يرون في ذلك إلا أساطير الأولين. ولا يرون فيه قوانين الفطرة واليقين.

(أبي يهزأون، وعليّ يجترئون، لأتجن لهم فتنه، تصيرّ الحليم فيهم غضباناً) ٣٢، إننا في هذا اليوم. إننا في هذا الزمان، وإن قام ما قام اليوم في كل يوم، وإن ظهر ما ظهر في هذا الزمان في كل زمان، إلا أن هذا اليوم وهذا الزمان، تميز بسفور البهتان، وبالجرأة على الرحمن.

يلبس الشيطان اليوم ثياب الديان، فيظهر يوما من أيام الله، بجمع يجمعه لقيام الصلاة له في العيان، وينادي هلم إليّ، من دخل في حضرتي، أدخلته في نعمتي، ومن فارق حالي ومالي، أقصيته عن وجودي، وأهلكته في وجوده بموجودي، {فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية} ٣٣، وهو ما نراه في حالنا وما يحيط بنا في أحوالنا.

إن كيد الشيطان كان ضعيفا، والحق المسارع الذي يتوسل إليه برسول وسيلته، ويد نجده، وقدم سعيه، ووجه طلعه، وهيكل وجوده، لطوافه في شهوده، ما زال قائما عاملا، ملبيا مسارعا، قريبا مجيبا.

بيت الله الموضوع، لبيت الله المرفوع، كلاهما يذكر فيه اسمه، كلاهما ساحة أعلامه، وألسنة إعلانه، وأقلام قدرته، وسفن خلاصه، وعناوين إخلاصه، هما كلاهما ما زال قائما وما زال عاملا، وهما يتلاقيان في مجال العمل والإعلام، موضوعا ومرفوعا، لنصرة السلام، وللجمع على الأعلام.

ها هي الرسالة الروحية على أرضكم، تحيط بالأرض إحاطة السوار بالمعصم، {والأرض جميعا قبضته} ٣٤، فهل أدرك الناس، أنهم على الحق بها يجترئون، وهم بها يهزأون؟ وأنها علم الساعة، وأعلامها لو يعلمون.

{هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك} ٣٥، {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام} ٣٦، {ففتحن أبواب السماء بماء منهمر} ٣٧، فماذا يريدون؟ أيظنون أن لن نقدر عليه؟ أيظنون رسول الله عاجز؟ أيظنون ربه أعجز منه!!! ماذا يظنون؟ أيظنون الله يهزأ به، ويُجترأ عليه في وجهه؟ (من آذاني وليا، فليأذن من الله بحرب) ٣٨

ماذا ينتظر الناس.. ونذر الشر بادية لهم، لأنهم رفضوا معالم وأعلام الخير؟ إني لا أريد أن أكون نذير شر، أو حاملاً لنذر شر، ولكنني أطمع وإخواني أن نكون معالم وأعلام خير، وأن نحمل إلى الناس معالم الخير والسلام.

إنا بما عرفنا، وبما هدينا، وبما كُشفنا، نتحدث مجرد حديث عن نذر الشر، طامعين أن يرد الله عنا هذا القضاء، متشفعين إلى رسوله، متوسلين إلى الله به، ومتوسلين بالله إليه، أن يتعرض لهذا القضاء، بما أودع الله فيه من أسرار رحمته، مطالبينه، ملحين في الطلب، أن لا يفلت منه زمام نفسه، بغضبة تُهلك المغضوب عليهم، ولا تنفع فيها شفاعاة، ولا تردها إلى الله، أو إلى رسوله ضراعة، وقد قضي الأمر.

نسأل الله برسوله، ونسأل الرسول بربه، أن يرد عن الأرض هذا القضاء، وأن يكشف عنها هذا البلاء، وأن ترفع منها هذه الغمة، وأن ينصر الله أهلها، لرسوله أمة، وإن أنكروه، وإن بحدوه، وإن نسوه، وإن ظلّموا أنفسهم بما ظلّموه، وهو رحمة الله لأنفسهم، وهو سر الحياة لقلوبهم.. وهو سر الحقيقة لعقولهم، وهو سر النعمة لهياكلهم ونفوسهم.

إنه الحق من ربهم، فنسأل الله أن يغفر لنا، وأن يعمم مغفرته علينا، فلا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ويولي برحمته أمورنا خيارنا، ولا يولي بقضائه أمورنا شرارنا، وأن يغير فيه أحوالنا، حكاما ومحكومين، ضالين ومضلين، وهادين ومهتدين، يقظين وغافلين، مجاهدين وخاملين، آمين ومؤتمنين، ظالمين وأنفسهم والمنصفين.

لا إله غيره، ولا معبود سواه

نسأله أن يكشف عنا كل بلية، وأن يدفع عنا كل رزية، وأن يهيئ لنا أسباب الخير، وأسباب العطية.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ تم تصويب هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

- ٢ حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي))، والخطيب في تاريخ بغداد، كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤ من حديث شريف: "يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب؛ يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ في حلفت؛ لأبعثن على أولئك فتنة، تدع الحليم حيراناً" رواه الترمذي. ويوصف بأنه ضعيف.
- ٥ سورة آل عمران - ١٤٠
- ٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر، بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور العين، كأن عنه عنبه طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال، أقرب الناس به شباها ابن قطن." أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.
- ٨ حديث شريف: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ٩ سورة النبأ - ١٧
- ١٠ من حديث شريف: "يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب؛ يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ في حلفت؛ لأبعثن على أولئك فتنة، تدع الحليم حيراناً" رواه الترمذي. ويوصف بأنه ضعيف.
- ١١ من الحديث الشريف: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ." صحيح البخاري.
- ١٢ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها"، بصيغة: "فالنَّاسُ كلهم هلَكى إِلَّا العالمون، والعالمون كلهم هلَكى إِلَّا العاملون، والعالمون كلهم هلَكى إِلَّا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيمٍ.. وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إِلَّا العلواء، والعلواء كلهم نيام إِلَّا العاملون، والعالمون كلهم مغترون إِلَّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم." ولكنه يصنف بأنه موضوع.
- ١٣ سورة البقرة - ٣٠
- ١٤ سورة الزمر - ٣٦
- ١٥ من حديث شريف: "يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب؛ يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ في حلفت؛ لأبعثن على أولئك فتنة، تدع الحليم حيراناً" رواه الترمذي. ويوصف بأنه ضعيف.

سورة البقرة - ١٨٦	١٦
سورة يوسف - ١٠٨	١٧
سورة الكوثر - ٣ و ١	١٨
سورة العنكبوت - ٦٩	١٩
هود - ١١٠، يونس - ١٩، فصلت - ٤٥	٢٠
سورة الإسراء - ٨١	٢١
سورة النبأ - ١٧ و ٢٢ و ٢٣	٢٢
حديث شريف ذات صلة: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن". أخرجه الحكيم الترمذي، والبيهقي، والطبراني، وأبو يعلى.	٢٣
سورة الزخرف - ٦١	٢٤
سورة الشورى - ١٨	٢٥
سورة آل عمران - ٢٨	٢٦
سورة يس - ٦٥	٢٧
سورة يس - ٦٥	٢٨
سورة الإسراء - ١٤	٢٩
مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)	٣٠
حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى". أخرجه البخاري.	٣١
من حديث شريف: "يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب؛ يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ في حلفت؛ لأبعثن على أولئك فتنة، تدع الحليم حيرانا" رواه الترمذي. ويوصف بأنه ضعيف.	٣٢
سورة الحاقة - ٦-٥	٣٣
سورة الزمر - ٦٧	٣٤
سورة الأنعام - ١٥٨	٣٥
سورة البقرة - ٢١٠	٣٦
سورة القمر - ١١	٣٧

من حديث قدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ." صحيح البخاري.